فان لحقت بهم من بعدها سبقوا * فكم لرب السما في الناس من فرج
وان ظللت بقفر الارض منقطعا * فما على عرج في ذا الشمن حرج
جعله الله خالصا لوجهه الكريم * محصلا للفوز بجنات النعيم * ونفع
به في الحياة وبعد الممات * انه قريب مجيب الدعوات *
*(وسميته الفتوحات الوهبية * بشرح الاربعين النووية *
ثم انه ينبغي ان ينبه على المصنف بالتعريف * بذكر نسبه وبعض
مآثره على وجه لطيف * لانه كان علما بين اقرانه * فريدا في عصره
واوانه * فنقول هو يحيى بن شرف الدين بن مرى بضم الميم
وكسر الراء كما وجد مضبوطا بخطه ابن حسن بن حسين بن محمد
ابن جمعة ابن حزام بكسر الحاء المهملة وبالزاى المعجمة الحزامي النواوي
ثم الدمشقي * والنووي نسبة لنوى والنسبة اليها بحذف الالف
على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة * وقد اقام الشيخ بدمشق
نحوا من ثمانية وعشرين سنة واستدل ابن المبارك بقول من قال
من اقام ببلد اربع سنين نسب اليها * ولد في العشر الاول من المحرم
سنة احدى وثلاثين وستمائة وقيل في العشر الاوسط منه سنة
ثلاثين وستمائة وهذا هو المعتمد * ونوى قرية من قرى دمشق
ونشأ بها وقرأ بها القرآن ولله در القائل حيث قال

* لقيت خيرا يا نوى		ووقيت من ألم النوى *
* فلقد نشأ بك عالم		لله اخلص ما نوى
* وعلى علاه وفضله		فضل الحبوب على النوى *

فلما بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان
نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وايقظه وقال يا ابت ما هذا
النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ اهله جميعا فلم يروا شيئا
فعرف والده انها ليلة القدر فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ
يس بن يوسف المراكشي من اولياء الله تعالى فرأى الصبيان يكرهونه

نسخة: اذ ذاك

على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك
الحال قال فوقع في قلبي محبته وجعله أبوه في دكان يشتغل بالبيع
والشراء عن القرآن قال الشيخ يس فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته
به وقلت له هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم
وينتفع الناس به فقال أمنجم أنت فقلت لا وإنما أنطقني الله الذي
أنطق كل شيء بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن
وقد ناهز الاحتلام قال الشيخ فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم
بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين يعني وستمائة فسكنت المدرسة
الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض وكان قوتي بها
جراية المدرسة لا غير قال بعضهم وكان يتصدق منها أيضا
ومن قوة يقينه ملازمته لحية عظيمة في بيته بالرواحية ويراها
كل قليل تخرج إليه ويقدم لها اللبابة تأكله حتى أتى بعضهم رآه في غفلة
وهو يطعمها اللباب فقال له يا سيدي ما هذه وخاف فقال له هذه
خلق من خلق الله لا تضر ولا تنفع أسألك بالله أن تكتم ما رأيت
ولا تحدث أحدا قال وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف
وبقية المهذب في باقي السنة قال فلما كانت سنة إحدى وخمسين
حججت مع والدي وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من أول
رجب فأقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من شهر ونصف
قال والدي ولما توجهنا للرحيل من نوى أخذته الحمى إلى يوم عرفة
ولم يتأوه قط فلما عدنا إلى نوى ونزل إلى دمشق صب عليه العلم صبا
قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية فبينا أنا في بعض الليالي
في الصفة الشرقية منها ووالدي وإخوتي وجماعة من أقاربي
نائمون إلى جنبي إذ نشطني الله تعالى وعافاني من الحمى فاشتاقت
نفسي إلى الذكر فجعلت أسبح فبينما أنا كذلك بين السر والجهر إذا
بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضأ على حافة البركة وقت نصف

الليل او قريب منه فلما فرغ من وضوئه اتاني وقال لي يا ولدي لا تذكر الله تشوش علي والدك واخوانك ومن في هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من انت فقال انا ناصح لك شارد عني فوقع في نفسي انه ابليس فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت صوتي بالتسبيح فاعرض علي ومشى الى ناحية باب المدرسة فتبعته فوجدته مقفلا وفتشتها فلم اجد فيها احدا غير من كان فيها فقال والدي ما خبرك فاخبرته فجعلوا يتعجبون وقعدنا كلنا نسبح ونذكر قال ابن العطار واخبرني الشيخ القدوة ولي الدين ابو الحسين قال مرضت فعادني الشيخ محيي الدين فلما جلس عندي جعل يتكلم في الصبر فلما تكلم جعل الالم يذهب قليلا قليلا حتى زال فعرفت انه ببركته وكان شديد الورع والزهد صابرا على خشونة العيش حتى ان رجلا من اصحابنا قشر خيارة ليطعمه اياها فامتنع من اكلها وقال اخشى ان ترطب جسمي وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه فغلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا ياكل في اليوم والليلة الا اكلة واحدة بعد العشاء مما يؤتى به من عند ابويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب المبرد اي الملقى فيه الثلج وكان لا يجمع بين ادميين ولا ياكل اللحم الا عندما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة سنجابية ولم يتناول من فواكه دمشق لشبهة فيها قال ابن العطار فسالته عن ذلك فقال دمشق كثيرة الاوقاف واملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي ووجد في مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووي ان بواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ في الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج وخشيت معه خطوات فاذا نحن بمكة فاحرم الشيخ وطاف

وسعى ثم طاف وسعى ثم طاف الى اثناء الليل ورجع ثم تشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية قال الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث الاشرفية بعد موت ابي شامة سنة خمس وستين وفي البلد من هو اسن منه واعلى سندا فلم ياخذ من معلومها شيئا الى ان مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجيء له به فلم ياكله فلما مات رآه بعض اهله فقال ما فعل الله بك فقال اكرم نزلي وتقبل عملي واول قرائي جاء لي التفاح * وتوفي يوم الاربعاء رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه * روي انه انشد ابياتا عند الوفاة منها هذان البيتان وزيد ما بعدهما

تباشر قلبي في قدومي عليهم * وبالبشر روحي يوم تسري اليهم
وفي رطتي يضنو مقامي وحبذا * مقام به حط الرحال لديهم
ولا زاد لي الا يقيني بانهم * لهم كرم يغني الوفود عليهم

واشتهر ان الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الاخيار انه رأى فيما يرى النائم رؤيا كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب فعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لي الليلة قطب يحيى النووي فاستيقظت من منامي ولم اكن اعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق اني دخلت المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في دار الحديث في الاشرفية وهو الآن جالس فيها للميعاد فاستدللت عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره علي فنهض قائما الى جهتي وترك الجماعة ومشى الي طرف ايوانها ولم يتركني اكلمه وقال اكتم ما معك ولا تحدث به احدا ثم رجع الى موضعه ولم اكن رأيته قبلها ولم اجتمع به بعدها * وحكى اليافعي في آخر الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ يعدو خلفه ويقول ملكتك اياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك

وقد افتتح رحمه الله كغيره بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم)
اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذى بال
اى شأن يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر وفى
رواية اقطع وفى رواية اجذم بالجيم والذال المعجمة وفى بعض الروايات
بحمد الله وهو من التشبيه البليغ فى العيب المتقرر ومعنى الجميع انه ناقص
قليل البركة او مقطوعها وان تم وكمل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى
كثيرا من الامور التى يبدأ فيها ببسم الله لم تتم ونرى امورا بالعكس
وخرج بذى البال المحرم والمكروه وفى وصف الامر بذى البال
فائدتان الاولى رعاية اسم الله حيث يبتدأ به فى الامور التى لها بال
وشأن وخطر والثانية التيسير على الناس فى عدم طلبها فى محقرات
الامور واورد ان البسملة امر ذو بال فتحتاج الى سبق مثلها
ويتسلسل واجيب بان المراد الامر الذى يقصد لذاته من حيث
لا يكون وسيلة لغيره واورد عليه طلبها فى الوضوء مع انه غير
مقصود لذاته دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والاولى
ان يقال انها كما تحصل البركة لغيرها تحصل مثل ذلك لنفسها
ايضا كالشاة من اربعين تزكى نفسها وغيرها والباء للاستعانة
متعلقة بمضمر يحتمل ان يكون اسما وان يكون فعلا عاما او خاصا
مقدما او مؤخرا والاولى ان يكون فعلا وان يكون خاصا وان
يكون مؤخرا اما اولوية الفعلية فلان العمل للافعال بالاصالة
واما اولوية كونه خاصا فلان التالى لها فى كل محل يعين العامل المحذوف
ولذا يضمر كل فاعل ما تجعل التسمية مبدأ له قال الشيخ سعد الدين
لا خفاء ان العامل المضمر هو الفعل المخصوص والتسمية انما جعلت
مبدأ للفعل الحسى ففى الكلام حذف مضاف اى لفظ ما جعلت
التسمية مبدأ له اهـ اى فيضمر المسافر أسافر والآكل آكل واما
اولوية التأخير فلان المقصود الاهم البداءة باسمه تعالى ردا على الكفار

في ابتدائهم باسماء آلهتهم ولانه ادل على الاختصاص واورد على ان التقديم للاختصاص قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدًا لذلك لوجب ان يؤخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالى احق برعاية ما يجب رعايته واجيب بان الاهم فيه القراءة لانها اول ما نزل الى ما لم يعلم فكان الامر بالقراءة اهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله اهم في نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرأ الثاني ومعنى اقرأ الاول اوجد القراءة من غير اعتبار تعديته الى مقروء كما في فلان يعطي والجواب الاول للزمخشري والثاني للسكاكي قال ابن عادل وفي الثاني نظر لان الظاهر على هذا الجواب ان يكون اقرأ الثاني توكيدًا للاول فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما اكده مع الفصل بكلام طويل اهـ واجيب عن ذلك بانه لا يمتنع الفصل بين المؤكد والمؤكد ولو باجنبي الا ترى ان قوله كلهن توكيد للنون في قوله ولا يحزن مع الفصل بقوله ويرضين بما آتيتهن وبحث في هذا الجواب بان التاكيد هنا معنوي وما نحن فيه لفظي وربما يجوز في الاول الفصل دون الثاني لانه لما كان التاكيد في اللفظ موافقًا للاول في لفظه ومعناه فالفصل بينهما كالفصل بين اجزاء الكلمة ولا كذلك المعنوي وبان الثاني لا يصلح ان يكون توكيدًا لان الاول عام والثاني خاص اذ الاول امر بايجاد القراءة مطلقًا والثاني بقراءة مقيدة ونظيره الذي خلق خلق الانسان من علق وكسرت الباء ومن حق الحروف المفردة ان تفتح قال البيضاوي لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر اهـ قال بعضهم مبينًا التعليل المذكور لاختصاصها من بين حروف الجر بمجموع امرين كونها لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بدونه وفي كل منهما مناسبة للكسر اما الجر فلموافقة حركتها اليها واما الحرفية فلاقتضائها السكون الذي هو عدم الحركة

وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لا يوجد في الافعال ولا في غير المنصرف من الاسماء ولا في الحروف الا نادراً كجير وانما جعلنا المقتضي للعدول الى الكسر اختصاصهما بمجموع الامرين ولم يجعل كل واحد منهما مقتضيا على حدته لئلا ينتقض لزوم الحرفية بواو العطف وفائه فانهما لازمان للحرفية ولزوم الجر بكاف التشبيه اذ هي لازمة وان انفكت عن الحرفية فان قيل فكل من واو القسم وتائه لازم للحرفية والجر معاً وليس مبنيا على الكسر فلينتقض بهما اجيب بان هذه ليست عللاً حقيقية وانما هي مناسبات وحكم لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملها لم يكن بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن الباء لحملهما عليها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرأ باسم ربك وغيره وطولت الباء عوضا عنها ولانهم ارادوا ان لا يفتتح كلام الله تعالى الا بحرف معظم مطول والاسم عند البصريين اصله سمو بضم اوله او بكسره فهو من الاسماء التي حذفت اواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن واشتقاقه من السمو اي بضم السين وكسرها وهو العلو واما عند الكوفيين فاصله وسم بفتح الواو وحذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهي العلامة وايد مذهب البصريين بان الحذف من الاواخر اولى قال ابو العباس بن عطاء الباء بره لارواح انبيائه بالهام الرسالة والنبوة والسين سره مع اهل المعرفة بالهام القدرة والانس والميم منته على المؤمنين بدوام النظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وقال ابو بكر بن طاهر الباء بره للعارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال جعفر ابن محمد الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه واضافته للجلالة

من اضافة العام للخاص * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق
لجميع المحامد واصله عند البصريين آله فدخلت عليه ال فاجتمع
همزتان بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كانه اجتمع
همزتان فحذفت الثانية ونقلت حركتها للام الساكنة قبلها فاجتمع
لامان متحركان فاسكنت الاولى لانه حقها وادغمت في الثانية
وفخم وانما لم تحذف الهمزة الاولى لانها مجتلبة لسكون اللام وعند
الكوفيين لاه فادخل عليها الالف واللام وادغم وفخم واصل
لاه لوه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وهو اعرف
المعارف وحكى ابن جني ان سيبويه رؤي بعد موته في
المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة
فقيل له بم فقال بقولي ان اسم الله تعالى اعرف المعارف
وبه يقيد قول النحاة اعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس
بمشتق ورؤي الخليل بن احمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك
قال غفر لي بقولي في اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من اله
يأله كعلم يعلم اذا تعبد وقيل اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته
وفي عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق
في اسماء الله فالمراد به ان المعنى ملحوظ في ذلك الاسم والا فشرط
المشتق ان يكون مسبوقا بالمشتق منه واسماء الله تعالى قديمة
لانها من كلامه على ان الاختلاف المذكور انما هو في لفظة اله
لا في الجلالة والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيا للمبالغة
وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله
والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم كظريف وشريف من ظرف
وشرف لتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم او بجعله لازما بنقله
الى فعل بالضم والفرق بين ما تنزل منزلة اللازم وما جعل لازما
ان الاول متعد للمفعول لكن يقطع النظر عن مفعوله لفظا وتقديرا

كما في فلان يعطي ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما
فرأيت الاول لازم اى اوجدت الرؤيا بخلاف ما جعل لازما فانه
يعتبر غير متعد ولا مفعول له اصلا والرحمة في اللغة رقة القلب
وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان وهذا المعنى محال في
حقه تعالى فهي في حقه بمعنى الانعام او ارادته فهي صفة فعل
على الاول وصفة ذات على الثاني والرحمن ابلغ من الرحيم لان
زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع بتخفيف
احدهما وتشديد الآخر وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية
اى الافراد واخرى باعتبار الكيفية اى الصفات فعلى الاول
قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه
يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة ودقيقة
ونقض كون زيادة البناء دالا على زيادة المعنى بحذر فانه ابلغ من حاذر واجيب
بان ذلك اكثرى لا كلي وبان ذلك عند اتحاد نوع المشتقات
قال الزمخشري ومما طن على اذني انهم يسمون مركبا من مراكبهم
بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل اهل العراق
فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل
العراقي فقال اليس اسمه الشقندف قلت بلى قال فهذا اسمه
الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن
والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا لانه صار كالعلم
فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم واما قول الشاعر
وانت غيث الورى لا زلت رحمانا * فاجاب عنه الزمخشري
بان ذلك من شدة تعنتهم في كفرهم قال التاج السبكي
وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر السبب الحامل لهم
على الاطلاق والجواب السديد ان المختص به تعالى هو المعرف

بالآخرة دون غيره *(تنبيهات)* الاول قال ابو بكر
ابن عبد الله المزني الرحمن بنعم الدنيا من المال والاهل والولد
والرحيم بنعم الدين من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر
ابن محمد الصادق الرحمن للمرادين والرحيم للمريدين وقيل الرحمن
بنعمه الباطنة والرحيم بنعمه الظاهرة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم
بالنفع الثاني نقل الدماميني في حاشية البخاري عن
بعض المتأخرين انه قال صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة
كرحيم وغفور كلها مجاز اذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها
لان المبالغة هي ان تثبت للشيء اكثر مما له وانما يكون ذلك
فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك
قال وهي فائدة حسنة اه ولاشك ان هذا انما يأتي تفريعا
على ان هذه الاسماء صفات فان قلنا انها اعلام فلا يرد ذلك
لان العلم لا يقصد مدلوله الاصلي من مبالغة ولا غيرها
الثالث الرحمن الرحيم فيهما سبعة اوجه جائزة رفعهما
ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع نصب الثاني وعكسه
وخفض الاول مع رفع الثاني او نصبه ووجهان ممتنعان
رفع الاول او نصبه مع خفض الثاني لامتناع الاتباع بعد القطع
(فائدة) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لمن قال تعس الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن
قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب
وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع
بطنه فشكى الى الله تعالى فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي
باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك
العشب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته اولا فانتفعت
به واكلته ثانيا فضرني فقال له لانك في المرة الاولى ذهبت

منى الى الكلام فحصل لك الشفاء وفى المرة الثانية ذهبت منك
الى الكلام اما علمت ان الدنيا سم قاتل وترياقها اسمى (الحمد لله)
مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختيارى
على وجه التعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة اولا وسواء تعلق بالفضائل
اى الصفات التى لايتعدى اثرها الغير كالحسن واللطافة
ام بالفواضل اى الصفات المتعدى اثرها اليه كالانعام والتعظيم
والشجاعة وعلم من قولنا الوصف انه لايكون الا بالكلام لان الوصف
قول الواصف فمورده اى محله خاص ومتعلقه اى السبب
الباعث اليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من
اثنت عليه بجميل صفاته فقد عظمته ولا حجة فى قوله تعالى ذق
انك انت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم تكن صفة الكافر
اذ ذاك العزة والكرم بل ضدهما وهو الذل والاهانة واورد
على قيد الاختيار وصفه تعالى بصفاته الذاتية كالعلم والقدرة
والارادة لان تلك الصفات ليست بافعال ولا يوصف ثبوتها
بالاختيار واجيب بانها لما كانت مبدأ لافعال اختيارية
كان الحمد عليها باعتبار تلك الافعال واما الحمد عرفا فهو فعل
ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل
قولا باللسان بان يثنى عليه به او اعتقادا بالقلب بان يعتقد
اتصافه بصفات الكمال او عملا وخدمة بالاركان والجوارح
بان يجهد نفسه فى طاعته فمورده عام وهو اللسان وغيره
ومتعلقه خاص وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة واما اصطلاحا
فهو صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما
الى ما خلق لاجله من الطاعات كان يصرف البصر الى الاطلاع
على ما فى مصنوعاته من دقائق الصنع العجيب والحكم الانيقة
ويصرف القلب الى التفكر والاستدلال بها على وجود الصانع

وصفاته بأن يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وباتقان
الاثر واحكامه على علم المؤثر وقدرته وكان يصرف السمع الى تلقى
ما ينبئ عن مرضاته من الاوامر والنواهى وقس على ذلك سائر النعم
الظاهرة والباطنة ولعزة هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادى
الشكور وال فى الحمد للاستغراق وقيل للجنس وحكى عن الشيخ
ابى العباس المرسى نفعنا الله به انه قال قلت لابن النحاس النحوى
ما تقول فى الالف واللام من الحمد لله اجنسية هى ام عهدية
فقال يا سيدى قالوا انها جنسية فقلت له الذى اقوله انها
عهدية وذلك ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد
نفسه بنفسه من الازل نيابة عن خلقه قبل ان يحمدوه
ثم امرهم ان يحمدوه بذلك الحمد فقال يا سيدى اشهد لك انها عهدية
وهو معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام مزيد
اهتمام به وان كان ذكر الله اهم فى نفسه كما مر فى اقرأ باسم ربك
واختار المص الجملة الاسمية لانها مفتتح الكتاب العزيز ولانها
تدل على الدوام والثبوت فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى
قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد له تعالى
فالجواب ان المراد به تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام
كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا
بالروايتين السابقتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ
الابتداء حقيقى واضافى فالحقيقى حصل بالبسملة والاضافى
بالحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع * (تنبيهات)
الاول اختلف فى الفاضل من الحمد فقيل الحمد لله بجميع محامده
كلها ما علمت منها وما لم اعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم اعلم
زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم اعلم وقيل اللهم
لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقيل الحمد لله

حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وفي رواية الحمد لله رب العالمين
حمدًا يوافي الخ وقيل ليس كمثله شيء وينبغي ان يفرغ وهو ما اذا حلف
المكلف ليحمدن الله بافضل المحامد ومن اراد ان يخرج من الخلاف
فليحمدن الله بجميعها وسيأتي في الحديث الثالث والعشرين شيء من
هذا ايضًا ولو حلف ليثنين على الله عز وجل احسن الثناء يقول
لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وزاد بعضهم
فلك الحمد حتى ترضى الثاني قال ابن ناجي الحمد لله ثمانية احرف
وابواب الجنة ثمانية فمن قالها فتحت له ابواب الجنة الثمانية
الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل قول العبد
الحمد لله رب العالمين او قوله لا اله الا الله فذهبت طائفة الى الاول
لان في ضمنه التوحيد ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وفي قوله لا اله
الا الله توحيد فقط واحتجوا بما روي من حديث ابي هريرة وابي
سعيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال
لا اله الا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة
ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه
ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثاني لانها تنفي الكفر وعليها
يقاتل الخلق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله
قال ابن عطية بعد ان اختار هذا والحاكم بذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله
وحده لا شريك له (رب) يحتمل معاني ثلاثة الاول كونه اسم فاعل
واصله رابب ادغمت احدى الباءين في الاخرى وحذفت الفه
لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل الثاني صفة مشبهة
واصله ربب على وزن فعل الثالث كونه مصدرًا بمعنى اصل
التربية وهي تبليغ الشيء شيئًا فشيئًا الى الحد الذي اراده المربي
ثم سمي به السيد المطاع ومنه قوله تعالى اذكرني عند ربك اي عند سيدك

والمعبود ومنه ربنا الله والمالك ومنه قوله تعالى رب السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب غنم فقال من كل آتاني الله فاكثر واطيب وقول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن * والمعبود ومنه قول الشاعر *

ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وارب به اي اقام به والمربي ومنهم الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب او لانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره اي بالتدريج ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات رباني هذه الامة والمصلح ومنه الحديث الك نعمة تربها اي تصلحها وقيل سمي الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها ويصح اطلاقه بالمعاني الخمسة على الله تعالى الا انه بالثلاثة الاول من صفات الذات وبالباقي من صفات الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربي احسن مثواي وذكر الحسن بن الفضل ان في الرب قولا ثانيا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب بالمكان وارب به والتدبير وفي الحديث انه كان يتعوذ بالله من فقر مرب او ملب قال الشاعر * رب بارض ما تخطاها غنم * واعلم ان وجوه تربيته تعالى للخلق لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى فمنها تربية النطفة اذا وقعت في الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظاما وغضاريف ورباطات واوتار واوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير في كل قوة خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا في ابن حجر وقوله غضاريف بالضاد المعجمة جمع غضروف وهو الين من العظم واصلب من غيره اي سائر الاعضاء ومنفعته ايصال العظام بالاعضاء اللينة لئلا يتاذى اللين بمجاورة الصلب

بلا واسطة ويليه العصب وهو جسم ابيض لدن لين صعب الانفصال الذي سهل الانعطاف اللين ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لاحس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت من اطراف اللحم شبه المفصل وعبارة القانون شبه العصب يتصل بين العظام اذ لا يمكن اتصالها بالعصب للطفه وصلابتها ولانه مع الرباط لعدم زيادة حجمه بزيادة تبلغ ذلك والاوردة جمع وريد وهي العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم على الاعضاء والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وفتحه ونباتها من القلب ومنفعتها ترويح القلب ونفض البخار عنه وهي العروق الضوارب اهـ ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطي ويختص المحلى بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال القرطبي في تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اهـ وهو مخالف لقول البيضاوي ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول ان الممنوع منه انما هو المعرف فقط واما المنكر فلا منع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثاني منع المنكر ايضا حيث لم يقيد وهو الذي يصار اليه قال بعضهم وفي لفظ رب خصوصية لا توجد في غيره من اسمائه تعالى وهي انك اذا قرأته طردا كان من اسماء الله تعالى واذا قلبته كان من اسماء الله تعالى وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن (العالمين) جمع عالم بفتح اللام اسم لما يعلم به غيره وهو مشتق من العلم فيختص بذويه على ما يأتي او العلامة لانه علامة على موجده وانه متصف بصفات الكمال

وانما جمع لتحقق شموله لكل جنس مما سمي به واختلف في العالمين
فقال قتادة والحسن ومجاهد هم جميع المخلوقات وقال الفراء
وابو عبيدة هم عبارة عما يعقل وهم اربع امم الانس والجن والملائكة
والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وقال مقاتل هم ثمانون الف عالم
نصفها في البر ونصفها في البحر وقال الضحاك ثلثمائة وستون
عالما يلبسون الثياب وقال ابن المسيب لله عز وجل الف عالم
ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقال وهب ثمانية عشر الف
عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط ضرب
في الصحراء وقال ابو سعيد الخدري ان لله تعالى اربعين الف
عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد ونقل ايضا عن انس
انه قال العالمين هم الملائكة وهم ثمانية عشر الف ملك منهم اربعة
آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق واربعة آلاف وخمسمائة ملك
بالمغرب واربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الثالث من الدنيا واربعة
آلاف وخمسمائة بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان
ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن ورائهم ارض بيضاء كالرخام عرضها
مسيرة الشمس اربعين يوما طولها لا يعلمه الا الله تعالى مملوءة
ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو
كشف عن صوت احدهم لهلك اهل الارض من هول صوته
منتهاهم الى حملة العرش وقال معاذ النحوي هم بنو آدم فقط
وقال ابو الهيثم خالد بن يزيد هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا ورواه ابن جبير عن ابن عباس وقال ابو عمرو
ابن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي
روح دب على وجه الارض لكن قال الشارح المحقق تخصيصه
بذي الروح او بالناس او بالثقلين والملائكة او بالثلاثة
مع الشياطين او بني آدم او باهل الجنة والنار او بالروحانيين

بحايم

يحتاج لدليل وقال كعب الاحبار لا يحصى عدد العالمين احد الا الله سبحانه وتعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وال في العالمين للاستغراق ومنع ابن مالك كون العالمين جمعا لعالم وقال بل هو اسم جمع له لئلا يلزم ان المفرد اعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلاء وشمول العالم لهم ولغيرهم فهو نظير قول سيبويه ليس اعراب لكونه لا يطلق الا على البدو جمعا لعرب لشموله له وللحضري وجوابه منع اختصاص العالمين بالعقلاء بل يشمل غيرهم كما صرح به الراغب وانما غلبوا في جمعه بالواو والنون لشرفهم وعلى التنزل وان العالمين خاص فهو جمع لعالم مرادا به العاقل فلا محذور حينئذ (قيوم) وزنه فيعول من القيام وحينئذ فاصله قيووم بواوين قبلهما ياء ساكنة فابدلت الواو الاولى ياء وادغمت في الياء الساكنة فصار قيوم واختلفوا في معناه فقال قتادة معناه القائم بتدبير خلقه وقال سعيد بن جبير معناه القائم على كل نفس بما كسبت وقال ابن عباس معناه الدائم الوجود الذى لا يحول ولا يزول وقيل العالم بالاشياء وقال القشيري معناه الدائم القائم بتدبير خلقه وحفظهم وهو احسن الاقوال واجمعها قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وعليه فمعنى القيوم في وصفه تعالى انه المدبر والمتولي لجميع الامور التي تجري في العالم والحافظ لها ومعنى قيوم السموات والارضين مقيمها وموجدهما وحافظهما وقال عبد القاهر ان اخذنا القيوم من معنى القيام على النفوس بارزاقها وآجالها والجزاء لها على اكتسابها كما قال عز وجل افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كان من اوصافه المشتقة من افعاله ولم يكن من صفاته الازلية وان اخذناه من معنى الدائم لقوله عز وجل الا ما دمت عليه قائما اي مواظبا مديما للقيا

كان من صفاته الذاتية لانه يكون من معنى الباقي وبقاؤه
صفة ازلية اه وفيه اربع لغات قيوم بتشديد الياء وقيوم
بالهمزة وقيم وقيام وبهما قرئ شاذاً (السموات) جمع سماء وهي
الجرم المعهود وتطلق على كل مرتفع وقدمها لشرفها وعلو مكانها
وجمعها لتباين اجناسها قال الاستاذ القشيري الاولى
موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من الفضة والرابعة
من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد
والسابعة من النور والعرش من جوهرة خضراء والكرسي من النور
وقال الربيع بن انس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة
بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من
فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وجاء
عن سلمان الفارسي لكن بسند واهٍ السماء الدنيا من زمردة
خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة
من درة بيضاء والخامسة من ذهب والسادسة من ياقوتة
خضراء والسابعة من نور (والارضين) بفتح الراء وقد تسكن
جمع ارض مؤنثة وكان حق الواحد منها ارضة لكن لم يقولوه
وجمعها بالياء والنون شاذ قيل وانما جمعت جمع العقلاء
جبراً لنقصها بعد ظهور علامة التأنيث فيها وهي مشتقة
من ارضت القرحة اذا اتسعت فسميت ارضاً لاتساعها ولا عبرة
بقول من قال سميت ارضاً لانها ترض بالاقدام لان الرض مكرر
الضاد ولا همزة فيه وجمعها وان كان خلاف ما في الآيات
لرعاية الفواصل وللاشعار بان الاصح انهن سبع لقوله تعالى
ومن الارض مثلهن اي في العدد لا في الهيئة والشكل فقط
فهي سبع طباق بين كل طبقتين كما بين السماء والارض خلافاً
للضحاك الذي زعم انه لا فتق فيها ويدل لكونها سبع طباق

الحديث المتفق عليه من ظلم قيد بكسر القاف اى قدر شبر من ارض طوقه من سبع ارضين وزعم ان المراد من سبع اقاليم خروج عن الظ لغير دليل ولا وجه لتحمل شبر لم يأخذ ظلما بخلاف طباق الارض فانها تابعة ملكا وغصبا وفى حديث البيهقى اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن وانما افردت فى القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة فى افرادها فى القرآن ثقل جمعها لفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المقر والمنكر يعترف بهما لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قلت ما الحكمة فى خلق السماء بغير عمد وما الحكمة فى خلقها قبل الارض فالجواب كما قال النيسابورى خلقها قبل الارض ليعلم ان فعله خلاف افعال الخلق لانه خلق اولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل لها سبعة ابواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملائكة والروح وباب صعود الاعمال وباب تنزل منه الملائكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة وباب الرحمة فان قيل لم جعلها خضراء ومن اى شئ خضرتها قيل انما جعلها خضراء لتكون اوفق للبصر لان الاطباء يأمرون بادمان النظر الى الخضرة لتكون قوة للبصر قال الغزالى رحمه الله تعالى وفى النظر الى السماء عشر فوائد منها انه يعرف ويذهب السواد ويقوى البصر وزينة للناظرين وعندك من الانشراح بقدر ما فى بيتك من السماء واما خضرتها فقيل من جبل ق لانه من زمرد اخضر وهو خلف مغيب الشمس بسنة وخضرة السماء منه وقيل خضرتها من الصخرة التى تحت الارض السفلى تحت النون المشار له بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا الشمس

ما نبتت زرع ولاخرجت فواكه وجعلها تطبخ من فوق والناس يطبخون بالنار من تحت وجعل القمر طباخا لسائر انواع الفواكه وجعل الله فى الشمس من الخواص انها تذبل الورد وتجفف الغصن والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام فى الشمس وتجعل الماء حارا والبطيخ باردا وتبيض الثياب وتسود وجوه القصارين

*(تنبيه) الارض العليا افضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعهم بها ودفن الانبياء بها وهى مهبط الوحى وغيره من الملائكة قاله فى كشف الاسرار ونقل عن بعضهم ان السماء الدنيا افضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطى قلت ورد الاثر بخلافه اخرج عثمان بن سعيد الدارمى فى كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سيد السموات السماء التى فيها العرش وسيد الارضين التى نحن عليها وقد رفع للعلامة السيوطى رحمه الله تعالى سؤال صورته

يا عالم العصر لازالت انا ملكم * تهمى وجودكم نامر هذا الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة * من الافاضل اهل العلم والفطن
فى الارض قد خلقت قبل السماء وقل * بالعكس جا اثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشأة * بالخلق قبل السما قد جاء فى السنن
ومنهم من اتى بالعكس مستندا * الى كلام امام ماهر فطن
اوضح لنا ما خفى من مشكل وابن * نجاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماحى الضلالة هادى الخلق للسنن

فاجاب رحمه الله تعالى بما صورته

الحمد لله ذى الافضال والمنن * ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما * قد قصه الله فى حم فاستبن
ولاينافيه ما فى النازعات اتى * فدحوها غير ذاك الخلق فى الفطن

فالحبر اعني ابن عباس اجاب برا * لما أتاه به قوم ذوو الشنن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي * ينجو من النار والآثام والفتن
قال القاضي عياض ولبس في غلظ الارض وطبقاتها وما بينهما
حديث ثابت ثم ان الارض وردت في القرآن لمعان الاول
ارض الجنة كقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض يعني ارض الجنة والثاني الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها يعني الارض المقدسة الثالث
ارض المدينة خاصة كقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي الذين آمنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون يعني ارض المدينة الرابع ارض
مكة خاصة كقوله تعالى في الرعد اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها قال بعضهم يعني ذهاب العلماء الخامس ارض مصر
كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض وكذا قوله
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر السادس ارض
العرب كقوله تعالى في المائدة او ينفوا من الارض وكقوله تعالى في
الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني ارض العرب
السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها (مدبر) امور (الخلائق) جمع خليقة بمعنى
مخلوقة وترد بمعنى الخلق والطبيعة ومنه
* وان تلك قد ساءتك مني خليقة * البيت وبمعنى الجديرة *
قال الشاعر * خليقته بكل مديح خليقة * اي طبيعته بكل مدح
جديرة والمراد الاول اي مصرف امور الخلق بقدرته على وفق
مشيئته من ايجاد واعدام واعطاء ومنع وغير ذلك على ما تقتضيه
حكمته البالغة ولا يحسن ان يقال مدبر الخلائق على حسب ما تقتضيه
المصلحة لان في الخلق من عاقبتهم النار وهم الكفار الا ان يراد
تدبير الخلائق في الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت

إفاضة المصالح الدنيوية على المؤمن والكافر وإنما جمع الخلائق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر والتدبير في صفات البشر التفكر في عواقب الأمور قال الله عز وجل افلا يتدبرون القرآن ومعناه افلا يتفكرون في معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت في عواقبها ولا يوصف الاله سبحانه وتعالى بالتفكر في الامور فانه لم يزل عالماً بها قبل وقوعها واختلفوا في تأويل قوله عز وجل في صفة الملائكة فالمدبرات امراً فمنهم من قال معناه انها تاتى بالتدبير من عند الله عز وجل ومنهم من قال معناه انهم يجدثون بالوحى عن الله عز وجل قال ابو عبيد يقال دبرت الحديث اى حدثت به عن غيرى فالمدبرات امراً المحدثون عن الله عز وجل بامره ونهيه واخباره وفي الحديث اما سمعت عن معاذ بن جبل تدبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع الخلائق ليعلم ان التدبير اليه في العالم العلوى والسفلى من اعلى العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن قال الله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض فان قيل اذا كان تدبير الاله نافذاً في السماء والارض وما بينهما فلم انتهى التدبير الى الارض في الذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما في قوله تعالى الى المرافق وفي قوله من انصارى الى الله فهو من باب دخول الحد في المحدود فهو المدبر للارض والسماء وما بينهما (اجمعين) تأكيد نص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق او اتى به للتسجيع (باعث) اى مرسل لطفاً منه وفضلاً منه تعالى لا وجوباً خلافاً للمعتزلة مشتق من البعث وهو الارسال كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولاً وقوله ثم بعثنا من بعدهم رسلاً ويطلق بمعنى النشر والاحياء بعد الموت ومنه قوله عز وجل فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك البعث من النوم اى الايقاظ

ومنه قوله عزّ وجلّ في اصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض يقال منه بعث فلان بعيرًا فانبعث اى اثاره فثار ونهض (الرسل) جمع رسول وهو من البشر انسان حرّ ذكر اكمل معاصريه غير الانبياء عقلًا وفطنة وقوّة رأى وخلقا بالفتح وعقدة موسى عليه الصلاة والسلام ازيلت بدعوته عند الارسال كما في الآية معصوم ولو من صغيرة سهوًا ولو قبل النبوّة على الاصح سليم من دناءة اب وخناء ام وان عليا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء ايوب وعمى يعقوب بناء على انه حقيقى لطروه بعد الانبياء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروءة كاكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة اوحى اليه بشرع وامر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر فنبى فقط وبينهما عموم وخصوص مطلق وهو افضل من النبى اجماعًا لتميزه بالرسالة التى على الاصح هى افضل من النبوة خلافًا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافى ان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبى فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معًا بشخص واحد اما مع تعدد المحل فلا خلاف فى افضلية الرسالة على النبوة فقط ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبياء مطلوبة اذا ذكروا لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكرتموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر قال (صلاته) اى رحمته المقرونة بتعظيم وخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييزا لرتبتهم على غيرهم وتنظير بعض الشراح فى تفسيرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها فى اولئك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة ولانها مستحيلة في حقه تعالى وتصويبه انها المغفرة
غير سديد لانها اخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص
صحيح مفيد ولان المراد بهما كما مرّ في حقه تعالى غايتهما كسائر
الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا في شرح الهيتمي نعم
يرد ان الرحمة فعلها متعدّ والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير
القاصر بالمتعدي كذا قيل وفيه بحث وفي بعض النسخ صلواته
بالجمع (وسلامه) اسم مصدر بمعنى تسليمه اى تحيته او تسليمه
اياهم من كل آفة ونقيصة (عليهم) كلمة على هنا مجردة عن المضرة
كما في قوله تعالى فتوكل على الله فلا يرد ان الصلاة بمعنى الدعاء
واذا استعمل الدعاء مع كلمة على يكون للمضرة مع انه يمكن الفرق
بين صلى عليه ودعا عليه (الى) متعلق بباعث (المكلفين)
جمع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس وكذا من الجن
بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا
لمن وهم فيه كما بينه السبكي في فتاويه واما بقية الرسل فلم
يرسل احد منهم اليهم كما قاله الكلبي وروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما واما حكم سليمان فيهم واطاعتهم له فليس من
جهة رسالته بل لكونه ولي عليهم فكان له عليهم تسلط بالملك
وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى لا يدل على انهم كانوا مكلفين به لجواز ايمانهم به
تبرعا منهم وليس منهم رسول من الله تعالى عند جماهير العلماء
واما قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم فالمراد به من احدكم وهو
الاكثر على حد قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وجعل القمر فيهن
نورا وكذا الملائكة بالنسبة لنبينا ايضا لانه مرسل اليهم على الاصح
عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة
زاد السبكي انه مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله

بعثت الى الناس كافة شاملة لهم من لدن آدم الى قيام الساعة
بل اخذ بعض المحققين بعمومه حتى للجمادات واستدل له بشهادة
الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطي وازيد من
ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازي في تفسيره ليكون للعالمين
نذيرا الشامل لهم اجمعنا على ان المراد الانس والجن دون الملائكة
مردود او مؤول بان مراده اجماع الخصمين اذا جمعنا انما يقال
لذلك غالبا لا اجماع كل الامة على ان هذا لا يؤخذ من مثل الرازي
بل من مثل ابن المنذر وابن جرير واما غير نبينا فغير مرسل اليهم
قطعا ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه
والايمان به واشتهار ذكره وللجمادات انه ركب فيها ادراكات
لتؤمن به ولتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اي حقيقة
بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضي عياض
والسهيلي في الروض الانف في غزوة احد وابن المنير والسيوطي
في حاشية الموطا وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا
للبيضاوي في سورة الاسراء اذا تقرر هذا فاطلاق المصنف بعثته
الرسل الى المكلفين ليس المراد به عمومه كما عرفت فان قلت تكليف
الملائكة من اصله مختلف فيه فالجواب كما قال الشهاب الهيتمي
ان الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف نحو الايمان لانه ضروري
فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال * (تنبيهات) *
الاول ذكر ابن جماعة ان المكلفين ثلاثة اقسام قسم مكلف
من اول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحوى وقسم لم
يكلف من اول الفطرة قطعا وهم اولاد آدم وقسم فيه نزاع والظاهر
انهم مكلفون من اول الفطرة وهم الجن الثاني قال في شرح
الترغيب والترهيب ما نصه سئل النووي هل يأجوج ومأجوج

من ولد حوى عليها السلام وكم ثبت انه يعيش كل واحد منهم *
فاجاب هم ولد حوى وآدم عليهما السلام عند اكثر العلماء وقيل
انهم من ولد آدم من غير حوى فيكونون اخواننا من الاب اى
انهم خلقوا من منى خرج من آدم فى غير حال الجماع ووقع فى الارض
وخلقوا منه ولم يثبت فى قدر اعمارهم شئ ونقل ابن عبد البر الاجماع
على انهم من ولد يافث بن نوح وان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن
ياجوج وماجوج هل بلغتهم دعوتك يا رسول الله فقال جزت ليلة
أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا فهم من اهل النار وصرح بان الصحيح
انه لم يرسل اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى
يقول يوم القيمة يا آدم اخرج بعث النار الحديث وروى الطبرانى
انه صلى الله عليه وسلم قال ياجوج لها اربعمائة امير وكذلك ماجوج
لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده اهـ المراد منه
وانظر على هذا الصحيح من انه لم يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوى انه ارسل اليهم
غيره خلاف ما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع انه لم
يرسل اليهم (لهدايتهم) مصدر مضاف للفاعل او المفعول اى
لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدى وتجنب
طريق الردى قال المولى سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد
والمشهور ان الهداية عند المعتزلة هى الدلالة الموصلة الى المطلوب
وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سواء حصل الوصول
والاهتداء اولم يحصل اهـ وكل من القولين منقوض اما الاول فمنقوض
بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واما
الثانى فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدى من احببت واحتمال
التجوز مشترك والهادية من كل شئ اوله وما يتقدمنه ولهذا قيل
اقبلت هوادى الخيل اذا مدت اعناقها واما الذى روى عنه

انه عليه السلام خرج في مرضه يهادى بين اثنين فمعناه انه يميل بينهما ويعتمد عليهما من ضعفه وكل من فعل ذلك باحد فهو يهاديه وتهادت المرأة في مشيتها اذا تمايلت وفي امثال العرب في معنى الهداية قولهم اهدى من الانسان الى فيه واهدى من يد الى فم واهدى من قطاة واهدى من حمامة لان القطا والحمامة يسيران من وكريهما ومنهليهما مسافة ايام كثيرة ثم يهتديان اليهما واللام في كلام المص لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لما يلزم على ذلك الذى ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر في محله والهدى يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق دله عليه (وبيان) البيان والتبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء وذلك لانهما مشتقان من البينونة والابانة وهي عبارة عن التفريق بين امرين متصلين فاذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة فلهذا سمي بيانا وتبيينا (شرائع) جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي لغة مشرعة الماء اى مورده الذى للشارب واصطلاحا ما شرع الله لعباده من الاحكام من شرع بمعنى بين وبمعنى سن ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين اى سن (الدين) هو لغة يطلق على امور منها الطاعة ومنه قول زهير

لئن حللت بواد في بني اسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

اراد في طاعة عمرو والجزاء ومنه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى جزاءهم الحق الذى وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع اى الجزاء لواقع يوم التلبية والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم اى الحساب الصحيح وقوله تعالى انا لمدينون اى لمجزيون وقول لبيد

حصادك يوما ما زرعت وانما * يدان الفتى يوما بما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان اى كما تجازى تجازى والتوحيد

ومنه قوله تعالى الا لله الدين الخالص اى التوحيد وبمعنى الملة
ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا فيعبر به عن داء من
ادواء القلب ومنه قول الشاعر * يا دين قلبك من سلمى وقد دينا *
والعادة والعمل ومنه قولهم

اذا اردت لها وضيني * فهذا دينه ابدا وديني *

والوضين الموذج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج والسياسة
ومنه قول ذى الاصبع * ولا انت ديانى فتخزونى * والحال
ومنه قول النضر بن شميل سألت اعرابيا عن شئ فقال لو لقيتنى
على دين غير هذا لاخبرتك اى على حال غير هذا والقهر والخضوع
ومنه قول العرب دنته فدان اى قهرته فخضع واصطلاحا وضع
الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات
فخرج بقوله الهى الاوضاع الصناعية وبقوله سائق الوضع الالهى
غير السائق كانبات الارض وامطار السماء وقوله لذوى العقول
الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة
لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر وقوله بالذات متعلق
بسائق اى ان الوضع الالهى بذاته سائق لانه ما وضع الا كذلك
ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم
بذاته خير والاضافة فى شرائع الدين بيانية لان ما شرعه الله تعالى
لعباده من الاحكام هو الدين ويصح ان تكون على معنى اللام بان
يراد بالشرائع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفى اثبات الشرائع
للدين استعارة تخييلية ويصح ان تكون من اضافة المشبه به
الى المشبه فيكون تشبيها مؤكدا اى وبيان الدين الذى هو كالغدو
كالشريعة كما قال الشاعر

والريح تلعب بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

(بالدلائل) متعلق ببيان جمع دلالة بتثليث الدال بمعنى الدليل

قال ابن قاسم في الآيات البيّنات الدليل بزنة فعيل وفعيل جمعه على فعائل غير مقيس واجيب بانه يحتمل ان يراد بالدلائل جمع دلالة والدلالة تصدق على الدليل كما قال المحلّي وجمعه على دلائل حينئذ مقيس والدليل في اللغة المرشد الى المطلوب وفي اصطلاح اهل الميزان ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر وفي اصطلاح اهل الاصول ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى علم او ظنّ فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثاني كخبر انما الاعمال بالنيات وذهب اكثر المتكلمين الى انه لا يستعمل الدليل الا فيما يؤدّي الى العلم واما ما يؤدّي الى الظنّ فليس بدليل ثم هو كما قال الزركشي في البحر ثلاثة اقسام سمعي وعقلي ووضعي فالسمعي كالكتاب والسنّة والاجماع والعقلي ما دلّ بنفسه كدلالة الحدوث على المحدث والوضعي ما دلّ باستناده كالعبارة الدالّة على المعاني ووصفها بقوله (القطعيّة) وهي الادلة المؤدّية للعلم ليخرج الدلائل الظنّية ووصفت المؤدّية للعلم بالقطعيّة لانها تقطع معارضة الخصم او للقطع بمقدّماتها نحو كل انسان جسم وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح الهيتمي فان قلت اكثر ادلة الشريعة ظنّية لانّ مقدّماتها كذلك نحو الطمأنينة ركن في الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط لها النيّة فكان ينبغي له حذف القطعيّة قلت انما هي ظنّية بالنسبة الينا بخلافها لمن سمعها من النبي صلّى الله عليه وسلّم فانها بالنسبة اليه قطعيّة والكلام انما هو في بيان الرسل الشرائع وذلك جميعه قطعي ويصحّ ان يراد بدلائلهم معجزاتهم الدالّة على صدقهم وكلها قطعيّة لاستفادتها من دليل مؤلّف من مقدّمتين قطعيّتين نحو الرسل جاؤا بالمعجزات وكل من جاء بالمعجزات صادق فالرسل صادقون اما الصغرى فضروريّة حسيّة والكبرى

ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة للعادة وخرقها لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهو لا يؤيد بذلك كاذبا وقد ايدهم بها فلم يكونوا كاذبين بل صادقين (واضحات البراهين) هو من اضافة الصفة للموصوف اى البراهين الواضحة التى لا اشكال فيها جمع برهان وهو لغة الحجة وايضاحها من البرهنة وهى البيضاء من الجوارى واصطلاحا ما تركب من تصديقين متى سلما لزمهما لذاتهما قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث وعطفه على ما قبله من عطف المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه (احمده) اى اصفه بجميع صفاته الجميلة وذكر الحمد مرتين للجمع بين نوعيه الواقع فى مقابلة صفاته تعالى والواقع فى مقابلة نعمه وخص الاول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار والثانى بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات واستمرارها وتجدد النعم وتعاقبها (على جميع نعمه) جمع نعمة بكسر النون بمعنى المنعم به واما بفتح النون فهى التنعم قال تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور وجعل بعض المحققين النعمة فى كلام المص بمعنى الانعام لا بمعنى المنعم به لان الاول وصف قائم بذاته تعالى دائم مستمر والثانى اثره والحمد على الانعام الذى هو من اوصاف المنعم ابلغ منه على اثره الواصل الينا وفى الحديث ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده واختلف الناس فى ذلك فمذهب الصوفية اثر النعمة فى الاعطاء للخلق وان عرى هو وجاع ومذهب الفقهاء حسن اللبس والنعمة هى المنفعة الخالية من الضرر ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر فى الدنيا فقيل نعم وعليه القاضى الباقلانى وصوبه الرازى لقوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وذكر آيات كثيرة فيها دلالة لذلك وقيل لا وعزى للاشعرى لانه وان وصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة لا اعتداد بها

بالنسبة الى الضرر الدائم فى الآخرة ومن ثمة قال الله تعالى
ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما الآية قال
بعض المحققين والخلاف لفظى اذ لا خلاف فى وصول نعم
اليه وانما النزاع فى انها اذا حصل عقبها ذلك الضرر الابدى
هل تسمى حينئذ فى العرف نعما او لا فهو نزاع فى مجرد التسمية
واستبعده بعضهم وقد اختلف ايضا هل هو منعم عليه فى
الآخرة او لا فذهب الى الاول المعتزلة رائين ان ما من عذاب
الا وفى قدرة الله ما هو اشد منه لكن لا يقال انه فى نعمة وذهب
غيرهم الى الثانى قال بعضهم واقل نعمة انعم الله بها على
العبد المؤمن من النعم الدنيوية الحياة التى توصل بها الى ادراك
اللذة التى لا يعقبها ضرر لاجلها خلافا للمعتزلة فى ان اولها
الحياة فى الجملة ويلزمهم ان اصحاب النار المقيمين فيها منعمون
والاجماع على خلافه واعظم النعم الدنيوية الايمان خلافا
للمعتزلة فى انه ليس من النعم البتة لنا انه سبب للخلود فى الجنة
دون سائر الاعمال فوجب كونه اعظمها واعظم النعم الاخروية
مشاهدة الذات العلية فى جنة عالية قطوفها دانية #
(واسئله) من السؤال وهو كما قال الراغب استدعاء معرفة
او ما يؤدى الى معرفة واستدعاء مال او ما يؤدى الى مال
فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة
والاشارة واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها
اما بوعد او برد والسؤال اذا كان للتعريف تعدى للمفعول
الثانى تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سألته كذا وسألته عن
كذا وبعن اكثر نحو ويسئلونك عن الروح واذا كان السؤال
لاستدعاء مال فانه يعدى بنفسه او بمن نحو واذا سألتموهن
متاعا واسئلوا الله من فضله اهـ والسؤال من الادنى للأعلى

دعاء وعكسه امر ومن المساوى التماس وقال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التى تدل على طلب الفعل دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالمقارن وذلك لانها ان قارنت الاستعلاء فهى امر وان قارنت التساوى فهى التماس وان قارنت الخضوع فهى سؤال ودعاء فالسؤال ما دل على طلب الفعل دلالة وضعية مقارنة للخضوع وهكذا (المزيد) اللام عوض عن المضاف اليه اى مزيد النعم (من فضله) هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة اهـ ومعنى لا عن ايجاب انه تعالى تصدر عنه افعاله باختيار لا بغيره كما تقول الحكماء فانهم يجعلونه علة وطبيعة تحصل آثارها من غير اختيار كالعلة ومعلولها والطبيعة ومطبوعها ومعنى قوله ولا عن وجوب انه لا يجب عليه تعالى ذلك خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح ورد بانه لو وجب عليه لما وقعت محنة دنيا واخرى ولا تكليف بامر او نهى وعلى هذا فمن للتعدية ويصح كونها للتعليل اى من اجل اتصافه بالفضل وسائر صفات الكمال اذ لا يسئل حقيقة الا من هو كذلك (وكرمه) فيه الوجهان المذكوران وهو بذل اى اعطاء الكثير لغير علة اى دنيوية او اخروية وضده اللؤم ويطلق الكرم بمعنى ايثار الصفح عن الجانى ومن عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الذين وحكى اليافعى فى روض الرياحين ان شخصا انشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف الف درهم وهما سألت الندى هل انت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد

فتلك شراة قال لابل ورائم * توارثني من والد بعد والد *
(واشهد) اى اعلم واتحقق واذعن فلا يكفي العلم من غير اذعان كما هو شأن كثير من اهل الكتاب الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم
(ان لا اله) اى لا معبود بحق موجود او في الوجود (الا الله) بالرفع على البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر العائد على اسم لا على المختار عند ابي حيان وهو الاشهر وقيل على البدلية من لا اله لان محل لا مع اسمها رفع بالابتداء ويجوز نصبه على الاستثناء لا على البدل من اسمها لان لا انما تعمل في نكرة منفية ولفظ الله معرفة مثبتة واتى بالشهادة لما رواه ابو داود وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء (الواحد) في ذاته فلا يتبعض ولا يتجزى وصفاته وافعاله بمعنى عدم مشاركة غيره له فيهما فهو الغني على الاطلاق الذي لا يحتاج الى غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القرآن بالواحد والاحد فقال تعالى والهكم اله واحد وقال تعالى قل هو الله احد فهل بينهما فرق من جهة المعنى قلت من الناس من يفرق بينهما معنى وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الى الذات والاحدية راجعة الى الصفات اى واحد في ذاته واحد في صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الى نفي المثل والاحدية الى نفي الجزء ومنهم من عكس كذا في شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصاري (القهار) من القهر لانه ما من موجود الا وهو مقهور تحت قدرته ومسخر بقضائه او الذي قهر الجبابرة في الدنيا بالدمار وقهر جميع اعدائه في الآخرة بالبوار (الكريم) المنعم المتفضل الذي يعطي من غير مسئلة ولا وسيلة او المتجاوز الذي يقبل العثرات ويصفح

الاجر على الحسنات او الذى يعطى ولا يكدر عطاءه بالمن والاذى او السيد الذى يتنع عن ان ينال بامتهان من قولهم اكرم نفسك عن الهوان وقد سمى الله عز وجل القرآن كريما لامتناعه عن ان يعارض بمثله والكريم يطلق على الله تعالى بخلاف السخى لعدم وروده ولاشعاره بجواز الشح (الغفار) من الغفر وهو ستر الشئ وتغطيته اى ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك المؤاخذة بها فى العقبى ويقال لجنة الرأس مغفر لانه يغفر الرأس اى يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ واعلم ان الغفور ابلغ من الغافر لانه فعول موضوع للمبالغة والغفار ابلغ من غفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر الله على عبده مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور وان ادام الستر عليه فهو الغفار له فاذا ستر على عبده فى الدنيا وعفا عن عقوبته فى الآخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه فى الآخرة وعاقبه على الباقى فهو غافر له وان غفر له اكثر ذنوبه وعاقبه على القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوى لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث على الخوف والثانى بالرحمة واستحضارها يبعث على الرجاء (واشهد ان محمدا) علم منقول لا مرتجل من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذى هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون على وفق تسمية الله تعالى له به قبل الخلق بالفى عام على ما ورد عند ابى نعيم وليطابق اسمه صفته لكثرة خصاله المحمودة ورجاء ان يحمده اهل السموات والارض وقد حقق الله رجاءه ومحمد ابلغ من محمود باعتبار فعلهما وان تساوى الاسمان فى عدد الحروف اذ الاول من الثلاثى المضعف والثانى

من الثلاثي المجرد وذكر المص هذا الاسم دون غيره لانه اشهر اسمائه ولذكره في القرآن متكررا دون غيره ولشرفه اذ هو مشتق من اسمه تعالى كما قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

روى ابن عساكر عن كعب الاحبار ان آدم رآه مكتوبا على ساق العرش وفي السموات وعلى كل قصر وغرفة في الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين اعين الملائكة ولم يسم به احد قبله لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم ونشر اهل الكتاب نعته وشاع قبل ظهوره للوجود الخارجي ان نبيا يبعث اسمه محمد سمى قليل من العرب اولادهم به رجاء النبوة لهم والله اعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم ان يدعي النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره وعدتهم اما خمسة او ستة او اربعة عشر او خمسة عشر او سبعة عشر والذي اقتصر عليه الشمس الهيتمي انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام واما احمد فلم يتسم به احد قبله فيما اعلم (عبده) قدمه امتثالا لما في الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والرد على اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى ان عزيرا ابن الله والثانية المسيح ابن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى اول مقال المسيح لما طلبت منه امه اجابة القوم عنها وهي اني عبد الله ولان العبودية اشرف اوصافه عليه الصلاة والسلام ولذلك وصف بها في اشرف المقامات فذكر في انزال القرآن عليه في تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفي مقام الدعوة عليه وانه لما قام عبد الله يدعوه وفي مقام الاسراء والوحي في اسرى بعبده فاوحى الى عبده ما اوحى

فلو كان له وصف اشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية
وليس للمؤمن صفة اتم ولا اشرف من العبودية ولقد احسن
القاضي عياض حيث قال

وممّا زادني شرفا وتيها ❊ وكدت باخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ❊ وان صيّرت احمد لي نبيا

وعن احمد اخي الغزالي ان القارئ قرأ عنده يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم فقال شرفهم بياء الاضافة الى نفسه بقوله
يا عبادي ثم انشد

وهان عليّ اللوم في جنب حبها ❊ وقول الاعادي انه لخليع
اصم اذا نوديت باسمي وانني ❊ اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقد خيّره الله تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار الثاني ومن ثم لم يتكل لشيء فعله خادمه اف قط
ولا ضرب عبدا ولا امة وهذا شيء لا يسعه الطوق البشري
الا بتأييد الهي (ورسوله) الواو فيه للعطف فعول بمعنى مفعول
وهو لغة المرسل واصطلاحا مر تفسيره كالنبي وانه ذكره
اشارة الى رد ما عليه ابن عبد السلام من تفضيل النبوة على
الرسالة وقد تلف رده اهـ والاضافة فيه وفيما قبله للتشريف
(وحبيبه) فعيل بمعنى الفاعل وحبيب باتا بمعنى محب كاليم
بمعنى مؤلم قال الشاعر

انى تودكم نفسي وآمنكم ❊ حتى ورث حبيب غير محبوب

وقيل بمعنى المفعول اي محبوبه الاعظم مأخوذ من الحبة وهي
خالص كل شيء وقيل من حبب الانسان وهو صفاء بياضها
ونضارتها فهي صفاء المودة وقيل من الحباب وعليه فهي
غليان القلب وثورانه عند التعطش الى لقاء المحبوب (وخليله)
الاعظم فعيل بمعنى مفاعل وهو الذي يخالك اي توافقك

فى خلالك اى خصالك اويسايرك فى طريقك والخل الطريق
فى الرمل او يسد خللك كما يسد خلله او يدخل خلال منزله
او الذى تخلل الحب شغاف قلبه من الخلة بالفتح وهى الحاجة
لانقطاعه الى ربه وقصر حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما
الصلاة والسلام وهو فى المنجنيق بفتح الميم وكسرها ليرمى به فى
النار فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا او من الخلة بالضم
وهى صفاء المودة وتخللها فى القلب فلا تدع فيه محلا الا ملأته
وهى توجب الاختصاص بالاسرار قال ابو العلاء المعرى
والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
او من الخلة بالكسر وهى نبت تستحليه الابل ومن امثالهم
الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها والثانى هو المختار كما قال
الواحدى لان الله تعالى خليل محمد ومحمد خليل الله ولا يجوز
ان يقال الله تعالى خليل محمد من الخلة بالفتح التى هى الحاجة
واختلف هل درجة المحبة ارفع او الخلة اقوال ثالثها هما
سواء واحتج للاول بخبر البيهقى ان تعالى قال ليلة الاسراء
يا محمد سل تعط فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما فقال له الم اعطك خيرا من هذا الى
قوله واتخذتك حبيبا او ما فى معناه وبان الحبيب وصل
بلا واسطة بخلاف الخليل قال الله تعالى فى حق نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى وقال فى حق
ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى
الله النبى والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له
يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الاخرين

والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ورجح الزركشي تبعًا
لابن القيم وغيره الثاني لان المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبر
ان الله اتخذه خليلًا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره
بمحبته لعائشة وابيها وفاطمة وبنيها ولعمر بن الخطاب وكثير
من الصحابة واهل بيته قال ابن القيم وظن ان المحبة ارفع
وان ابراهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل واما ما احتج به
الاولون مما مر فانه يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات ابرهيم
عليهما الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة
وهذا لا نزاع فيه انما النزاع في الافضلية المستندة الى احد
الوصفين والذي قامت عليه الادلة استنادهما الى وصف
الخلة الموجودة في كل من الخليلين فخلة كل منهما افضل من محبته
واختصاصهما بالتوفر معناها الثابت فيهما اكثر من بقية الانبياء
ولكون هذا التوفر في نبينا اكثر منه في ابراهيم كانت خلته
ارفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اهـ وفيه دلالة
على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما لقوله فخلة كل منهما
افضل من محبته (افضل المخلوقات) كلهم من الجن والانس
والملائكة حتى امين الوحي لخبر انا اكرم الاولين والاخرين
على الله ولا فخر وفي رواية انا اكرمكم على ربي وقوله انا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من
نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي ومن آخر هذا وصريح الاولى
علمت افضليته على آدم وقوله انا سيد ولد آدم اما للتأدب
مع آدم او انه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم فاذا فضل
نبينا الافضل من آدم فقد فضل آدم بالاولى ولفظ ولد

انا
ولد
يوم

في الحديث يطلق على الواحد والجماعة فيعم كما قال التلمساني
فاندفع ما قيل انه لا يقتضي العموم الا لو قال اولاد واما
التفضيل بين باقي الانبياء والملائكة ففيه طرق سيأتي
ذكرها ولا ينافي التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
وفي رواية لا تخيروني على الانبياء ولا قوله ايضا لا تفضلوا
بين الانبياء ولا قوله لا تخيروني على موسى ولا قوله ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك
لان عدم التفرقة بينهم انما هو في الايمان بهم وبما جاؤا به
واما النهي فانما هو عن تفضيل في نفس النبوة او الرسالة
فان الانبياء كلهم مشتركون في ذلك من غير تفاوت او عن
تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول او يؤدي الى الخصومة
والفتنة او قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما لاخوانه
الانبياء او قاله قبل ان يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم
وان استبعد بانه رواه ابو هريرة وما اسلم الا سنة سبع فيبعد
انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الا بعد هذا واجاب جمع
كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفي توهم التفاوت
بينهما في القرب لاختلاف محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله
عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر البحر اي لا تتوهموا
من هذا التفاوت تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل
نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة
والمكان وحكى السهيلي عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي
عن شيخه ابي المعالي ان سائلا من العوام سأل ابا المعالي
في مجلسه عن الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا
بحدودها فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني

على يونس بن متى فقال الرجل انا اريد ان اعرف وجه الدليل
فقال ضافني الليلة ضيف له على الف دينار وقد شغلت بالي
فلو قضيت عني قلته فقام رجلان من التجار فقالا في ذمتنا
فقال ابو المعالي لو كان رجل واحد ضمنها لكان احب الي
فقال احد الرجلين او غيرهما هي في ذمتي فقال نعم ان الله
سبحانه وتعالى اسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع
صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكانه
باقرب الى الله من يونس في بعد مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه
بالاجرام والاجسام وانما يتقرب اليه باحسن الاعمال
(المكرم) على غيره من سائر الرسل (بالقرآن) العظيم
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الكلام
المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته
مصدر قرأ اذا جمع لجمعه السور المختلفة وعلوم الاولين والآخرين
والمقراة الحوض اذا جمع فيه الماء وسميت القرية قرية لجمعها
اهلها وقيل مصدر قرأ اذا الف لحسن نظمه وتأليفه (العزيز)
من عز الشئ يعز بكسر العين في المضارع اذا لم يكن له نظير
فهو البالغ من العزة والعظمة الغاية التي لا ترتقي او بمعنى الغالب
من قولهم عز فلان يعز بضم العين اذا غلب ومنه قوله تعالى
وعزني في الخطاب اي غلبني وفي المثل من عز بز اي من
غلب سلب لانه غلب فصحاء العرب وبلغاءهم واعجزهم او بمعنى
المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة
اي المنعة لامتناعه لرصافة مبانيه وصحة معانيه من الطعن
فيه (المعجزة) اسم فاعل مأخوذ من العجز المقابل للقدرة وهي
من حيث هي كما قال الرازي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي
مع عدم المعارضة قال السعد انما قال امر ليتناول الفعل

كانفجار الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق
النار ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر على الفعل جعل
المعجزة هاهنا كون النار بردًا وسلامًا وبقاء الجسم على ما كان عليه
من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدي عن الخارق
الواقع من غير تحدٍ فيسمى كرامةً والخارق المتقدم على التحدي
كتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وكاظلال الغمام له فانه لم يقع
له صلى الله عليه وسلم الا قبل النبوة خلافًا لمن وهم فيه فيسمى ارهاصًا
اى تأسيسًا للنبوة من ارهصت الحائط اذا اسسته والمتأخر
عند نحو ما روى بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين
وشبهه مما تواتر به الاخبار فيسمى كرامةً والتحدي دعوى
الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى والراجح الاول
ولا يشترط في صدق الدعوى تعيين الخارق بل لو قال انا آتى
بخارق لا يقدر عليه غيرى كفى والمتبادر من السياق ان ذلك
الخارق موافق للدعوى فيخرج الخارق المكذب للمتحدي به
كما وقع لمسيلمة اللعين انه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغار
ودعا لشخص اعور فعميت عينه الصحيحة فيسمى استدراجًا
واذلالًا واهانةً ويخرج به ايضًا ما اذا قال معجزتى نطق
هذا الحجر فنطق بانه مفترٍ كذاب بخلاف ما اذا قال احياء
هذا الميت فنطق بانه كاذب لان المعجزة في احيائه وهو بعد
مختارٌ قدم الكفر على الايمان وقد يظهر الخارق على يد عامى
تخليصًا له من فتنةٍ ويسمى معونة واحترز بقيد عدم المعارضة
عن السحر والشعبذة فانه يمكن معارضتهما بتعلمهما ثم ان قيد
التحدي لابد منه لكن لا يشترط عند كل معجزةٍ لان اكثر معجزاته
صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحدٍ بل قيل لم يتحد بغير القرآن
وتمني الموت وانما الشرط وقوعها اى المعجزة ممن سبق منه دعوى

التحدي فتأمل ذلك ليندفع به ما طال به التقاش في تفسيره من ابطال اشتراط ذلك وتزييفه ولا يرد ما سيقع على يد الدجال من الخوارق العجيبة لانه مدع للربوبية لا الرسالة وقد دلت القواطع على كذبه وان ظهور ذلك على يديه لمحض الفتنة لاغير وقد علم مما سبق اشتمال التعريف بالعناية على القيود السبعة التي اعتبرها المحققون في المعجزة اولها ان يكون فعلا لله تعالى او ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للآتي به وثانيها ان يكون خارقا للعادة اذ لا اعجاز دونه وثالثها ان يكون ظهوره على يد مدعي النبوة ليعلم انه تصديق له ورابعها ان يكون مقارنا للدعوى حقيقة او حكما بان تراخي التحدي عن زمان الخارق تراخيا يسيرا بحيث لا يعده العرف منفصلا عنه وخامسها ان يكون موافقا للدعوى اذ المخالف لا يعد تصديقا كفتق الجبل عند دعوى مدعي الرسالة ان معجزته فلق البحر حيث عين الخارق وسادسها ان لا يكون مكذبا له ان كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب فانه يدل على كذبه بخلاف ما اذا قال معجزتي نطق هذا الانسان الميت او احياؤه فحيي وشهد انه مفتر كذاب لانه لا يدل على كذبه لان المعجزة انما هي نطقه او احياؤه وبعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار الكفر على الايمان كما سلف وسابعها ان تتعذر معارضته الا من نبي مثله فان هذا هو حقيقة الاعجاز وزاد بعضهم ثامنا وهو ان لا يكون الخارق واقعا في زمان نقض العادات كما يقع عند قيام الساعة وفيها لا يعد مصدقا ثم ان هذه الشروط جميعها موجودة في القرآن فكان معجزة لانه صلى الله عليه وسلم دعاهم الى معارضته

بالاتيان بمثله فعجزوا ثم بعشر سور فعجزوا ثم بالاتيان بمثل اقصر سورة منه فعجزوا ثم نادي بذلك على جميع البلغاء والفصحاء من العرب العربا مع كثرتهم كثرة رمال الدهنا وحصى البطحاء وشهرتهم بانهم فرسان الفصاحه وشجعان البلاغه وافراطهم في العصبيه وحمية الجاهليه فعجزوا حتى انهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الالفاظ والحروف ووجه اعجازه كما قال الجمهور كونه في الطبقة العليا من الفصاحه والدرجه القصوى من البلاغه على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء العرب بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم باساليب الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والآتيه وعلى دقائق العلوم الالهية* واحوال المبدا والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية والعمليه * والمصالح الدينية والدنيويه * على ما يظهر للمتدبرين* ويتجلى على قلوب المتفكرين* ومما يدل على ان فصحاء العرب انما تقاعدوا عنه لخروجه في فصاحته وبلاغته عن طاقتهم انهم كانوا اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته وسلاسته وجزالته * ويرقصون رؤسهم عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام* وقالت جارية خماسية او سداسية من فصحاء العرب للاصمعي لما رآه تعجب من فصاحة حديثها او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية فقد جمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال بعض بطارقة الروم بعد اسلامه لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان آية من القرآن جمعت كل ما انزل على عيسى

من احوال الدنيا والآخرة وهي ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله
ويتقه الآية وستأتي هذه بأتم من هذا في شرح قوله بجوامع
الكلم (المستمرة) اي الدائمة وفي بعض النسخ المستمر وصفا له
باعتبار لفظه (على تعاقب) اي توالي (السنين) تشهد بصدق
دعواه فيما جاء به وترشد الى الايمان به في كل زمان واما من
قبله من الانبياء فخصه الله تعالى من المعجزات بما ثبتت به
دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزته
كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن موسى لان
الغلبة فيه كانت بالسحر فاتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان
بالملك فاتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى بالطب فاتاهم
بما هو ابهر منه اعني احياء الموتى وفي حديث البخاري ما من
نبي الا اعطي ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته
وحيا اوحاه الله تعالى الي الخ وفي معناه قولان غير متنافيين
يرجع حاصلهما الى ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض
اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن
تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كان
اكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم واكثر معجزات
هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم (و) الكريم (بالسنن) جمع سنة
فعلة بمعنى مفعولة وهي لغة الطريق القويمة يقال فلان
على السنة اي على طريق الاستواء لا يميل الى شيء من الاهواء
واصطلاحا اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله والمراد بها
هنا ما سنه او شرعه صلى الله عليه وسلم من الاحكام فرضا كان
او نفلا من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكان اجراه على
نهج واحد او من سننت النصل اذا احددته او من سن الابل

اذا احسن رعيها وتطلق السنن ايضا على الامم قال بعضهم
ما عاين الناس من فضل كفضلهم * ولا راوا مثلهم في سالف السنن
ونازع الزجاج في ذلك وقال في المعنى اهل السنن فحذف المضاف
(المستنيرة) اي ذات النور المكني به عما تضمنته واشتملت
عليه من هداية العالمين وايقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة
كالبدع فانها تشبه بالظلمات لما يتخيل فيها من سواد وظلام
او هو للايضاح تشبيها لها لوضوحها واهتداء الناس بها
وظهور احكامها بذات النور لما يتخيل فيها من بياض واشراق
ثم ان استنارتها وان ظهرت لكل احد الا انها لا تتضح
كمال الاتضاح الا (للمسترشدين) جمع مسترشد وهو طالب
الرشاد ضد الغي (المخصوص) من الله تعالى عن سائر الانبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام (بجوامع الكلم) من اضافة
الصفة للموصوف اي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم اوتيت
جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت بجوامع الكلم وفي خبر
احمد اوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وتخصيص المروي
جوامع الكلم بالقرآن مردود وجوامع واحدها جامعة والمراد
انه يجمع القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره كقوله
فيما سيأتي انما الاعمال بالنيات وقوله ان تعبد الله كأنك تراه
وقوله لمن ساله الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيث
ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وقوله كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وقوله ومن بطأ
به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كاسنان المشط والمرء
كثير باخيه والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك
مثل ما يرى لنفسه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
ما هلك امرؤ عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم *

اوسكت فسلم جبلت القلوب على حب من احسن اليها الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلى ما قل وكفى خير مما كثر والهى البلاء موكل بالمنطق وزعم ابن الجوزى وضعه ورد جمال الرجل فصاحة لسانه الحياء خير كله الدال على الخير كفاعله كل معروف صدقة حبك للشئ يعمى ويصم وليس بموضوع بل حسن خلافا لمن وهم فيه ما جمع شئ الى شئ احسن من حلم الى علم زرغبا تزدد حبا القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم النساء حبائل الشيطان الظلم ظلمات يوم القيمة * وجوز ابن حبيب ان يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكلم كل قبيلة بلسانها وان لم يكن رآها قبل وجنح ابن العربى الى غير ذلك فقال اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعانى تلك الاسماء التى حملها آدم وهى المراد بحديث اوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذوات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاة الذات ضوعف لنا الاجر والمشهور الاول ومن القران قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى زاد الحسن لم تترك هذه الآية خيرا الا امرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو نائم فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند رأسه وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر ما شأنك قال اسلمت لله قال هل لذلك سبب قال نعم

انى قرأت التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبياء
فسمعت أسيئا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما فى الكتب المتقدمة
فعلمت انه من عند الله فاسلمت قال ما هذه الآية قال قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال عمر رضى الله
عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم ولبعضهم
وجوامع الكلم الذى فحت له * سجدت لها البلغاء والاقلام
اى خضعت (وسماحة الدين) لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت
بالحنيفية السمحاء اى السهلة لخلوها عن التكاليف الشاقة التى
كانت على اليهود كتعين القصاص فى القتل عمدا كان او خطأ
ولا تجزى الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وفقئ العين فى
النظر الى ما لا يحل وقتل النفس فى التوبة وقرض موضع النجاسة
من الجلد والثوب وربع المال فى الزكاة واسترقاق السارق
للمسروق منه وتحريم الغنائم ومجالسة الحائض ومؤاكلتها
ومضاجعتها والاشتغال يوم السبت واذا اذنب احدهم حرم
عليه كل الطيب بتشديد المثناة التحتية من الطعام واصبح ذنبه
مكتوبا على بابه فيحد وخلوها عن التفريط المفرط المفوت لمحاسن
الآداب الذى كان فى النصرانية من نحو مخامرة النجاسة وجماع
الحائض وتعيين العفو عن القود والمراد بالحنيفية الملة
الابراهيمية مقتبسا من قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا والحنيف
عند العرب من كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سموا
من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المائل عن الباطل الى الحق
سمى ابراهيم عليه السلام حنيفا لانه مال عن عبادة الاوثان
والسمحاء فى الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة
السمحاء هى الملة التى لا حرج فيها ولا تضييق على الناس وهى ملة
الاسلام وجمع كونها حنيفية وكونها سمحة فهى حنيفية فى التوحيد

سهلة في العمل ولما صلى وسلم على جميع الرسل عمومًا اعادهما عليه صلى الله عليه وسلم خصوصًا ثم على الانبياء والرسل عمومًا فقال (صلوات الله وسلامه عليه) اظهارًا لعظمته واداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم اذ هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التي اعظمها الهداية للاسلام انما هي ببركته صلى الله عليه وسلم وعلى يديه وامتثالًا لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا واغتنامًا للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ احمد زروق يحتمل ان يكون المراد كتب وهو اظهر او قرا الصلاة المكتوبة وهو اوسع وارجى اه وذكر بعض شيوخنا ان صورة اربع وان الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك او قراه ان كان مكتوبًا واما من صلى عليه باللفظ في كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبًا فيه فانه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله ما دام اسمي الخ اذ هو في هذه الحالة لم يدم اسمه في ذلك الكتاب فتامله ويفهم مما ذكر انه لو جمع بين الكتابة والصلاة لفظًا يحصل له الفضل المذكور بالاولى فان قيل لم اكد سلموا دون صلوا في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا قيل لتاكيدها بان ولتقدم ذكر الصلاة من الله والملائكة اولًا ولان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد واما البشر فلما صدر من بعضهم ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد دفعًا كدلوقوع الانكار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين والذي يظهر ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله ابو عبد الله محمد الرصاع * (تنبيه)

قال ابن الجوزى فى مفتاح الحصن واما الجمع بين الصلوة
والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى صلوا عليه
وسلموا تسليما ولو اقتصر على احدهما جاز من غير كراهة فقد جرى
عليه جمع منهم مسلم فى صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبى
فى قصيدته اللامية والرائية قال وقول النووى وقد نص
العلماء على كراهة الاقتصار على الصلوة عليه من غير تسليم اهـ
لا اعلم احدا نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم وذكر
شيخنا ابو الفضل بن الخطيب ان الشافعى اقتصر على الصلوة
دون تسليم فى خطبة الرسالة وكذا الشيخ ابو اسحاق الشيرازى
فى تنبيهه وكذا النووى فى خطبة عقيدته اهـ من اذكار
الشامى وقال الحطاب فى شرح خطبة المختصر شاع فى كلام
كثير من العلماء كراهة افراد الصلوة عن السلام وعكسه وممن
صرح بالكراهة المؤلف قال السخاوى فى القول البديع وتوقف
شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر فى اطلاق الكراهة وقال فيه نظر
نعم يكره ان يفرد الصلوة ولا يسلم اصلا اما لو صلى فى وقت
وسلم فى وقت فانه ممتثل اهـ ويتأكد بما فى خطبة مسلم والتنبيه
وغيرهما من مصنفات ايمة السنة من الاقتصار على الصلوة
فقط وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على ان افراد
الصلوة عن السلام لا يكره وكذا العكس لان تعليم السلام
تقدم قبل تعليم الصلوة اهـ المراد منه وقال بعض شيوخنا
وقع فى كتب اهل المذهب المتقدمين وقوعا شائعا ذكر السلام
دون الصلوة عليه حتى اخبرنى من يوثق به انه راى نسخة
من المنتقى بخط الباجى لم يذكر فيها سوى السلام فى كل محل
ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدل على عدم كراهة افراد
السلام عن الصلوة خطا واذا كان لا يكره افراد السلام

فافراد الصلاة اولى لان الصلاة واجبة قطعا وجرى خلاف في وجوب السلام وتقدم في كلام السخاوي ان اقتصار مسلم وصاحب التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط يدل على عدم كراهة الافراد (وعلى سائر) بمعنى باقي كما قاله الازهري والحريري والقاضي عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وابن الصلاح من السؤر وهو بقية نحو الماء وهو المشهور فيها الذي عليه الاكثر واختلفوا هل هو الباقي مطلقا قل او كثر او الباقي الاقل والاول هو الصحيح وبمعنى الجميع كما قاله الجوهري والجواليقي وابن بري من سور المدينة وهو حائط محيط بها وعليه قول القائل

الزم العالمين حبك طرا * فهو فرض في سائر الاديان

(النبيين) جمع نبيء بالهمز من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء عن الله بما يوحي اليه او بنبوته وبكسرها على ما قاله بعضهم لانه يخبر عن نفسه بذلك ولقول بعضهم انه يجب عليه ان يخبر غيره بنبوته وان نظر فيه وبترك الهمز وهو الاكثر اما مخففا من المهموز بقلب همزته ياء واما من النبوة وهي الرفعة لان النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم رجح هذا (والمرسلين) واسماء الانبياء كلها اعجمية الا اربعة محمد وشعيب وهود وصالح قال التتائي في شرح الرسالة القيروانية وزاد ابن ناجي اسمعيل وفيه نظر اذ لفظ اسمعيل اعجمي نعم الانبياء كلهم عجم الا خمسة محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب والحاصل ان محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية وكذا اسماؤهم واما اسمعيل فذاته عربية واسمه اعجمي (وآل) اصله اهل ابدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية الفا ويدل له تصغيره على أهيل كذا قيل وهو غير متجه

اذ يجوز ان يكون اهيل تصغير اهل لا تصغير آل وقيل اصله اول بفتح الواو تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ولا يضاف الا لمن له شرف من العقلاء الذكور فلا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة واما قوله تعالى ادخلوا آل فرعون الآية فلشرفه الدنيوي كذا قيل والحق ان القيود كلها اغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

والصحيح جواز اضافته للضمير ومنه حديث اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم (كل) اى كل واحد من النبيين بحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه والذى اختاره الامام مالك والازهرى ورجحه النووى فى شرح مسلم ان آله صلى الله عليه وسلم اتباعه وهم امة الاجابة وهو اللائق بمقام الدعاء لكن قيده القاضى حسين وغيره بالاتقياء منهم ويؤيده قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون قيل فيحمل كلام من اطلق عليه وقيل يبقى على اطلاقه بان يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخبر آل محمد كل تقى سنده واه جدا وروى عن جابر من قوله بسند ضعيف وجرى فيه خلاف فى بابى الزكاة والفيء والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما باقاربه المؤمنين من بنى هاشم وزاد الشافعية والمطلب (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا فى الشارح المتنى وايضا الصحابة داخلون فى آله سواء فسرناه بمطلق اتباعه او بالاتقياء منهم * (تتمة) * فى منع الصلاة على غير الانبياء والملائكة استقلالا او كراهتها

وكونها خلاف الاولى خلاف والاصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى فهو من خصائصه واما تبعا كما هنا فجائزة اتفاقا (اما بعد) اى بعد البسملة والحمدلة والتشهد والصلاة والسلام على من تقدم واتى بهما تأسيا به صلى الله عليه وسلم لانه كان يأتى بها فى خطبه وكتبه وهى يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى آخر واصلها مهما يكن من شئ بعد البسملة والحمدلة وما معهما فاقول قد روينا الخ فوقعت كلمة اما موقع اسم هو المبتدا وفعل هو الشرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللازم للمبتدا قضاء لحق ما كان وابقاء له بقدر الامكان * قاله فى المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لا لقوله لزمتها الفاء لان لزوم الفاء لاما كلى اذ لا تحذف من جزائها الا فى ضرورة الشعر كقوله * فاما القتال لا قتال لديكم * وقوله لزمها لصوق الاسم يرد عليه قوله تعالى فاما ان كان من المقربين الآية والجواب ان فى الكلام حذف مضاف اى فاما المتوفى ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف واما الجواب بان الرضى وصاحب المغنى جوزا وقوع الشرطية بعدها فلا يتم واما هذه حرف شرط وتوكيد دائما وتفصيل غالبا وبعد ظرف مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة لمشابهة الحرف لاحتياجه الى معنى ذلك المحذوف وانما بنيت على حركة تنبيها على ان لها عرقا فى الاعراب وعلى الضم جبرا باقوى الحركات لما لحقها من الوهن بحذف ما يحتاج اليه وليحصل لها جميع الحركات لانها فى الاعراب كانت اما مجرورة بمن او منصوبة على الظرفية اولتخالف حركة بنائها حركة اعرابها واختلف فى اول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة

والسلام وهو الاشهر وهى فصل الخطاب الذى اوتيه لانها
تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ وقيل
اول من تكلم بها يعقوب وقيل ايوب وقيل سليمان وقيل قس
ابن ساعدة الايادى وقيل كعب بن لؤى وقيل يعرب بن قحطان
وقيل سحبان بن وائل وعليها ففصل الخطاب الذى اوتيه داود
البينة على المدعى واليمين على من انكر لكن القول بان اول من
تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقولها
فى خطبه وهو قبل سحبان اجماعا اذ سحبان كان فى زمن معاوية
واجيب بان المراد اول من قالها بعد النبى صلى الله عليه وسلم
وصحة هذا الجواب تتوقف على انها لم تضبط من اصحابه بعده
ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن خلاف ذلك لما علم من
كمال محافظتهم على الاقتداء به فى نحو ذلك والاولى فى الجواب
انه اول من تكلم بها فى الشعر كقوله
لقد علم القوم اليمانون انى * اذا قلت اما بعد انى خطيبها
وبعد ظرف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم *
(فقد روينا) قد للتحقيق وانى بنون العظمة لاظهار نعمة
التلبس بالعلم المتأكد تعظيمه اهله امتثالا لقوله تعالى واما
بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما
وايضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون اثبت
واوكد وقد يقال النون ليست للعظمة بل للمتكلم مع غيره
اشارة الى ان هذا الحديث قد تداولته الرواة الذين هو منهم
طبقة بعد طبقة وانه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته
به والرواية الاخبار عن امر لا ترافع فيه الى الحكام وروينا
بفتح اوله مع تخفيف الواو المفتوحة عند الاكثرين من روى
يروى اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضم الراء وكسر الواو

مشددة اى صبين و نا رواة عنهم باجازتهم لنا (عن علىّ) اول من اسلم من الصبيان وله سبع سنين او ثمان او تسع او عشر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى اهله فقال يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان قال اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى وعنه انه قال انطلقت انا والنبى صلى الله عليه وسلم حتى اتينا الكعبة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبى فذهبت لانهض به فرأى منى ضعفا فنزل وجلس لى نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال اصعد على منكبى فصعدت على منكبيه قال فنهض بى فانه يخيل الىّ انى لو شئت لنلت افق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر او نحاس فجعلت ازاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت من خشية ان يلقانا احد وعن سهل ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يذكرون ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال اين على بن ابى طالب فقيل له يا رسول الله انه يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال على يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه

صنم ٥

فوالله

فوالله لان يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من ان تكون لك
حمر النعم وكان له من الولد اربعة عشر ذكراً وتسعة عشر انثى
وعن الارقم انه قال رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له فى السوق ويقول
من يشترى منى هذا السيف فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت
به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندى
ثمن ازار ما بعته وجاء رجل من مراد اليه وهو يصلى فى المسجد
فقال احترس فان اناساً من مراد يريدون قتلك فقال ان
مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا
بينه وبينه فان الاجل جنة حصينة واستشهد غداة الجمعة
سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادى لسبع بقين
من رمضان وقيل فيه لثلاث عشرة بقين منه وقيل ليلة احدى
وعشرين وقيل يوم الاحد وله ثلاث وستون سنة وغسله
ابناه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن ودفن فى
الصحراء عند مسجد الجماعة فى الرحبة مما يلى ابواب كندة
قال الصغانى او فى قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره
ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك
وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم
لما وجده نائماً فى المسجد وقد علق التراب بجسمه فايقظه وقال له
قم اباتراب ولقب ايضاً بحيدرة ومروياته خمسة اوستة وثمانون
حديثاً (ابن ابى طالب) واسمه عبد مناف بن عبد المطلب
(وعبد الله بن مسعود) الهذلى صاحب سواك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه توفى بالمدينة سنة اثنين
وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين اوسبعين سنة
ومروياته ثمانمائة وثمانية واربعون وسيأتى عند ذكره شئ من مناقبه
(ومعاذ) بضم الميم وفتح المهملة وبالمعجمة (ابن جبل) بالتحريك

عبد الأشهل الانصاري شهد معاذ بدرًا وما بعدها وبعث
الى اليمن قاضيًا ومعلمًا مات في طاعون عمواس بالاردن سنة
ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومن رواته مائة وسبعة
وخمسون وسيأتي عند ذكره شيء من مآثره (وابي الدرداء) بفتح
المهملتين وسكون الراء عويمر بن زيد وقيل ابن عامر الانصاري
الخزرجي كان فقيهًا عابدًا زاهدًا شهد المشاهد كلها وهو حكيم هذه
الامة باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وسكن الشام وولاه عمر
ابن الخطاب القضاء بدمشق وكان ابو الدرداء يقول اطلبوا
العلم فان عجزتم فاحبوا اهله فان لم تحبوهم فلا تبغضوهم
وعنه ايضًا رضي الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة
وكتب الى مسلمة بن مخلد الانصاري اما بعد فان العبد
اذا عمل بطاعة الله احبه الله فاذا احبه الله حببه الى خلقه واذا
عمل بمعصية الله ابغضه الله فاذا ابغضه الله بغضه الى خلقه
وعنه ايضًا استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع
النفاق قال ان يرى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع وقيل
له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد قال شعرًا
قال وانا قد قلته فاسمعوا فقال رضي الله عنه

يريد المرء ان يعطى مناه * ويأبى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله افضل ما استفاد

وعنه ايضًا ادركت الناس ورقًا لا شوك فيه فاصبحوا شوكًا
لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان تركتهم لا يتركوك قالوا
فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك ولما اشتكى
دخل عليه اصحابه فقالوا ما تشتكي فقال ذنوبي قالوا فما تشتهي
قال الجنة قالوا افلا ندعو لك طبيبًا قال هو الذي اضجعني ومات
بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين

في خلافة عثمان ومر وياته ماية وتسعة وعشرون (و) عبد الله
(ابن عمر) بن الخطاب الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى الله
عليه وسلم وكان الزم الناس متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في افعاله
وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث او اربع وسبعين ومروياته الفان
وسبعمائة وثلاثون وسيأتي عند ذكره شيء من مآثره (و) عبد الله
(ابن عباس) حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن ودعا له النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومات
بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة ومروياته
الف وستمائة وثمانية وستون وسيأتي عند ذكره شيء مما يتعلق
به (و) ابو حمزة (انس بن مالك) الانصاري مازحه النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد في البدريين لانه لم يكن في سن من
يقاتل مات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة وهو آخر
من مات من الصحابة بها ومات سنة احدى او اثنين او ثلاث
وتسعين ومروياته مائتا حديث وستة وثمانون حديثا وسيأتي
عند ذكره ايراد شيء مما يتعلق به (و ابي هريرة) عبد الرحمن بن صخر
الدوسي على الاصح في اسمه واسم ابيه قال الشافعي احفظ من
روى الحديث في دهره ابو هريرة وكان صاحب قيام وصيام
يسبح في اليوم اثني عشر الف تسبيحة وولي امارة المدينة ومات
بها سنة سبع او تسع وخمسين وله ثمان وستون سنة واحاديثه
المرفوعة خمسة آلاف وثلثمائة وستون حديثا وسيأتي عند ذكره
شيء من اموره (و ابي سعيد الخدري) بالمهملة نسبة الى خدرة
قبيلة من الانصار مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون
سنة ودفن بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون وسيأتي
عند ذكره التعرض لشيء مما يتعلق به (من طرق كثيرا بروايات

متنوعات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من) اسم شرط جازم
(حفظ) اى نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف المعنى اذ به
يحصل الانتفاع للمسلمين بخلاف حفظ ما لم ينقل اليهم فلم الم
واعترض تفسيره الحفظ بما ذكر بان البعث فى زمرة الفقهاء
والعلماء يستدعى معرفة المعانى اذ لا يسمى فقيها عالما الا به
واجيب بان حفاظ الاربعين تختلف درجاتهم فمنهم
مقتصر على الرواية دون الدراية فهذا يحشر فى زمرة الفقهاء
والعلماء لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فمن
تشبه بالعلماء يكرم كما يكرمون وان لم يكن منهم حقيقة ومنهم
من ضم الى الرواية الدراية بان نقل الاحاديث وفهم ظواهر
معانيها وفهمها لغيره فهذا يكتب فى زمرة العلماء ويحشر
مع الشهداء ومنهم من فيه اهلية التخريج واستنباط الاحكام
كالبخارى ومسلم وشبههما فهذا فقيه عالم حقيقة فيبعث
يوم القيامة على ما مات عليه واما جواب الشارح الهيتمى
بان بعث الحافظ فى زمرتهم لا يستدعى انه مساو لهم بل يكفى
انه منسوب لهم نسبة ما الخ فهو غير ظاهر لان قوله فى بعض
طرق الحديث كتب فى زمرة العلماء يأباه اذ الكتابة فى قوم تقتضى
انه منهم ولا يعترض على المص بانهم فسروا الاحصاء فى حديث
ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها كلها دخل الجنة بمن
حفظها مستظهرا وبينوا الاستظهار بان المراد قراءتها
كلمة كلمة على سبيل الترتيل او علمها وتدبر معانيها او القيام بحقها
والعمل بمقتضاها وجعلوا الاول للعوام والثانى للعلماء
والثالث للاولياء لان القصد ثم التعبد باللفظ وهنا النفع
المتعدى وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالنقل وصرح جمع
منهم العلامة نجم الدين الطوفى بعدم الاكتفاء بالكتابة ولو مرارا

وحينئذٍ فمن حفظها بقلبه ولم ينقلها لم يشمله الوعد وان كتبها في عشرين كتاباً ونظر فيه الهيتمي بان كتابتها نقل لها اهـ والحفظ ضبط الشئ ومنعه من الضياع والانصاف انه لايدخل في الوعد الا من حدث باربعين له بها رواية او نقلها لهم عن احد دواوين المسلمين المعروفة المعول عليها والمرجوع لها (على امتى) الامة في الاصل الجماعة قال الاخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان امة وفي الخبر لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها والمراد بها هنا امة الاجابة (اربعين حديثاً) نصبه على التمييز وخص هذا العدد دون غيره لانه اقل عدد له ربع عشر صحيح وفي الحديث اذوا ربع عشر اموالكم من كل اربعين درهماً درهم اي بشرط بلوغ الدراهم مائتي درهم اذ لا وجوب في اقل من ذلك فدل حديث الزكاة على تطهير ربع العشر للباقي فكذلك العمل بربع عشر الاربعين حديثاً يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافي يا اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثاً بحديث (من) تبعيضية (امر) اي شأن (دينها) احترز به عن المتعلق بامر دنياها فلا يكون بهذه المثابة (بعثه الله في زمرة) الزمرة الجماعة من الناس (الفقهاء) العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم (والعلماء) هو اعم مما قبله لانه يشمل المفسرين والمحدثين والفقهاء من العلم وهو صفة توجب تمييزاً بين المعاني لايحتمل النقيض ومن ثم قال النسفي استفتيت ابا الحسن الكيا الطبري فيمن اوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل فيهم كتبة الحديث فكتب نعم كيف لاتدخل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ على امتى اربعين حديثاً من امر دينها بعثه الله يوم القيمة فقيهاً عالماً واسند ابو الحسن القابسي الى علي بن الجعد جاء رجل الى سفيان

الثوري فقال حلفت بالطلاق انى عالم فقال ان كان مستندك علم فلان ولى فلان فقد حنثت وان كان عندك اربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت لم تحنث ولما كان البعث في زمرة الفقهاء والعلماء لا يستلزمان يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله (وفى رواية) ذكرها ابو نعيم فى الحلية (بعثه الله فقيها عالما وفى رواية ابى الدرداء وكنت له يوم) اليوم الشرعى من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا وانما المراد منه القطعة من الزمان ومنه قول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

(القيامة) مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك (شافعا) من الشفاعة وهى سؤال الخير للغير والمراد هنا سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم (وشهيدا وفى رواية ابن مسعود قيل له ادخل من اى ابواب الجنة شئت وفى رواية ابن عمر وكتب فى زمرة العلماء) هذه الرواية مغايرة للرواية السابقة وهى بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلماء (وحشر فى زمرة الشهداء) جمع شهيد وهو قتيل المعركة سمى شهيدا لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة يوم القيمة او لشهادة ملائكة الرحمة له او لشهادة حاله بصدق نيته او لشهادته الحساب ولا يحاسبه او لان معه شاهدا وهو الدم لانه يبعث وجرحه ينفث دما او لسقوطه على الشاهدة وهى الارض او لانه يستشهد به يوم القيامة على الكفار وهى غير متباينة يمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل فى المعركة (واتفق الحفاظ) اى اكثرهم (على انه) اى الحديث المذكور (ضعيف) قال ابن حجر وجمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة واما ذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات

فهو تساهل منه والصواب انه ضعيف لا موضوع فان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا اشتد ضعفه لا يعمل به ولا في الفضائل كما قاله ابن السبكي وغيره وحينئذٍ فكيف عمل به جمع من الائمة اتعبوا انفسهم في تخريج الاربعينيات اعتمادًا عليه قلت لا نسلم انه شديد الضعف لانه هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب او متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة ولئن سلمنا ذلك فهم لم يعتمدوا في ذلك عليه بل على ما سيذكره المص من الاحاديث الصحيحة واما خبر من حفظ على امتي حديثًا واحدًا كان له كاجر احد وسبعين نبيًا صديقًا فهو موضوع (وقد صنف العلماء رضي الله تعالى عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات) اي ولي بهم اسوة (فاول من) علمته (صنف فيه) ابو عبد الرحمن (عبد الله بن المبارك) بن واضح الحنظلي التميمي من تابع التابعين احد الائمة الاعلام قال ابن مهدي الائمة اربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال احمد لم يكن في زمن ابن المبارك اطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رأيت من يحدث لله الا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما مثبتًا صحيح الحديث وكان كتبه التي حدث فيها عشرين الفا ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان وتوفي منصرفًا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة وكان ابوه مملوكا لرجل من همدان (ثم محمد بن اسلم) بن سالم بن زيد (الطوسي) بضم الطاء نسبة الى قرية من قرى بخارى (العالم الرباني) وصفه بذلك لقول ابن خزيمة هو رباني هذه الامة لم ترعيني مثله والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته

وعن المبرد انه منسوب الى ربان الذى يرب الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الصوفية انه الكامل من كل الوجوه فى جميع المعانى وفى البخارى هو الذى يربى بصغار العلم قبل كباره وقال الشارح الهيتمى هو من افيضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه اوصنف المسند وجوده وكان من الثقات الحفاظ والاولياء الابدال واقدم شيخ له النضر بن شميل وكان شبيها باحمد بن حنبل توفى فى المحرم سنة اثنين واربعين ومائتين (ثم) محدث خراسان (الحسن) رحل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات كثيرة وتوفى سنة ثلاث وثلثمائة (ابن سفيان) بتثليث السين (النسوى) بفتح النون نسبة الى نسا مدينة بخراسان صاحب المسند (وابوبكر) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى صاحب كتاب الشريعة والاربعين وله تصانيف كثيرة كان عالما ثقة دينا حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستطابها وقال اللهم احيينى فى هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول له سنة ولكن ثلاثين سنة فلما كملت قيل له وفينا بالعهد فمات بمكة فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة (الآجرى) بهمزة مفتوحة ممدودة (وابوبكر محمد بن ابراهيم) بن على كان ثقة نبيلا من حفظه (الاصفهانى) بكسر الهمزة وفتحها وبالفاء لا بالباء كذا فى الهيتمى وقال السعد بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح وقال ابن رسلان نسبة الى اصفهان بلدة من بلاد فارس توفى فى صفر باصفهان سنة ست وستين واربعمائة (و) ابو الحسن على بن عمر بن احمد بن مهدى صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك (الدارقطنى) بفتح الراء نسبة الى دار القطن محلة كبيرة ببغداد قال الحاكم كان اوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع امام القراء والمحدثين

لم يخلق على اديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره
وامام وقته وانتهى اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل واسماء الرجال
مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد قال رجاء بن محمد المعدل قلت
للدارقطني هل رايت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم فالححت عليه فقال لم ار احدا جمع مثل ما جمعت وقال
ابوذر الحافظ قلت للحاكم هل رايت مثل الدارقطني فقال هو لم
ير مثل نفسه فكيف انا وكان عبد الغني اذا رأى الدارقطني
قال استاذي وقال القاضي ابو الطيب الدارقطني امير المؤمنين
في الحديث وقال البرقاني املى علي كتاب العلل من حفظه ولد
في ذي القعدة سنة خمس او ست وثلاثمائة ومات لثمان خلون
من ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه سبع وسبعون سنة
(و) ابو عبد الله (الحاكم) محمد بن عبد الله بن محمد بن رويه بن نعيم
الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث
والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى
وعشرين وثلاثمائة في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع
رحل وسمع من نحو الفي شيخ قال عبد الرحمن السلمي سألت
الدارقطني ايهما احفظ ابن منده او ابن البيع فقال ابن
البيع اتقن حفظا وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي اربعة
من الحفاظ تعاصروا ايهما احفظ قال من قلت الدارقطني
ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده باصبهان والحاكم
بنيسابور فسكت فالححت عليه فقال اما الدارقطني فاعلمهم
بالعلل وعبد الغني بالانساب واما ابن منده فاكثرهم حديثا
مع معرفة تامة واما الحاكم فاحسنهم تصنيفا دخل الحاكم الحمام
بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر لم يلبس قميصه
بعد ذلك في صفر سنة خمس واربعمائة (وابو نعيم) احمد بن عبد الله

ابن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهانى اجاز له مشايخ الدنيا
وله ست سنين قال الخطيب لم ار احدا اطلق عليه اسم الحافظ
غير ابى نعيم وابى حازم وقال ابن مردويه لم يكن فى افق من
الآفاق احفظ منه ولما اشتد صنف الحلية والمستدرك
على البخارى والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة
وتاريخ اصبهان وفضائل الصحابة وصنف فى الطب وغيره
ولد فى رجب سنة ست او سبع وثلاثين وثلاثمائة ومات بكرة
يوم الاثنين لعشرين من المحرم سنة ثلاثين واربعمائة (وابو
عبد الرحمن) محمد بن الحسين صاحب الحقائق وطبقات الاولياء
كان عند لا ثقة استاذ ابى القاسم القشيرى وشيخ ابى سعيد
ابن ابى الخير واثنى عليه الشيخ عبد الله الانصارى كثيرا
وقد طعن فيه ابن الجوزى كما هو دأبه فى شأن الائمة (السلمى)
بضم السين وفتح اللام نسبة الى سليم بن منصور قبيلة مشهورة
توفى يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة
ودفن بنيسابور (وابو سعيد) صوابه كما قال ابن الاثير السمعانى
ابو سعد محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص كان ثقة متقنا
صنف وحدث ورحل الى مصر فمات بها فى شوال سنة اثنى عشرة
واربعمائة (المالينى) بفتح الميم وكسر اللام ثم بتحتية ثم نون نسبة
الى مالين قرى مجتمعة من اعمال هراة يقال لجميعها مالين واهل
هراة يقولون مالان (وابو عثمان) اسمعيل (الصابونى) نسبة
الى عمله (وعبد الله بن محمد الانصارى) الهروى منسوب الى
الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة
وكان كثير السهر قويا فى نصرة الدين حدث وصنف وتوفى
بهراة يوم الجمعة من ذى الحجة سنة احدى وثمانين واربعمائة
(وابو بكر) احمد بن الحسين بن على بن موسى (البيهقى)

نسبة الى بيهق قرية من ناحية نيسابور على عشرين فرسخا منها قال امام الحرمين كل شافعي فللشافعي عليه المنة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد في شعبان سنة اربع وسبعين وقيل اربع وثمانين وثلاثمائة والف شعب الايمان ومات في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين واربعمائة بنيسابور ونقل في تابوت الى بيهق مسيرة يومين واورد المص لفظ ثم في الاولين لعله بالتاخر الزماني فيهما بخلاف الباقين ولما خص بعض المشاهير بالذكر عممم فقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتاخرين) ولما كانت الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار اى الله ولا ندم من استشار اى من نصيحه ولا عال من اقتصد اى ولا افتقر من استعمل القصد في نفقة عياله قدمها المص على هذا التأليف لتعود بركتها عليه فقال (وقد استخرت الله) لانه يطلب من كل قادم على امر يجهل عاقبته ان يستخير الله تعالى في الاقدام والاحجام وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وكان يأمرهم بذلك وفي الحديث الذي رواه ابن السني عن انس رضي الله عنه اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه وصفتها ان تصلي ركعتين يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الى قوله يعلنون وقيل قل يا ايها الكافرون الى آخرها وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله مبينا وقيل قل هو الله احد الى آخرها ثم يدعو بعد السلام من الركعتين بان يقول اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي

وعاقبة امري او قال عاجل امري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم
بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي
وعاقبة امري او قال عاجل امري وآجله فاصرفه عني واصرفني
عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اهـ قال ويسمي حاجته
قال الشيخ خليل في منسكه ثم ليمض بعد الاستخارة لما انشرحت
له نفسه قال ابن حجر ينبغي التفطن لدقيقة يغفل عنها ولم ار من
من نبه عليها وهي ان الواو في المتعاطفات التي بعد خير على
بابها والتي بعد شر على معنى او لان المطلوب تيسيره لا بد ان
يكون كل من احواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والآجل
وغيرها خيرة والمطلوب صرفه يكفي فيه ان يكون بعض احواله
المذكورة شرا وفي ابقاء الواو على حالها ايهام لانه لا يطلب صرفه
الا اذا كانت جميع احواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر
قال النووي والظاهر ان صلاة الاستخارة تحصل بركعتين
من الرواتب وتحية المسجد وغيرها من النوافل واعترض
طلب الاستخارة هنا اذ لا يستخار الا في الامور المبهمة واما
هذه طاعة لا شك فيها والجواب انه انما استخار في هذه
مخافة من عدم اخلاص النية فيها او لان غيرها من الطاعات
قد يكون اولى منها لكونه اهم واعلم ان الاستخارة لا تكون في
واجب ولا في محرم ولا مكروه ولا في فعل مندوب وتركه وانما تطلب
في الجائز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض (في جمع
اربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام) جمع علم بفتحتين
وهو ما يهتدى به الى الطريق ويطلق العلم على الجبل لانه يهتدى
به كما قالت الخنساء *
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار *
وفي قولها وان صخرا وهو اسم اخيها لطيفة اتفاقية

لمناسبة الجبل وسمى العالم علماً لانه يهتدى الناس بعلمه كما يقال
فلان جبل في العلم او لعلو قدره واشتهاره (وحفاظ الاسلام)
فائدة قال السيوطي روينا عن البخاري في آداب طالب الحديث
اثراً لطيفاً اخبرني ابو الفضل الازهري وغيره سماعاً ان اباالقاسم
المقدسي قال اخبرتنا عائشة بنت علي ان اباعيسى بن علوق اخبرتنا
فاطمة بنت سعد الخير ان ابانصر اليونانى سمع ابامحمد الحسن
ابن احمد السمرقندي يقول سمعت ابابكر محمد بن احمد بن محمد
ابن صالح بن خلف يقول سمعت اباذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي
يقول سمعت ابا المظفر محمد بن احمد بن حامد البخاري قال لما
عزل ابو العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء
الري ورد بخارى فحملني معلمي ابو ابراهيم الختلي اليه وقال اسئلك
ان تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا فقال مالي سماع
فقال وكيف انت فقيه قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت
نفسي الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري واعلمته
مرادي فقال لي يا بني لاتدخل في امر الا بعد معرفة حدوده
والوقوف على مقاديره واعلم ان الرجل لا يصير محدثاً كاملاً
في حديثه الا بعد ان يكتب اربعاً مع اربع كاربع مثل اربع في اربع
عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات
لاتتم الا باربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلي
باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله في الدنيا باربع واثابه في
الآخرة باربع قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكر من اجمال هذه
الرباعيات قال نعم اما الاربع التي يحتاج الى كتبها هي اخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين
واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم
وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل

والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسند والمرسل والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وممن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه الذي يتيقن انه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتأليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم هذه الاشياء الا باربع هي من كسب العبد معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فان صحت له هذه الاشياء هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى باربع شماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلة وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحسن الادب واثابه الله في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك يا بني بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له اودع (وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال) في ذكر الاتفاق نظر لان ابن العربي قال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال المؤلف في الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات

فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا ان يكون في احتياط
في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع
او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب اه
ومحل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام ما لم يكن تلقته الناس
بالقبول فان كان كذلك تعين وصار حجة يعمل به في الاحكام
وغيرها كما قال الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ
جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه وعزاه للحافظ رزين
العبدري اه وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد كثيرة
قال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله
مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق
عليه وهو ان يكون الضعف غير شديد وشديد الضعف هو الذي
لا يخلو طريق من طرقه من كذاب او متهم بالكذب والثاني ان
يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له
اصل اصلا الثالث ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب
الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام
وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن
احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث
احب الينا من رأي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع
على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من
الرأي والقياس اذا لم يوجد في الباب غيره وقد تحصل ان في
العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول لا يعمل به مطلقا
الثاني يعمل به مطلقا الثالث يعمل به في الفضائل بشروطه
(ومع هذا) الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف في
الفضائل (فليس اعتمادي على هذا الحديث) وحده (بل على قوله

صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد) السامع
ما اقول (منكم الغائب) عنه بالنصب على المفعولية وهذا تحريض
على التعليم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس كذا في بعض
النسخ وفي بعضها تقديم حديث نضر الله امرأ على هذا الحديث
(قوله) صلى الله عليه وسلم (نضر الله) بفتح الضاد المعجمة روى مخففا
ومشددا قال بعضهم اكثر الشيوخ يشددون واهل الادب
يخففون قال في البحر وهو افصح من النضارة وهو حسن الوجه
وبريقه ومعناه البسه الله النضرة وخلوص اللون يعني جمله
الله وزينه او معناه اوصله الى نضرة الجنة وهو نعيمها قال تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولقاهم نضرة
وسرورا وقال جرير
طرب الحمام بذكرهن فشاقني * لازلت في فنن واتك ناضر
اي مورق غض ومن ثمة قال سفيان بن عيينة اني لارى
في وجوه اهل الحديث نضرة وجمالا لهذا الحديث يعني لانها دعوة
اجيبت وخص حامل السنة بالدعاء لانه سعى في نضرتها وتجديدها
فجازاه الله في دعائه له بما يناسب حاله وذكر سيدي محمد
الشاذلي في كتابه البيان ما نصه اختص اهل الحديث من دون
سائر العلماء بانهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لهم لقوله نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره
فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه
رواه الترمذي وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن
والرونق والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لانه سعى في
نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه في دعائه بما يناسب حاله
في المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطي
رحمه الله تعالى في فن الحديث

من كان من اهل الحديث فانه * ذو نضرة فى وجهه نور سطع
ان النبى دعا بنضرة وجه من * ادى الحديث كما تحمل واتبع

ومن نظمه ايضا رحمه الله تعالى

اهل الحديث لهم مفاخر ظاهرة * وهم نجوم فى البرية زاهرة
فى اى مصر قد ثووا تلقاهم * حقا لاعداء الشريعة قاهرة
بالنور قد ملئت حشاشة صدرهم * فكذا وجوههم تراها ناضرة

وقيل يعنى الحديث حسن الله وجهه فى الناس اى جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعنى الوجوه من الناس وذوى الاقدار الا ان هذا بعيد لانه مخالفة الظاهر من غير حامل عليه وليس نظير اطلبوا الحوائج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد بها جمع وجه من الوجاهة وهى التقدم وعلو القدر وحكى ابن العربى عن ابن بشكوال انه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله نضر الله يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل حال فيحتمل كما قال الحافظ العراقى كونه فى الدنيا وكونه فى الآخرة وكونه فيهما (امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها) اى من غير زيادة ولا نقص فمن زاد او نقص فهو مغير لا مؤد فيكون الدعاء مصروفا عنه وليس فى قوله كما سمعها منع لرواية الحديث بالمعنى خلافا لمن زعمه لان المراد ادى حكمها لا لفظها وقد رأى بعض العلماء المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أأنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور انا قلته وكرره ثلاثا وفى الحديث من ادى الى امتى حديثا واحدا يقيم به سنة او يرد به بدعة فله الجنة رواه الحاكم فى الاربعين * فائدة اختلفوا هل ثواب قارئ الحديث كثواب قارئ القرآن ام لا قال الجلال السيوطى فى الفية الحديث له *

وهل ثواب قارئ الاخبار * كقارئ القرآن خلف جاري
وانظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القرآن وقد عدهن بوتي

اجرم وتزيين امرالا (بشم من العلماء من جمع الاربعين فى اصول الدين) الاصول جمع اصل كفلوس جمع فلس وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح ما ينبنى عليه غيره وان شئت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات والحشر والنشر (وبعضهم جمعها (فى الفروع) اى المسائل الفقهية (وبعضهم فى) فضل (الجهاد وبعضهم فى) فضل (الزهد وبعضهم فى الآداب) بالمد جمع ادب كاسباب جمع سبب وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا اى بحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وبذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه وقيل غير ذلك وينقسم كما قال بعضهم الى قسمين طبيعى كالكرم والشجاعة وكسبى كمعرفة النحو واللغة والشعر واضاف بعضهم الى ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومهما وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس اه زاد بعضهم وشرعى وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولبعضهم

وما كل وقت ترى مشفقا * فكن حافظا لطريق الادب
ترى الله يكشف ما قد خفى * فتحظى باجر ونيل الرتب

قال بعض المتقدمين كما ان قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوة العقل بالآداب المسموعة (وبعضهم فى الخطب) جمع خطبة وهى كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة مشتق من الخطب لانهم كانوا اذا نزل بهم خطب خطبوا له ليجتمعوا ويحتالوا فى دفعه والمراد الخطب التى كان يخطب بها النبى صلى الله عليه وسلم

في نحو جمعة وعيد واستسقاء وكسوف وبعرفة وعند نزول الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقوله في الخطب كالاربعين الودعانية وبعضهم في التصوف (وكلها مقاصد) جمع مقصد بكسر الصاد (صالحة) لشمول الاحاديث السابقة لجميعها (رضي الله عن قاصديها وقد رأيت) من الرأي (جمع اربعين اهم من هذا كله وهي اربعين حديثاً مشتملة على ذلك) اي على جميع اصول الشريعة وفروعها والجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا والتخلق بالآداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد على قوله وقد رأيت جمع اربعين زيادته حديثين لان مفهوم العدد لا يفيد حصراً على الصحيح اوان ذكر القليل لا ينفي الكثير كما قيل به في رواية صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين او انه هنا كان عزمه على الاقتصار على الاربعين وعند فراغها عن له زيادة الحديثين الاخيرين لما فيهما من المناسبة لان احدهما فيه الوعظ بمخالفة الهوى وثانيهما من باب الرجاء فكان ختم الكتاب بهما مناسباً (وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين) القاعدة من القعود بمعنى الثبات وهي لغة الاساس والعمد وخشبات يركب الهودج فيها واصطلاحاً امر كلي يتعرف منه احكام جزئيات موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالي ومن جزئياته اقيموا الصلاة والنهي للتحريم دليل اجمالي ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك ان يجعل الدليل التفصيلي مقدمة صغرى والدليل الاجمالي مقدمة كبرى فينشأ عنهما نتيجة هي الحكم كأن يقال اقيموا الصلاة امر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا يعلم ان القاعدة بهذا المعنى ليست مرادة للمص لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون القواعد الاجمالية وانما اراد بالقاعدة العمدة والاصل

الذى ترجع اليه الاحكام او كثير منها (فقد وصفه العلماء بانه مدار) غالب احكام (الاسلام عليه) لحديث ان الحلال بين والدين النصيحة قال ابن رسلان لحديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده لان اعمال الشريعة اما معروف يجب الامر به او منكر يجب النهى عنه فهو نصف بهذا الاعتبار (او هو نصف الاسلام او ثلثه) لحديث انما الاعمال بالنيات فان ابا داود قال انه نصف الاسلام والشافعى قال انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بقلبه وجوارحه ولسانه والنية احد الثلاث (او نحو ذلك) كالربع لحديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (ثم التزم فى هذه الاربعين ان تكون صحيحة) ليعمل بها فى الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة غير الضعيفة فتتناول الحسنة * (ومعظمها) اى غالبها (فى صحيحى) شيخ الحديث * وطبيب علله فى القديم والحديث * ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم بن المغيرة الجعفى (البخارى) قال الشيخ تاج الدين السبكى فى طبقاته كان البخارى امام المسلمين * وقدوة المؤمنين * وشيخ الموحدين * والمعول عليه فى احاديث سيد المرسلين * وقال ابن كثير كان امام الحديث فى زمانه * والمقتدى به فى اوانه * والمقدم على سائر اقرانه * قال محمد بن عبد الرحمن كتب اهل بغداد الى محمد بن اسمعيل كتابا فيه شعر

المسلمون بخير ما بقيت لهم * وليس بعدك خير حين تفتقد

قيل انه كان يحفظ وهو صبى سبعين الف حديث سردا وكان اذا نظر فى الكتاب مرة واحدة حفظ ما فيه وقال رضى الله عنه احفظ مائة الف حديث صحيح واحفظ مائتى الف حديث غير صحيح وكان يختم فى رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ

فسألوني أن أملي لهم لكل من كتبت عنه فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ ومن أعجب العجب ما رواه البغدادي الخطيب أنه قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس فدفعوا لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفهماء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان فيهم منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخاري يقول لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له أما حديثك الاول فهو كذا وصوابه كذا والثاني والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أصله أي الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين كذلك حتى رد متون الاحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل وههنا خضع للبخاري الرقاب * فما العجب

من ردّ الخطأ الى الصواب * بل العجب من حفظه للخطأ القليل الفائدة على ترتيب ما القوه عليه ولا عجب لانه في سرعة الحفظ طويل الباع * وهو امام الحفاظ والنقاد بلا نزاع * ولما خرج من بغداد لحصول المحنة فيها بمسئلة خلق القرآن واراد الذهاب الى سمرقند فلما بلغ خرتنك بفتح الخاء المعجمة وفتح المثناة وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند بلغه انه افتتن اهل سمرقند في دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فاقام بها حتى انجلي الامر فضجر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات من ذلك الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج في صحيحه لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فالجواب ان المراد بالضر الضر الدنيوي واما اذا نزل به ضر ديني فانه يجوز تمنيه خوفا من تطرق الخلل للدين وقال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخاري وددت اني شعرة في صدر محمد بن اسمعيل البخاري وقال ابو زيد المروزي وهو من كبار الشافعية واجل من روى البخاري عن الفربري كنت نائما بين الركن والمقام فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابا زيد الى متى تدرس في كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسمعيل البخاري يعني هذا الصحيح وقال محمد ابن يوسف الفربري سمعت ابا جعفر محمد بن ابي حاتم الوراق يقول رايت محمد بن اسمعيل البخاري في النوم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه موضعه وقال الفربري رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اين تريد قلت اريد محمد بن اسمعيل البخاري فقال اقرئه مني السلام وحكى عنه انه كان يوما في المسجد وحوله اصحابه

للدرس في العلم فرأى بعضهم على لحيته قشة فرماها عن لحيته في المسجد فأخذها الامام البخاري رضي الله عنه وصرها في خرقة واخرجها ورماها خارج المسجد وقال الذي رماها عن لحيته انت ما رضيت ان تكون هذه القشة على لحيتي وانا عبد الله وابن آدم فكيف ارضى ان ارميها في بيت ربي وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله عنه ما وضعت في كتابي حديثا حتى استخرت الله تعالى وتيقنت صحته وقال ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين بين الروضة والمنبر وقرأته على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فيأتيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول له يا رسول الله بلغني عنك انك قلت كذا وكذا واقرأ عليه ذلك الحديث فيقول نعم صحيح ذلك قال وارجو ان يبارك الله فيه للمسلمين فحقق الله ظنه ورجاءه وكان اذا فرغ من التحديث او التصنيف قام فركع وروي انه كان يحضر مجالسه اكثر من عشرين الفا يأخذون عنه ومن كلامه رضي الله عنه

* اغتنم في الفراغ فضل ركوع * فعسى ان يكون موتك بغتة *
* كم صحيح رأيت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلتة *

قال المؤلف اتفقوا ان البخاري ولد ببخارى بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر وقيل بعد الظهر بخرتنك وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة الا ثلاثة عشر يوما قاله في تهذيب الاسماء واللغات وما احسن قول الكمال بن ابي شريف ولد في صدق ومات في نور ولما مات فاح من تراب قبره رائحة الغالية اطيب من المسك واستمرت اياما كثيرة حتى تواترت عند جميع اهل البلاد وصيانة في ايضا

شيء مما يتعلق به عند ذكره في استخراج الحديث الاول (و) ابو الحسين
(مسلم) بن الحجاج بن مسلم القشيري (واذكرها محذوفة الاسانيد)
جمع اسناد وهو حكاية طريق المتن والسند الطريق الموصلة الى
المتن فقولك اخبرنا فلان الخ اسناد ونفس الرجال سند
وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن
والسند هو رفع الحديث الى قائله قال والمحدثون يستعملونهما
لشيء واحد وفيه نظر واخذه اما من السند وهو ما ارتفع وعلا
من سفح الجبل لان المسند يرفعه الى قائله او من قولهم فلان سند
اي معتمد سمي بذلك لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه
عليه ولذا قال النووي السند سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح
فبم يقاتل وقال بعضهم انه كالسيف للمقاتل وقال بعضهم مشيرا
اليه انه كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهري
بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلا سلم *
وفي اول صحيح مسلم عن عبد الله بن المبارك الاسناد من الدين ولولا
الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه
الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه افعى
وهو لا يدري قال ابو علي الجياني خص الله هذه الامة بثلاثة
اشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب *
ومن ادلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى
او اثارة من علم فقال اسناد الحديث واما المتن فهو الفاظ الحديث
التي تتقوم بها المعاني قاله الطيبي وقال ابن جماعة هو ما ينتهي
اليه غاية السند واخذه اما من المماتنة وهي المباعدة في الغاية
لان المتن غاية السند او من متنت الكبش اذا شققت جلدة بيضته
واستخرجتها فكان المسند استخرج المتن بسنده او من المتن
وهو ما صلب وارتفع من الارض لان المسند يقويه بالسند

ورفعه الى قائله او من تمتين القوس اى شدها بالعصب لان
المسند يقوى الحديث بسنده (ليسهل حفظها) لقلة الفاظها
واذا سهل حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها ولذا قال
(ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى) لانه ولى كل شئ والقادر عليه
وقد حقق الله ما اراده واتى بالمشيئة للتبرك امتثالا لامره تعالى
اشرف خلقه بالاتيان بها لذلك لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ومن ثم سنت فى الامور المستقبلة
دون الماضية كما استفيد من الآية فلا يقال فعلت كذا ان
شاء الله والاسناد لفعل الغير كهو لفعل النفس ومفعول شاء
الله محذوف اى ان شاء الله تعالى ذلك وقد قيل فى تفسير
قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم ليس لاهل الحديث
منقبة اشرف من ذلك لانه لا امام لهم غيره صلى الله عليه وسلم
لان سائر العلوم الشرعية محتاجة اليه اما الفقه فواضح واما
التفسير فلان اول ما فسر به كلام الله تعالى ما ثبت عن نبيه
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم (ثم اتبعها بباب فى
ضبط خفى الفاظها) من اضافة الصفة للموصوف اى
الفاظها الخفية (وينبغى لكل راغب فى) عمل او ثواب (الآخرة
ان يعرف هذه الاحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوى
من حوى اذا جمع (عليه من التنبيه) اى الايقاظ والتفهيم
(على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره) التدبر التفكر
وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات
المستحضرة (وعلى الله) لا على غيره كما افاده تقديم المعمول (اعتمادى
فى هذا الجمع وغيره ولا يرد على الحصر الذى افاده تقديم المعمول
ان الاعتماد كثيرا ما يقع على غيره لان المراد الاعتماد عليه فى
تحصيل الاسباب وتيسيرها والتحصيل والتيسير مختصان به تعالى

وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه) لا الى غيره (تفويضى) التفويض الى الله هو رد الامر كله اليه (و) اليه (استنادى) اى التجائى فيما يتعلق بتأليف العلم وغيره (وله) دون غيره (الحمد) ملكا واستحقاقا واختصاصا (والنعمة) ايجادا وايصالا الى خلقه بسائر انواعها كما مر وغيره وان وجد له حمد اونعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة (وبه) لا بغيره وفى بعض النسخ وبيد اى قدرته (التوفيق) وهو لغة جعل الامر موافقا للآخر واصطلاحا قال الاشعرى خلق قدرة الطاعة فى العبد واعترضه امام الحرمين بانه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما خلق فيه قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد فى التعريف وهو والداعية اليها ورده الدوانى لان القدرة عند الاشعرى هى العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان الا مع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة الا مع فعلها (والعصمة) بالكسر وهى لغة المنع قال الله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع ويقال عصمه الطعام اذا منعه الجوع وابو عاصم كنية السويق واصطلاحا قال الآمدى عدم خلق القدرة على المعصية وهو منقوض بالصبى والميت ومن معه من المعصية مانع والاحسن تعريفها بانها ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة ويجوز الدعاء بها مطلقة ومقيدة على المعتمد وانكر بعضهم جواز الدعاء بها مطلقة لانها انما هى للانبياء والملائكة واجيب بانها فى حق الانبياء والملائكة واجبة وفى حق غيرهم جائزة وسؤال الجائز جائز وان الذى اختص به الانبياء والملائكة وقوعها لهم لا طلبها (الحديث) ويرادفه الخبر على الصحيح هو لغة ضد القديم وقد استعمل فى قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيئا فشيئا

واصطلاحًا ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولًا او فعلًا او تقريرًا او وصفة حتى الحركات والسكنات يقظة او منامًا زاد بعضهم او همًا او ايماءً ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بانه علم يعرف به اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين واما علم الحديث دراية فهو علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وموضوعه الراوي والمروي من حيث ذلك وغايته معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر في شرح النخبة الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ومن ثمة قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها اخباري وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد وقد ذكر المؤلف ان المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالاثر وان فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالاثر والمرفوع بالخبر (الاول) المشهور ان اصله اوأل على وزن افعل فقلبت الهمزة الثانية واوًا وادغمت فيها الاولى وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفًا ومنه قولهم اولًا وآخرًا او صفة اي افعل تفضيل بمعنى اسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وصدر المص بهذا الحديث كالبخاري لان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شئ يبتدأ من امور الدين لعموم الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتناء والاهتمام بحسن النية والاخلاص بالاعمال فانه روحها الذي به قوامها وبفقده يصير هباءً منثورًا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن مهدي

من اراد ان يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال لو صنفت
كتابا لبدأت في كل باب منه بهذا الحديث (عن امير المؤمنين)
هو اول من لقب به على العموم او من الخلفاء لاستثقالهم خليفة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه بذلك عدي بن حاتم
ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل لقبه المغيرة
ابن شعبة وقيل انه قال للناس انتم المؤمنون وانا اميركم
لانه اول من لقب به مطلقا وقد لقب به عبد الله بن جحش
حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية اثني عشر رجلا وقيل
ثمانية في اول مقدمه المدينة وكتب له كتابا وامره ان لا ينظر
اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما امره به ولا يستكره
احدا من اصحابه فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت
في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف
فترصد بها قريشا وتعلم لنا اخبارهم فقال عبد الله واصحابه
سمعا وطاعة وقالوا له ما ندعوك فقال انتم المؤمنون وانا
اميركم قالوا انت اذا امير المؤمنين ثم مضوا ولقوا عير قريش
فقتلوا عمرو بن الحضرمي في اول يوم من رجب كافرا واسروا
اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام فانزل الله قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه
الآيتين وانما وصفه بامير المؤمنين لما نقله في شرح مسلم عن
المطرز وابن خالويه وغيرهما ان كل من ملك المسلمين يقال له
امير المؤمنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى
ومن ملك الترك خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك
مصر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك اليمن تبع
ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا
فرد غريب باعتبار اوله مشهور باعتبار آخره وليس بمتواتر

خلافاً لما زعمه بعضهم لان شرطه ان يوجد عدة التواتر في جميع طبقاته فان الصحيح انه لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يرو عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثي ولم يرو عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم يرو عن محمد الا يحيى بن سعيد الانصاري ومنه اشتهر فرواه عن يحيى بن سعيد اكثر من ثلثمائة نفس وقيل سبعمائة الا ان يحمل على التواتر المعنوي فيصح اذ طلب النية في العمل ثابت في عدة احاديث غيره منها خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا مانواه وخبر ابن ماجة انما تبعث الناس على نياتهم (ابي حفص) للقبص الاسد وكان سبب ذلك ماكان عليه من الشدة كما رواه يزيد بن اسلم عن ابيه انه قال رأيت عمر رضي الله عنه يمسك اذن فرسه ياخذ بيديه ويمسك بالاخرى اذنه ثم يثب حتى يركب (عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف بن عبد الله بن قرط بضم القاف وبالطاء المهملة ابن رزاح بفتح الراء اوله ثم زاي مفتوحة ايضا ابن عدي بن كعب بن لؤي العدوي القرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وامه حنتمة بالحاء المهملة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل بنت هشام وعلى الاول فهي بنت عم ابي جهل وعلى الثاني فهي اخته فيكون ابو جهل خاله اسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب او بعد خمسة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قاله عبد الله بن ثعلب او بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان ذلك بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه افضل الصلاة والسلام

اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو
ابن هشام فكان احبهما اليه عمر بن الخطاب قال انس بن مالك
خرج عمر متقلداً اسيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال اين تعمد
يا عمر فقال اريد ان اقتل محمداً فقال وكيف تامن في بني هاشم
وبني زهرة وقد قتلت محمداً فقال له عمر ما اراك الا قد صبأت وتركت
دينك الذي انت عليه قال افلا ادلك على العجب يا عمر ان اختك
وختنك ابا سعيد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما
فمشى مغضباً حتى اتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له
خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت فدخل عليهما
فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم قال وكانوا يقرؤن طه
فقالا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما
فقال له ختنه ارايت يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب
عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً فجاءت اخته فدفعته عن
زوجها فضرب رأسها فادماه فقالت وهي غضبى كان ذلك
على رغم انفك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله
فلما يئس عمر قال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فاقرأه
وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه
الا المطهرون فقم فاغتسل او توضأ فقام فتوضأ ثم اخذ الكتاب
فقرأ طه حتى انتهى الى قوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد وفي رواية اخرى
انه وجد في الكتاب سورة الحديد فقرأ حتى بلغ قوله
تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلوني على محمد فلما سمع خباب
قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم اعز الاسلام
بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام قال وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال في الدار التي اسفل الصفا فانطلق عمر حتى اتى الدار قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال اما انت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر ابن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر اشهد انك رسول الله ولابن عباس انه قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد ثم قال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قال ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن فخرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفي رواية انه لما اظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل وقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل الله على المصطفى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى شريح بن عبيد عنه انه قال خرجت اتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت اعجب

من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون قال قلت كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضاً كان اسلامه فتحاً وهجرته نصراً وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وقال صهيب لما اسلم عمر جلسنا حول البيت وتحلقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا وحكمه الله في العناصر الاربعة الريح والتراب والماء والنار بدليل قصة سارية فبينما هو يخطب نادى يا سارية الجبل الجبل من سرى الذئب ظلم فاستند الجيش الى الجبل فنصرهم الله وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اتت زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال ان تقع من على وجه الارض وذلك عقب الفضل الذي يسمونه فضل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني أنا عدل فويل لعمر فسكنت ولم تأت بعدها مثلها وما كتبه لنيل مصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا ان القي فيه امرأة بكر فامر ان يلقى فيه كتابه بدل المرأة ومما هو مكتوب فيه انك ان تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم يلق فيه بعد ذلك امرأة وما قاله ابن عباس ايضاً كانت تأتي نار كل عام الى المدينة المشرفة فشكى المسلمون ذلك لعمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فاقذفه في وجهك وقل يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضجت المسلمون فاخذ الغلام الرداء وخرج به

الى

الى ظاهر المدينة وفرده على وجهه كما امره سيده وقال يا نار ارجعي
هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد (رضي الله عنه)
اى حفظه من سخطه اذ الرضى والرضوان ضد السخط (قال
سمعت رسول الله) مفعول سمعت اى كلامه لان السمع
لا يتعلق بالذوات والسمع فى الاصل مصدر يطلق على الواحد
وعلى الجمع قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (صلى الله عليه وسلم
يقول) جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال
من رسول الله اى قائلا وهى حال مبينة لا يجوز حذفها
هذا ما عليه الجمهور واختار الفارسى ان ما بعد سمعت ان كان
مما لا يسمع كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا
تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثانى (انما)
للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما
عداه وانما اختلفوا فى وجه الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم
بدليل انه يقال انما زيد قائم لا قاعد بخلاف ما زيد الا قائم
لا قاعد لانه لو كان للحصر بالمنطوق لكان قوله لا قاعد
تكرارا ودعوى ان ان للاثبات وما للنفى كما زعمه الرازى
وان الاثبات للمذكور والنفى لما عداه غير ظاهر لان القاعدة
ان ما يلي حرف النفى منفى ولانه لو كانت ما للنفى لصدرت مع
كون ان لها الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين على صدر واحد
وايضا فيه اجتماع حرفى الاثبات والنفى بلا فاصل فيلزم
اجتماع الضدين وايضا يلزم عليه جواز نصب زيد فى انما
زيد قائم لانها اذا اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا
والاولى ان تجعل ما زائدة لتاكيد الاثبات وتصيرها عن الاثبات
يفيد الحصر (الاعمال) جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول
لانه عمل اللسان كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن اخرجه

واورد على من سمى القول عملاً بأن من حلف لا يعمل عملاً فقال قولاً لا يحنث واجيب بان مرجع اليمين الى العرف والقول لا يسمى عملاً فى العرف وقد يتجوز بالعمل عن حركة النفس فان قلت النية ايضاً عمل لانها من اعمال القلب فاذا احتاج كل عمل الى نية فالنية ايضاً تحتاج الى نية وهلم جرا فالجواب ان المراد بالعمل عمل الجوارح نحو الوضوء والصلاة واما النية فهى خارجة عنه بقرينة العقل دفعاً للتسلسل اولان العرف لا يطلق العامل على الناوى على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا يتناول توجه القلب وآثر ذكر الاعمال على ذكر الافعال لان لفظ العمل اخص من لفظ الفعل لان الفعل ينسب الى البهائم والجمادات كما ينسب الى ذوى العقول بخلاف العمل لانه يعتبر فيه القصد قال بعض الادباء قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيهاً على انه من مقتضاه قال الراغب ولم يستعمل العمل فى الحيوان الا فى قولهم البقر والابل العوامل واما الصنع فهو اخص من العمل لانه لا يقال الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بعد فكر وتحر وال فيها للجنس او العهد الذهنى اى غير العادية لعدم توقف صحتها على نية اوللاستغراق وهو ما حكى عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو الاكل من العاديات لان من اراد الثواب عليه احتاج لنية كما يأتى لا مطلقاً لحصول المقصود بوجود صورته

(بالنيات) جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والاصل نويه قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وتخفيفها لغة من ونى ينى اذا ابطأ لانه يحتاج فى تصحيحها الى نوع ابطاء والالف واللام بدل من الضمير اى بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها الفرضية والنفلية والتعيين

من ظهر او عصر وانما لم يجب تعيين العدد لان تعيين
العبادة لا ينفك عنه والنية محلها القلب لا الدماغ وهي لغة
القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله تعالى
وامتثالا لامره وجمعت للاشارة الى انها تتنوع كما تتنوع الاعمال
لان المصدر اذا اختلفت انواعه جمع كالعلوم وفي معظم
الروايات بالنية مفردا الا انها مصدر ولان محلها القلب وهو
متحد فناسب افرادها بخلاف الاعمال فانها متعلقة بالظواهر
فناسب جمعها ولان النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد
للواحد الذي لا شريك له وايضا هو مفرد محلي بالالف واللام
فيعم وفي صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف انما وعند
البخاري في النكاح العمل بالنية وكل من رواية ابن حبان والبخاري
في النكاح يفيد الحصر لعموم المبتدا وخصوص الخبر على حد
صديقي زيد فان قلت النيات جمع قلة كالاعمال وهي العشرة
فما دونها مع انه لا بد لكل عمل من النية سواء كان قليلا او كثيرا
فالجواب ان القلة والكثرة انما يعتبران في نكرات الجمع
اما في المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوي فالنية في الحديث
محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه
لقوله فمن كانت الخ فانه تفصيل لما اجمله اهـ وفيه شيء اذ لو
حمل على الشرع لكان انسب واولى لانه مبين للشرع ويحسن
التطبيق ثانيا اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية
الشرعية وما ليس كذلك كالهجرة الى الدنيا لا يعتد به شرعا على ان قوله
فمن كان الخ تفصيل لقوله وانما لكل امرئ ما نوى وهذا الحديث
متروك الظاهر لان الذوات غير منتفية اذ تقديره انما الاعمال
بالنيات لا عمل الا بالنية والغرض ان ذات العمل الخالي عن
النية موجودة فالمراد نفي احكامها المتعلقة بوجودها

كالصحة والكمال والحمل على الصحة أولى لانها اكثر لزوما للحقيقة وما كان الزم للشيء كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يصح عمل ما كالوضوء عند الثلاثة خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه ولا نسلم ان الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للاوزاعي وصوم رمضان في الحضر خلافا لعطاء والابنية وخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيه اما بدليل آخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم او استحالة ونحوها كالنية ومعرفة الله تعالى اما النية فلما سبق واما معرفة الله تعالى فلانها لو توقفت على النية مع ان النية قصد المنوي بالقلب ولا يقصد الا ما يعرفه فيلزم ان يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به في حالة واحدة وهذا يقتضي ان معرفة الله لا ثواب فيها لان الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافي وابن جماعة في شرح بدء الامالي وهو خلاف ما ذكره الغزالي وانما لم تشترط النية في ازالة الخبث لانه من قبيل التروك كالزنا فتارك الزنا من حيث اسقاط العقاب لا يحتاجها ومن حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاجها وكذا ازالة الخبث لا يحتاج فيه اليها من حيث التطهير ويحتاجها من حيث الثواب على امتثال امر الشارع وشرعت تمييزا للعبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة او لرتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة والحدث وصورتهما واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون فرضا وسنة ومستحبا وقد جمع بعضهم احكامها وهي سبعة بقوله

سبع شرائط اتت في نية * تكفي لمن حاولها بلا وسن
حقيقة حكم محل وزمن * كيفية شرط ومقصود حسن

حقيقتها لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله

وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها اول العبادة وكيفيتها
تختلف بحسب المنوى وشرطها اسلام الناوى وتمييزه وتحقق
الوجوب اوظنه وان يكون المنوى من مكتسبات الناوى
او يكون تابعا لمكتسبه كنية فرضية الظهر اونفلية الضحى
فان الفرضية والنفلية تابعان للافعال التى يأتى بها الشخص
والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فانه
يكون عبادة وعادة للتنظيف او تمييز رتب العبادة بعضها
عن بعض كالغسل فانه يكون واجبا كغسل الجنابة وسنة
كغسل الجمعة ومستحبا كغسل العيدين والباء للمصاحبة
او للاستعانة وقال ابن فرحون للسببية اى انما الاعمال
ثابت ثوابها بسبب النيات ثم ان هذا الحديث تواتر النقل
عن الائمة بتعظيم موقعه وكثرة فوائده وانه اصل عظيم
من اصول الدين ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما فى رواية البخارى فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات
وخطب به عمر رضى الله تعالى عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اخرجه ايضا ولذلك قال ابو عبيد ليس فى الاحاديث اجمع
واغنى واكثر فائدة منه ومن ثم قال بعضهم انه نصف
العلم ووجهه انه اجل اعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه
مدارها فهو قاعدة الدين ومن ثم كان اصلا فى الاخلاص
ايضا واعمال القلب تقابل اعمال الجوارح بل تلك اجل وافضل
بل هى الاصل فكان نصفا بل اعظم النصفين كما تقرر وقيل
لان النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام
اولان الدين اما ظاهر وهو العمل او باطن وهو النية وقال
كثيرون منهم الشافعى واحمد رضى الله تعالى عنهما انه ثلث العلم
لان الاحكام ثلاثة وزعليه وعلى حديث من احدث فى امرنا هذا

ما البس منه فهو رد والحلال بين والحرام بين ووجه البيهقي كونه ثلثا بان كسب العبد اما بقلبه او بلسانه او بجوارحه فالنية احدها وارجحها لانهما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحرمانا ولا يتطرق اليها رياء ونحوه بخلافهما ومن ثمه ورد نية المؤمن خير من عمله اى نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه اصلا وفى رواية ابلغ من عمله اذ هى قطب عمله ومداره لان بها يرتفع او يتضع على قدر ما هى عليه من صحة او سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفى اخرى زيادة وان الله ليعطى للعبد على نيته ما لا يعطيه على عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل لانها تحتمل التعدد والتكثر فى العمل الواحد فيتضاعف اجر العمل بقدر النيات فيه ولا يتاتى ذلك فى العمل كما اذا جلس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلوة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فانه لا يكون كمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه يتقيد لا بطاقته ووسعه كما اذا نوى ان يعتق عبدا او يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيئا فى الحال وهذا على تقدير رجوع الضمير للمؤمن كما هو ظاهر وقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان ان يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر وفى رواية اخرى ان رجلا من الصحابة نوى بناء قنطرة فى موضع مهم فسبقه يهودى لبنائها فاخبر بذلك بحضرة جماعة منهم عمر فتاسف ذلك الرجل وافتعل فقال عمر تسلية له نية المؤمن خير من عمله اى من عمل ذلك الكافر لكن يخدشه

ما ذكره ابو زرعة فى البستان من ان هذا القول صادر عن صدر النبوة ثم صار مثلاً من الامثال السائرة وقال ابو داود مدار الدين على اربعة احاديث وقد نظمها طاهر بن مفوز رضى الله تعالى عنه فقال

عمدة الدين عندنا كلمات * اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنية

لكن المعروف عن ابى داود عد ما نهيتكم عنه فاجتنبوه الحديث بدل ازهد فيما ايدى الناس وذكر ابو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد حديث لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه (وانما لكل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت ولاستغراق اجزاء المعرف نحو اكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل رمان ماكول ولا يقال كل الرمان ماكول (امرئ) اى رجل وفيه لغتان امرئ نحو زبرج ومرء بفتح الميم نحو فلس وحكى الضم ولا جمع له من لفظه وعينه تابعة للامه فى الحركات الثلاث قال الله تعالى ان امرؤ هلك ما كان ابوك امرأ سوء لكل امرئ وفى مؤنثه ايضا لغات امرأة ومرأة ومرة لكن فى الحديث اطلقه على كلا النوعين بدليل قوله بعد فمن الدال على العموم الخ بل قال الحرالى انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن ان يقال على الاول انما خصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه (ما) اسم موصول بمعنى الذى (نوى) صلته والعائد محذوف اى ما نواه من خير او شر ويجوز ان تكون مصدرية اى جزء نيته فان قلت ما فائدة هذه الجملة بعد قوله انما الاعمال بالنيات فالجواب من وجوه الاول ان هذه الجملة تاكيد للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى واكده بالثانية تنبيها على شرف الاخلاص وتحذيرا من الرياء

المانع من الخلاص لكنّه يرد عليه ان الافادة خير من الاعادة
الثاني قال المصر في شرح مسلم قال الخطابي ان الجملة الثانية افادت
اشتراط تعيين المنوىّ فاذا كان على الانسان صلاة فائتة لا يكفيه
ان ينوى الصّلاة الفائتة بل يشترط ان ينوى كونها ظهرًا او عصرًا
او غيرهما محلّه ما لم تنحصر الفائتة ولولا هذه الجملة الثّانية
لاقتضت الأولى الصّحة بلا تعيين او أوهمت ذلك وكأنه
استنبطه من ما الموصولة لانها من المعارف المفيدة للتعيين
وفيه بحث لانّ اللام في قوّة الاضافة المفيدة للتعيين لانّها
موضوعة للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن
عبد السّلام انّ الاولى لبيان ما يعتبر من الاعمال في سقوط
الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب
وهذا في العبادة التي لا تتميّز بنفسها وامّا ما يتميّز بنفسه فانّه
ينصرف بقوله الى ما وضع له كالاذكار والاذان والتلاوة
الرابع انّ الثانية افادت منع الاستنابة في النيّة اذ لو نوى
واحد عن غيره لصدق عليه انه عمل بنيّة افادت الثانية منعه
الّا في مسائل كنيّة الحاكم في الزكاة اذا اخذها كرهًا واحرام الولي
عن الصّبي في الحج ونحو ذلك لمدرك يخصّها الخامس قال
السمعاني في اماليه انّ هذه الجملة دلّت على انّ الاعمال العادية
التي لا تتوقف على النيّة قد تفيد الثواب اذا نوى بها فاعلها
القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوّى على الطاعة والنوم
اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطء اذا اريد به التعفف
عن الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السّنّة والتنظف
اذا قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله لا استيفاء اللذات
والتودد الى النسوان السّادس انّ الجملة الثانية دلّت على
انّ من نوى شيئًا يحصل له ثوابه وان لم يعمله لمانع شرعي

كمريض تخلف عن الجماعة وقد ورد في مسند ابي يعلى الموصلي مرفوعًا
يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيمة اكتبوا لعبدي كذا وكذا
من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك منه ولا هو في صحفنا فيقول
انه نواه وفي عقد الدرر واللآلي انه حصل في بني اسرائيل قحط وغلاء
فخرج احدهم في الصحراء فمر على كثيب رمل فقال وددت لو كان
هذا ذهبًا لتصدقت به اولو كان طعامًا لقسمته بين الناس
فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان قل لفلان اني قبلت صدقته
ولم يتصدق بشيء ولكن صحت منه النية اهـ ومن الدقائق
ما في التحبير للقشيري ان بعضهم رؤي في المنام بعد موته
فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي ورفع درجاتي فقيل له بماذا
فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون
بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل * وحكي
عن بعض فضلاء الصوفية انه كان مريضًا فدخل عليه بعض
اخوانه يعودونه فقال لهم انووا بنا حجًا انووا بنا رباطًا وعدد
لهم انواعًا من البر فقالوا له كيف وانت على هذه الحالة فقال
ان عشنا وفينا وان متنا حصل لنا اجر النية * وقيل لبعض
النساك كيف الناس عند مليكهم فقال على قدر نياتهم *
وحكي عن اخوين كان احدهما عابدًا والآخر مسرفًا
على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس يومًا وقال له
واسفا عليك ضيعت من عمرك اربعين سنة في حصر نفسك
واتعاب بدنك وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك
في شهواتها فقال العابد في نفسه اهلي انزل الى اخي في اسفل
الدار واوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة
ثم اتوب واعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري فنزل
على نية ذلك واما اخوه المسرف فانه استيقظ من سكر

قال فظهر له ابليس

فوجد نفسه في حالة رديئة قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفي الظلام فقال في نفسه قد افنيت عمري في المعاصي واخي يتلذذ بطاعة الله تعالى وهنا جائر فيدخل الجنة بطاعة ربه وانا بالمعاصي ادخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق اخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة ونزل اخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على اخيه فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية ويحشر العاصي على نية التوبة * وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فاتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه خرج يريد التوبة فقضى الله تعالى بينهما ان ينظر الى ايهما اقرب فوجد اقرب الى القرية الصالحة * واخرج الشيخان انه كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدلوه على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا وجاء في الطبراني ان اسم الارض نصرة فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم وقال قيسوا

ما بين الارضين فالى ايتهما ادنى كان له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية لهما فكان الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وفى اخرى لهما فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر الله تعالى له وللطبرانى انهم وجدوه اقرب الى دار التوابين بانملة * وحكى ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة فوقفت امرأة جميلة فسألته ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها واقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة ايام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة ايام فبكى حتى غشى عليه فلما افاق قالت له يا هذا انت ما عصيت الله مع غيرى وانا ما عصيت الله مع غيرك وانى ارى فى وجهك اثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرنى فخرج هاربا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث لهم فى كل ليلة عشرة ارغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصى يده فاخذ رغيفا فبقى رجل منهم لم يأخذ شيئا فقال اين رغيفى فقال قد فرقت عليكم العشرة فقال انا ابيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انا احق ان ابيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع

حتى اشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه فر من ذنبه وجاء تائبا وقالت ملائكة العذاب بل تم عاصيا فاوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبعة ايام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل توبته وهو وبه الى ربه * ونقل الاستاذ ابو القاسم ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لى فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع فى طريق مكة وانما قلت فيها وقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لاربابه وانما انتفعنا منه النيات فغفر لى بها * وحكى ايضا انه يؤتى بالعبد يوم القيمة فيدفع له كتابا فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول هذا ليس بكتابي فانى ما فعلت شيأ من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وانت تقول لو كان لى مال حججت منه لو كان لى مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك واعطيتك ثواب ذلك كله (فمن كانت هجرته) الفاء رابطة للجواب وهى واقعة فى جواب شرط مقدر اى واذا كان لكل امرئ ما نوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل لان هذا تفصيل لما سبق والهجرة بكسر الهاء فى اللغة الترك وفى الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفى الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه وقد وقعت فى الاسلام على وجهين الاول الانتقال

من دار الخوف الى دار الامن كما فى هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة الثانى الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر اليه من امكنه ذلك من المسلمين فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لتكثير عدد المسلمين والفرار بالدين من الفتن الى ان فتحت مكة لما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روى ابو داود والنسائى من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابى بينهما بان الهجرة كانت فى اول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد فى الحديث الآخر ما يدل على ان المراد بالهجرة الباقية هجرة السيئات (الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من اطاع اطاع ومن عصى عصى وانما يقال من اطاع نجا ومن عصى عوقب وقد اتحدا فى هذا الحديث فالجواب ان التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى كما هنا فالمعنى فمن كانت نيته فى الهجرة التقرب الى الله ورسوله فهجرته مقبولة عندهما فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر ابو الفتح القشيرى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقدر غيره ثوابا واجرا بدل قوله حكما وشرعا فان قلت فما فائدة الاتيان بهما بالاتحاد فالجواب ان الاتحاد هنا للمبالغة فى التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدنى

فقد قصد نى اى فقد قصد من عرف بانجاح قاصده ويجرى
مثل ذلك فى المبتدا والخبر كقول الشاعر
خليلى خليلى دون ريب وربما * الان امرؤ قولا فظن خليلا
وقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى خليلى من لا اشك
فى صحة خلته ولا يتغير فى حضوره وغيبته وشعرى على ما ثبت
فى النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى غايته وقد
يقصد به التحقير نحو قوله الآتى فهجرته الى ما هاجر اليه فالت
الصفوى وبالحقيقة الاشكال مدفوع من اصله لان الهجرة
هى الانتقال وهو امر يقتضى ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه
وما يبعث على الاستقبال هو المهاجر له والقرينتان لبيان ان العبرة
بالباعث وذلك انما يظهر اذا كانت الى فى جملتى الشرط بمعنى
اللام فاذا تركت فى الجزاء على معناها الوضعى الحقيقى فلا اتحاد
والمعنى من هاجر لله ولرسوله اى لاتباع امرهما وابتغاء رضاهما
فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا منتقلا الى الدنيا ونعيمها
ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبى ظاهرا
وقوله الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر اليه ثم ان
اصل الهجرة الانتقال من محل الى محل كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل في
الاشخاص والاعيان والمعانى وذلك فى حقه تعالى اما على
التشبيه البليغ اى كانه هاجر اليه او هو على حذف مضاف
اى محل رضاه وثوابه ورحمته او يقال الانتقال الى الشئ عبارة
عن الانتقال الى محل يجلّ فيه ووجدانه كل احد على ما يليق به
فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوى وما يليق به الا ترى
الى ما اشتهر على السنة القوم من السير الى الله تعالى ونحو ذلك
او يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله غير عزيز الا ترى
الى ما قرروه فى ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع

حمد الله

حبيب الله كالمعاملة مع الله فمن بدن وبيعته بيعته والهجرة
اليه هجرة اليه وامثال هذه المسامحات فى كلام الشارع كثيرة وانما
تولوا فثم وجه الله والحاصل انه اريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال
والتجاوز من شئ الى شئ صوريا او معنويا وانما قال الى الله ورسوله
ولم يقل اليهما مع ان المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله
ولئلا يجمع بينهما فى ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس
خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله فان قيل قد
ورد فى حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما
فى الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ فالجواب
انه انما كان انكاره على الخطيب لانه لم يكن عنده من المعرفة
بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقائق الكلام ما كان يعلمه
عليه الصلاة والسلام من عظمته وجلاله (ومن كانت هجرته
لدنيا) بضم الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة
اذ هى غير منصرفة للوصفية ولزوم الف التأنيث وحكى ابن
قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة او لدنوها
الى الزوال او من الدناءة اى الخسة قال الشاعر
اعافه دنيا تسمى من دناءتها * دنيا والا فمن مكروهها الدانى
واللام فيها للتعليل او بمعنى الى لمقابلته له بقوله فهجرته الى ما هاجر
اليه قال بعضهم والاول اشبه وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة
قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو قال النووى والاول
اظهر واستشكل استعمالها منكرة لانها فى الاصل مؤنث
ادنى وادنى افعل تفضيل فحقها ان تستعمل باللام نحو الكبرى
والحسنى واجيب بان دنيا خلعت عن الوصفية واجريت

مجرى مالم يكن وصفاً مما وزنه فعلى اسماً كرجعى ونهمى ومن
ورودها منكرة مؤنثة قول الفرزدق
لا نحسبنك دنيا انت تاركها * كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا
(تصيبها) حال مقدرة اى مقدرا اصابتها اى تحصيلها فان
اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع كيف
وهى عدوة الله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر
اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى
تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم
بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج
ما كانوا اليها وروى جماعة فى قصة ثعلبة بن ابى حاطب
الذى انزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن الآيات انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو له بان الله يرزقه مالاً فقال له قليل تؤدى شكره خير
من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك
فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله والذى نفسى بيده
لو شئت ان تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت لكن هذا
غير صحيح كما قال اهل التفسير وقال الضحاك ان الآية نزلت
فى رجال من المنافقين الا ان قوله فاعقبهم نفاقاً فى قلوبهم
يدل على ان الذى عاهد لم يكن منافقاً الا ان يكون المعنى زادهم
نفاقاً ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه
وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى
بيده لا الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء
وفى الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى

وما والاه وعالم او متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فأتي بماء وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم

(وقال بعضهم نظما)

ارى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

(وقال آخر)

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(او امرأة) وفي رواية او الى امرأة (ينكحها) اي يتزوجها كما جاء في رواية البخاري فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحان لا ذم فيهما فالجواب انه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج في صورة طلب الهجرة فابطن خلاف ما اظهر فلذلك ذم فان قيل فما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم وليس من متاع الدنيا شيء افضل من المرأة الصالحة فالجواب من وجوه الاول ان دنيا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بانها واقعة في سياق الشرط فتعم

انما الدنيا متاع

الثاني انه للتنبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص
بعد العام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال الاية
لكن يعكر عليه قول ابن مالك في شرح العمدة ان عطف الخاص
على العام يختص بالواو ونحوه للشيخ خالد واجيب بان الدماميني
اشار الى جواز عطف الخاص على العام وعكسه باو وذهب بعضهم
الى ان الاجود جعل او للتقسيم وجعلها قسما مقابلا للدنيا
ايذانا بشدة فتنتها وكذلك روى اسامة بن زيد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة
اضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما ايس
الشيطان من انسان قط الا اتاه من قبل النساء وقال
سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت به لم اخطئ النساء
وكذا في خبر احمد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس
ومن ثم جعلن في القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس
حب الشهوات من النساء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ايها الناس لا تطيعوا للنساء امرا ولا تدعوهن يدبرن امر
عيش فانهن ان تركن وما يردن افسدن الملك وعصين
المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند
شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صوالحهن
ففاجرات واما طوالحهن فعاهرات واما المعصومات فهن
المعدومات فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات
ويمنعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعيذوا
بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام *
الثالث ان الحديث ورد على سبب وهو انه لما امر بالهجرة من
مكة الى المدينة تخلف جماعة عنها فذمهم الله تعالى بقوله

الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم الآية
ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم فعذرهم واستثناهم بقوله
الا المستضعفين من الرجال الآية وهاجر جماعة فمدحهم الله
في غير موضع من كتابه وكان في المهاجرين رجل اراد ان يتزوج
امرأة يقال لها ام قيس واسمها آمنة وقيل جزامة وقال ابن
دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية فابت ان تتزوجه
حتى يهاجر فهاجر لاجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده
وذكر الدنيا معها من باب زيادة النص على السبب كما انه لما
سئل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته
فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا لقاعدة اخرى ويحتمل ان يكون
هاجر لما لها مع نكاحها ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره
من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما
(فهجرته الى ما هاجر اليه) من الدنيا او المرأة وان كانت صورته
صورة الهجرة لله ورسوله وترك الاتيان بالظاهر في هذه الجملة
حثا على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما
وتنبيها على ان العدول عن ذكرهما ابلغ في الزجر عن قصدهما
(رواه اماما المحدثين) علما واتقانا وتحريرا وورعا وزهدا
واجتهادا واستنباطا (ابو عبد الله محمد بن اسمعيل) كان
من خيار الناس واخذ عن مالك وحماد بن زيد وصحب ابن
المبارك وروى عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح (ابن
ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم ويجوز كسرها قاله المص في شرحه
على البخاري (ابن بردزبه) بموحدة مفتوحة وراء ساكنة فدال
مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة ومعناه بلسان
اهل بخارى الزراع (البخاري) بضم الباء الموحدة وفتح الخاء
المعجمة وبالراء بعد الالف نسبة الى بخارى بلدة معروفة

وراء النهر عمى في صغره وهو ابن سنتين وكانت له والدة عابدة وكانت تدعو الله كثيرا ان يرد اليه بصره فرأت ابرهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام في المنام فقال لها ان الله قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك وبكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال ابو جعفر محمد بن ابي حاتم الوراق قلت لابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري كيف كان بدء امرك في طلب الحديث فقال ألهمت حفظ الحديث وانا في الكتاب قلت وكم اتى عليك اذ ذاك فقال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف الى الداخلي وغيره قال فلما طعنت في ستة عشر سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع ابي واخي احمد الى مكة فلما حججنا رجع اخي وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت اصنف فضائل الصحابة والتابعين واقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة وقال قل اسم في التاريخ الا له عندي قصة الا اني كرهت تطويل الكتاب * وعن الحسن بن الحسن البزاز بزاي بين قال رأيت محمد بن اسمعيل البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير وروي عن البخاري انه قال اخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث وزهاء الشيء بضم الزاي وبالمد قدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا اي حزرته حكاه الصاغاني وصنفه في ستة عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا اربعة ابو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى اهـ وكتب عن زهاء اي قدر الف عالم وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة وكان يحضر

مجلسه زهاء عشرين الفا وسمع منه الصحيح سبعون الفا وروى عنه رجال كثير نحو مائة الف او يزيد وكل او ينقصون وروى عنه مسلم خارج الصحيح وكان يقول له دعنى اقبل رجليك يا طبيب الحديث فى علله ويا استاذ الاستاذين ويا سيد المحدثين ومناقبه كثيرة افردت بالتأليف منها ان كتابه لم يقرأ فى كرب الا فرج ولا ركب به فى مركب فغرق والسبب فى تصنيفه له ما رواه عنه ابراهيم ابن معقل النسفى قال كنا عند اسحق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصرا الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك فى قلبى فاخذت فى جمع الجامع الصحيح وعنه ايضا قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكاننى واقف بين يديه وبيدى مروحة اذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لى انت تذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح قال والفته فى بضع عشرة سنة وكان فى سعة من الدنيا قد ورث مالا كثيرا من ابيه وكان يتصدق به وربما كان يمضى النهار ولا ياكل الا لوزتين او ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم الحكاية المشهورة المتقدمة فى امتحانهم له بقلب الاسانيد والمتون فصححها كلها فى الساعة ولما رجع من بغداد الى بخارى تلقاه اهلها فى محفل عظيم وبقى مدة يحدثهم فى مسجده فارسل اليه امير البلد خالد بن محمد الذهلى يتلطف به ويسأله ان يحمل له الصحيح ويحدثه فى قصره فامتنع البخارى من ذلك وقال لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب الناس فحصلت وحشة بينهما فامره خالد بالخروج من البلد فيقال ان البخارى دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد امر الخليفة بان ينادى عليه فى البلد فنودى عليه وهو على اتان وحبس حتى مات ولما خرج من بخارى كتب اليه اهل سمرقند يطلبونه الى بلدهم

فسار اليهم فلما كان بخرتنك بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فاقام بها حتى ينجلى الامر ودعا وقال اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك فمات فى ذلك الشهر وتقدم فى الخطبة ما يتعلق بمولده وسنه ووفاته (الجعفى) نسبة الى اليمان ابن اخنس الجعفى لانه اسلم على يديه (وابو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيرى) بضم القاف مصغرًا نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من العلماء ومن نسبه من الشراح الى قشير بطن من اسلم منهم سلمة ابن الاكوع فقد وهم (النيسابورى) بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة الى نيسابور احسن مدن خراسان واجمعها للخيرات سميت به لان سابور ذا الاكتاف لما رأى موضعها وكان قصبا قال يصلح ان يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل نيسابور والنى القصب صنف مسلم صحيحه من ثلثمائة الف حديث كما فى تاريخ ابن عساكر ولد سنة اربع ومائتين وتوفى عشية الاحد لخمس بقين من رجب ودفن يوم الاثنين سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ستون وقيل قاربها ويؤيده ان المعروف ان مولده سنة اربع ومائتين وذكر الحاكم ان سبب موته انه ذكر له حديث فلم يعرفه فاوقد السراج وقال لمن بداره لا يدخل منكم احد فقالوا اهديت لنا سلة تمر وقدموها فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فاصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث (فى صحيحيهما اللذين) بلامين ليتميز عن الذين جمعا فانه بلام واحد (هما اصح الكتب)

والاوّل ارجح من الثانى وقول الشافعىّ ما اعلم على الارض كتابا
اكثر صوابا من كتاب مالك وفى لفظ عنه ما بعد كتاب الله
اصحّ من الموطا كان قبل وجودهما واستشكل بعض الائمة
اطلاق اصحّيّة كتاب البخارىّ على الموطا مع اشتراكهما فى
اشتراط الصّحّة والمبالغة فى التحرّى والتثبّت وكون البخارى
اكثر حديثا لا يلزم منه افضليّة الصّحّة والجواب عن ذلك
انه محمول على اصل اشتراط الصحّة فالامام مالك لا يرى
الانقطاع فى الاسناد قادحا فلذلك يخرج فى المراسيل
والمنقطعات والبلاغات فى اصل موضوع كتابه والبخارى
يرى انّ الانقطاع علّة فلا يخرج ما هذا سبيله الّا فى غير
اصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شكّ ان المنقطع
وان كان عند قوم من قبيل ما يحتجّ به فالمتصل اقوى منه اذا
اشترك كلّ من رواتهما فى العدالة والحفظ (الحديث الثاني
عن) ابى حفص (عمر ايضا رضى الله عنه) روى البخارىّ
وغيره انه استأذن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى العمرة فقال
له يا أخىّ اشركنا فى صالح دعواتك ولا تنسنا وأخىّ ضبط
بضمّ الهمزة مصغّرا وقال له صلّى الله عليه وسلّم والذى نفسى
بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجّا الّا سلك فجّا غير فجّك
وقال انّ الله تعالى جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل
بالناس امر قطّ فقالوا وقال الّا نزل القرآن على نحو ما قال
وروى الشيخان انه صلّى الله عليه وسلّم قال بينا انا نائم شربت
لبنا حتّى انظر الى الرّىّ يجرى فى اظفارى فناولته عمر
قالوا فما اوّلته يا رسول الله قال العلم وانّه رآه وعليه قميص
يجرّه قالوا فما اوّلته يا رسول الله قال الدّين وقال صلّى الله
عليه وسلّم رأيت كانى على بئر اسقى النّاس فجاءنى ابو بكر فاخذ

الدلو مني ليرتحي فنزع ذنوبًا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فاخذها من ابي بكر فاستحالت غربًا اى دلوًا كبيرة جدًا فلم ار عبقريًا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن اى ارتووا وقوله ذنوبًا او ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك الا اذا كان فيه ماء وقوله عبقريًا قال ابو عبيدة العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء ويطلق على السيد والكبير والقوي وقيل هو منسوب الى عبقر موضع بالبادية يسكنه الجن فاطلقته العرب على كل من كان عظيمًا في نفسه * فاتقا في جنسه * وقوله حتى ضرب الناس بعطن اى رووا ورويت ابلهم فاقامت على الماء ومنه اعطان الابل اى مواضع اقامتها على الماء وكان ذلك مثلًا على حال ابي بكر في الخلافة ثم عمر والضعف ليس من ابي بكر ولكن من الوقت لاجل الفتن التي اتفقت في زمانه من قتال اهل الردة وقتل مسيلمة وفي استخلاف عمر راقت وصفت واتسعت الفتوح والاموال وكثر خير الله وطاب وركب رضي الله تعالى عنه فرسًا في بعض الايام فانكشفت فخذه فرأى نصارى نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من ارضنا وكان كذلك فانه اجلاهم من بلدتهم بعد ذلك وكان اول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر قال اللهم اني شديد فليني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني وعن الاوزاعي ان عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر فلما اصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الاذى

فقال طلحة ثكلتك امك يا طلحة أعورات عمر تتبع * وعنه ايضا انه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك ان نحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لامه اتقي الله واحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه فعاد الى امه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فاتى امه وقال ويحك اني لاراك ام سوء مالي ارى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت يا عبد الله قد ابرمتني منذ الليلة اني اريغه لاجل الفطام فيأبى قال ولم قالت لان عمر لا يفرض الا للفطم قال وكم له قالت كذا وكذا شهرا قال لها ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من اولاد المسلمين ثم امر مناديا فنادى ان لا تعجلوا على اولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وكتب بذلك الى الآفاق وكان لا يجمع في سماطه بين ادامين وقدمت اليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال ادمان في اناء لا آكله حتى القى الله عز وجل وعن الحسن انه خطب الناس وعليه ازار فيه ثنتا عشر رقعة وعنه ايضا انه كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع وقال الشعراني في الطبقات وكان في قميصه اربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا في قميصه مرة اربعة عشر رقعة احداها من ادم احمر وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة وثمنها درهم فيؤخرها سنة كاملة اهـ وعن مصعب بن سعد ان حفصة قالت لعمر يا امير المؤمنين لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك واكلت طعاما هو اطيب من طعامك فقد وسع

الله عليك من الرزق واكثر عليك من الخير فقال انى ساخاصمك الى نفسك اما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى ابكاها فقال لها اما والله لاشاركنه فى مثل عيشه الشديد لعلى ادرك عيشه الرخية وعن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس فقال والله انه للموضع الذى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فيه فقال عمر للعباس وانا اعزم عليك لاصعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففعل ذلك العباس * وعن عبد الله بن عمر انه قال رايت والدى اخذ تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه التبنة ليتنى لم اخلق ليت امى لم تلدنى ليتنى لم اكن شيئا مذكورا ليتنى كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا احنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه * قتله ابو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة فى المدينة بعد رجوعه من الحج فى آخر ذى الحجة لاربع ليال بقين منه سنة ثلاث وعشرين وروى انه لما طعن ودخل بيته دعى بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا امير المؤمنين فقال نعم ولا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يثعب اى يقطر دما

فلما توفي وجيء به وكان على الروضة قفل فبينما عبد الله يريد ان يستأذن اوهو يستأذن اذ سمعوا انفتاح القفل من غير ان يفتحه احد وقائلا يقول من الروضة ادخلوه فدفن وكانت عائشة رضي الله عنها رأت في المنام كأن ثلاثة اقمار سقطن في حجرتها فقصتها على ابي بكر فقال لها خيرا رأيت وخيرا يكون ساخبرك بها وبكى فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها قال لها يا بنية هذا احد اقمارك وهو خيرها فلما احتضر هو قال لها وهذا الثاني والذي بعد ثالثها فكان عمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح وغسله ابنه عبد الله وصلى عليه صهيب ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل على سريره قال علي رضي الله تعالى عنه والله ما على الارض رجل احب الي ان يلقى الله بصحيفة من هذا المسجى بالثوب وقال حذيفة لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما اصيب جعل يدعو الله ان يريه اياه فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا اوان فرغت من الحساب ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيت رؤفا رحيما *

(قال) اي عمر (بينما) اصله بين فزيدت عليه ما لتكفها عن عملها وهو الخفض ويجوز ايضا بينا بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجأة ففيه اشارة الى ان ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد (نحن) ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله في آخره اتاكم يعلمكم دينكم فلو اتجاه لجعله ضمير المتكلم المعظم نفسه (جلوس) جمع جالس كشهود جمع شاهد او مصدر بمعنى جالسين

ونحن مبتدأ وجلوس خبره (عند) بتثليث العين ظرف مكان ومعناه القرب اما حسًّا كما هنا واما معنىً كما فى قوله تعالى وعنده ام الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر غير من (رسول الله صلّى الله عليه وسلم ذات يوم) جمعه ايام واصله ايوام فادغمت واورد عليه انّ ذات مؤنثة لانها تأنيث ذو بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف اضيف المؤنث الى المذكر واجيب بأنّ الكلام فيه حذف والتقدير فى ساعة ذات مدة من يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولمّا كان بينما ظرف متضمن معنى الشرط وهو يحتاج الى جواب يتم به اشار له بقوله اذ طلع لم يقل دخل اشعارًا بتعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره فى نباهة القدر وارتفاع الشان بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة فى المصدر اصلية وفى الفعل تبعية او شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم اثبت له الطلوع تخييلًا (علينا رجل) اى ملك فى صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفى رواية للبخارى اذ اتاه رجل يمشى وافاد مسلم فى رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده فى اوّله قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم سلونى فهابوا ان يسألوه قال فجاء رجل الخ اى لانهم كانوا اوّلًا اكثروا المسائل على النبى صلّى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنّت ونحوه فلمّا امتثلوا قال لهم سلونى فهابوه واحجموا عن المسئلة فجاءهم من تعلّموا اسؤاله قال السبكى نقلًا عن ابن العربى للملك ان يتصوّر فى اى صورة شاء وتجرى عليه احكامها وحينئذ فلا يتكلم الا بما يليق بتلك الصورة ومثل ذلك للجنى فاذا قتلت تلك الصورة التى ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه

فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم بأى لغة شاء واذا اقتل بها لايموت اهـ ويما تقرر من ان للملك انه يتصور فى اى صورة شاء يندفع تردد امام الحرمين فى تمثل الملك هل معناه ان الله افنى الزائد او ازاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقول ابن جنى الظاهر ان الزائد لايزول ولا يفنى بل يخفى عن الرائى وقول البلقينى بالقبض والبسط وذلك انه يجوز ان يكون اتى بشكله الاصلى من غير فناء ولا ازالة الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا

(شديد بياض الثياب) فيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس فى المحافل لان مرجع جميع الالوان اليه وهذا فى غير العيد واما فيه فالجديد ولو من غير البياض افضل من غيره للقادر عليه لانه يوم زينة واظهار للنعمة وفيه دليل على ان السنة النظافة لخبر ان الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ (شديد سواد الشعر) فيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر وقوله الشعر اى شعر اللحية كما وقع مصرحا به فى رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمان طلب العلم زمن الشباب فانه اذا صرف اول عمره فى طلب العلم يصرف باقيه فى العمل بما علم وقدم البياض على السواد لانه خير الالوان وفى رواية النسائى احسن الناس وجها واطيب الناس ريحا كأن ثيابه لايمسها دنس وفيه استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما للعالم والمتعلم

لانه معلم بدليل انا تاكم يعلمكم دينكم وشغلهم بمقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا باس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فانى كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفون نهى ما اخلوا به من ادب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وانكرت عليهم ذلك سمعوا واطاعوا وفيه رد على من آثر رثاثة الهيئة والملبس (لايرى) بضم المثناة تحت مبنى لما لم يسم فاعله وروى بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل والرواية الاولى ابلغ من الثانية وعليه اقتصر النووى فى نكته (عليه اثر) اى علامة (السفر) من نحو غبرة وشعوثة ولسليمان التيمي ليس عليه سحنا سفر وليس من البلد والسحنا بفتح السين والحاء المهملتين الهيئة (ولا يعرفه منا) اى معشر الصحابة وقدمه للاهتمام (احد) لاينافى انه كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى رضي الله عنه لان ذلك كان غالبا لا دائما وايضا زاد فى التعمية عليهم حيث جاء ماشيا فى هيئة مقيم وما وقع فى رواية النسائى من طريق ابى فروة فى آخر الحديث انه جبريل نزل فى صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرفه لئلا يوهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح فى انهم رأوه وما وقع فى رواية احمد عن غير عمر من انهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم كان خارجا عن ذلك فسمعوه من وراء نحو جدار جمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره بعضهم ولا حاجة اليه لان الملك اذا حضر بمجلس قد يراه بعض اهل المجلس دون بعض بحسب حال الرائى فى الصفاء والاستعداد وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجملتان صفة رجل او حال عنه

لانه خصص بالوصفين فان قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم احد فالجواب انه يحتمل انه استند فيه الى ظنه او الى صريح قول الحاضرين قال الحافظ ابو الفضل بن حجر ويحتمل الثاني انه قد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا (حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع اى استأذن ودنا حتى جلس الخ اه وبه يندفع ما قيل انه ليس في الكلام ما هذا غاية له ثم ان هذا التعيين بالى يرد عليه انها لانتهاء الغاية وهو انما يكون في ممتد كالسير دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فلتكن بمعنى عند او مع (فاسند) اى الصق (ركبتيه الى ركبتيه) لان الجلوس كذلك اقرب للتواضع والادب وابلغ في الاصغاء وحضور القلب والاستئناس وهو صريح في انه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكنه الا اسناد ركبة واحدة وفيه اشارة الى انه ينبغي للمتعلم الجلوس بين يدي شيخه لا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه حيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ في القرب منه بحيث يسند ركبتيه اليه كما هنا لانه انما فعل ذلك هنا جريا على ما بينهما قبل من مزيد الود والانس حين يلقي عليه الوحي (ووضع كفيه) تثنية كف وهي الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن البدن (على فخذيه) بكسر الخاء اى فخذى النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس وابي عامر الاشعري وابي هريرة وابي ذر حيث قال وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لما جزم به النووي ووافقه عليه التوربشتي شارح المصابيح ان الضمير راجع الى الرجل قال القرطبي واراد بذلك المبالغة في تعمية امره ليقوى الظن

انه من جفاة الاعراب فصنع صنيعهم لان الصحابة رضى الله عنهم استنكروا هيئته وجلوسه كما ذكراه وردّ بعضهم بانه لا يكون صنيعه المذكور كصنيع جفاة الاعراب الا لو لم يفعله باذن وهو قد أذن له مرارًا اه وفيه نظر فان قربه وان كان مأذونًا له فيه لكن وضعه كفيه على فخذى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبى انه صنع صنيع جفاة الاعراب وفى رواية ابى داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين اصحابه فيجيء الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسأل فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجاء جبريل وهو عليها وقال السلام عليك يا محمد فردّ عليه السلام وقال ادنو يا محمد قال ادن فما زال يقول ادنو مرارًا وهو يقول ادن ادن واستنبط منه بعضهم استحباب ابتداء الداخل بالسلام واقباله على رأس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعًا اذا احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستئذان فى القرب من الامام مرارًا وان كان الامام فى موضع مأذون فى دخوله وترك الاكتفاء فى الاستئذان مرة او مرتين على جهة التعظيم والاحترام ووقع للشارح الهيتمى انه عزى لرواية النسائى انه خاطبه بقوله السلام عليكم يا محمد بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائى ليس فيها عليكم بلفظ الجمع وانما وقع ذلك فى رواية القرطبى ثم استنبط منه انه يسن للداخل ان يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذى وقف عليه من الروايات انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد (وقال يا محمد) علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف اى المكرر العين سمى به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

بالهام من الله تعالى تفاؤلاً بان يكثر حمد الخلق له لكثرة
خصاله الجميلة ويأتى لذلك مزيد بيان وخاطبه به مع انه
يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا اما لانه كان قبل التحريم
واما لان الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة لان
الخطاب فى الآية للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل
واما جريًا على عادة العرب من النداء بالاسم غالبًا قصدًا
لمزيد التعمية عليهم وفهم منه جواز نداء العالم والرئيس
باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذلك والا كان على
سبيل الوضع من قدره لانه اقرب الى التواضع واولى
بالصدق والا فبلقبه او كنيته توقيرًا له وتعظيمًا واتما
خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسماء لان هذا
هو اشهرها (اخبرنى عن الاسلام) اللام فيه للحقيقة ولماهية
الشرعية وكذا فى نظائره ولذا وقع فى رواية ابى هريرة
ما الاسلام هنا وما الايمان فيما يأتى وهى تدل على انه انما
سئل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة والا لم يجب
بما يأتى ولا عن حكمهما لان ما فى اصلها انما يسئل بها
عن الحقائق والماهيات وقد سال رجل آخر عن الله فقال
له ان تسأل عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسال عن صفته
فالرحمن الرحيم وان تسأل عن فعله فخالق المخلوقين وان
تسال عن ماهيته فلا ماهية نعرفها ولما اقام موسى وهارون
بباب فرعون سنة ولم يؤذن لهما فى الدخول عليه ثم دخل
عليه البواب فقال ها هنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين
فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه وادّيا
الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما يستفهم بها عن الاجناس

ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فاجابه موسى
بالصفات الدالة على مخلوقاته التى لا يشاركه فيها مخلوق
بقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال فرعون لمن حوله الا تستمعون فزاد موسى بالبيان بقوله
ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى
ارسل اليكم لمجنون قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون * واعلم انه بدأه فى رواية مسلم هذه بالسؤال
عن الاسلام لانه الامر الظاهر واشعارا بان اول واجب
على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة كما حققه
الدوانى وثنى بالايمان لانه الامر الباطن ووجه عكسه
الواقع فى رواية البخارى ان الايمان هو الاصل فبدأ به
وثنى بالاسلام لانه يظهر به مصداق الدعوى وثلث
بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبى الاول لما فيه من
الترقى فبدأ بالظاهر وترقى الى الاعلى والعلو فى الثانى
لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم اوفقها له
وقد قدم فيه الايمان على الاسلام فى آيات كثيرة هذا
محصل ما وجهوا به الترتيب الواقع فى الروايتين وبدأ
فى رواية مطر الوراق بالاسلام وثنى بالاحسان وثلث
بالايمان ويمكن توجيهها بان الاحسان هو الاخلاص
فكما ان محله القلب ذكر ذلك فى القلب اى الوسط والحق
كما قال ابن حجر وغيره ان التقديم والتأخير من الرواة
لان القصة واحدة اختلفت الرواة فى تأديتها وفيه دليل
على ان الاسم غير المسمى لان جبريل سال ما الاسلام ما الايمان
ما الاحسان فاتى باسمائها واجابه النبى صلى الله عليه وسلم بمعانيها
ولو كان الاسم هو المسمى لم يحتج الى السؤال عنه ولما اجابه النبى

صلى الله عليه وسلم به بل كان يقول له انك عالم ثم سمى ما سألت عنه
(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبًا له عن ماهية
الاسلام وحقيقته (الاسلام) هو لغة الدخول فى السلم
اى الانقياد والاذعان ومنه قوله تعالى قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وشرعًا الانقياد الى الاعمال
الواجبة الظاهرة كما بيّن ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (ان)
مصدرية (تشهد) منصوب بها وباقى الافعال الآتية
من قوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان
وتحج معطوف عليها والشهادة الاخبار عن امر متيقن قطعًا
اى تعلم وتحقق (ان) بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان محذوف اى انه اى الشان (لا اله) اى لا معبود
بحق موجود او فى الوجود (الا الله) ولا نافية للجنس واله اسمها
مبنى على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود او فى الوجود
كما مر فان قلت نفى الوجود لا يستلزم نفى الامكان بخلاف
العكس فالجواب من ثلاثة اوجه الاول انه انما قدر الوجود
لانه الذى ادعاه المشركون فاثبتوا وجود آلهة متعددة
وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله نفى لدعواهم الثانى ان لا
لنفى الجنس وهى موضوعة لنفى الوجود لا لنفى الامكان
الثالث ان نفى الوجود هو المحصل للتوحيد صريحًا لانه لو
قدر ممكن لزم ان المثبت فى الا الله هو الامكان فلا يحصل
التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره
والا اداة استثناء والاسم المكرم الواقع بعدها مرفوع على
انه بدل من الضمير المستتر فى الخبر المقدر وهو الاصح وقيل
انه بدل من محل لا مع اسمها لان محلهما الرفع على الابتداء
وقيل غير ذلك (وان محمدًا رسول الله) محمد علم منقول من اسم

مفعول حمد بتشديد العين سُمّي به نبيّنا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة اى سمّاه به جدّه عبد المطّلب تفاؤلاً بانه يكثر حمد الخلق له كما رُوى فى السّير انه قيل لجدّه عبد المطلب وقد سمّاه فى سابع ولادته لموت ابيه قبلها على الصّحيح لِمَ سمّيت ابنك اى ابن ابنك محمّداً وليس من اسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد فى السّماء والارض وقد حقّق الله تعالى رجاءه قال حسّان رضى الله عنه

وشقّ له من اسمه ليجلّه * فذو العرش محمود وهذا محمّدُ

ولرؤيا رآها انّ سلسلة من فضّة خرجت من ظهره لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فعبّرت بمولود يتبعه اهلهما ويحمده اهل السّماء والارض قال بعض اهل المعانى الميم الاولى محق الكفر بالايمان او محو سيّئات من اتّبعه او منّة الله تعالى على المؤمنين به والحاء حكمه بين الخلق بحكم تعالى والميم الثانية ملكه الذى اعطاه الله تعالى له ولم يعط لاحد قبله او ذلك انه قرن اسمه مع اسمه فى المشرق والمغرب والدّال دليل الخلق فى الدنيا لانه الدّاعى الى الله تعالى ودليلهم فى الآخرة الى الجنّة ويقال انّ ممّا اكرم به الآدمىّ ان كانت صورته على ترتيب اسمه عليه الصّلاة والسّلام فالميم الاولى بمنزلة رأس الانسان والحاء بمنزلة اليدين والميم الثانية بمنزلة السّرّة والدّال بمنزلة الرجلين قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا الله منها الا ممسوخ الصّورة اكراما لصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراءة من كل ما يخالف دين الاسلام على الاصحّ الا ان يكون منسوبا لاعتقادهم اختصاص رسالة نبيّنا صلى الله عليه وسلم بالعرب

(ويقيمون الصلوٰة) اقامة الصلوٰة تعديل اركانها وحفظها من الزيغ من اقام العود وقومه او الدوام والمحافظة من قامت السوق اى انفقت او التشمر لادائها من قام فى الامر او اداؤها كذا فى الكشاف ولا يخفى انه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل اركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه الفعل وعلى الثانى كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز فى الاسناد بمعنى يجعلها قائمة فيفيد التشمر وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق بعض الشئ على كله وانه لو حمل على الثانى فقط كان اولى لدلالته على جميع المعانى وابعد من زعم ان المراد بالاقامة اخت الاذان واصل الصلوٰة فى اللغة الدعاء قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول اى دعواته وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم اى ادع لهم ان صلواتك سكن لهم اى دعواتك طمأنينة لهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صائما فليصل اى فليدع وقال الاعشى

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا * يارب جنب ابى الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذى صليت فاعتصمى * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

اى دعوت وادعى السهيلى انه لا يصح ان يكون معناها الدعاء لانه يستعمل فى الخير والشر بل هى راجعة الى معنى الحنو والانعطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل ابى اوفى وبمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لاصلى عليهم وفى رواية لاستغفر لهم وفى الشرع قال

ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم او سجود فقط فيدخل
سجود التلاوة وصلاة الجنازة اه واختلفوا فى اشتقاقها
فقال النووى الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد
واللام وهما عرقان فى الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان فى
الركوع والسجود ولذلك كتب الصلوة فى المصحف بالواو
وقيل انها مأخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان
الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية
قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وروى انه قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع
النبى صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه
فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما
فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها مأخوذة من
الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه بمعنى انها تدنيه من
رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل
والخضوع بين يدى الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء
وتعميم القلب بذكره واستعمال الجوارح فى خدمته وفرضت
فى السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم
والحكمة فى وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج انه صلى الله عليه
وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ
بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهور
ناسب ذلك ان تفرض الصلاة فى هذه الحالة والاصح انه
لم تفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشى مدة ما كان بمكة تسع سنين ثم فرضت
الخمس ليلة الاسراء واختلفوا فى كيفية فرضها فروت عائشة
رضى الله عنها انها فرضت ركعتين ركعتين ثم اكملت

الحضر اربعًا قال الحسن البصري وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت اربعًا الا المغرب فثلاثًا والا الصبح فاثنين وهو طريق الجمهور واول صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها اول صلاة ظهرت ولذلك تسمى الاولى (وتؤتي الزكاة) اي تعطيها المستحقيها او للامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول لان الايتاء يتعدى لمفعولين اولهما فاعل في المعنى واولاها للصلاة موافقة للقرآن وهي لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نما وطاب لانها تنمي المال بالبركة او سبب في نموه وزيادته ومنه قول النابغة

وما اخرت من دنياك نقص * وما قدمت عاد لك الزكاء

اي الزيادة والتطهير لانها تطهر المال من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكي من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها والتنعم يقال زكا الرجل يزكو اذا تنعم وكان في خصب والتصدق يقال زكى اذا تصدق واللائق بالشيء يقال هذا الامر يزكو لفلان اي يليق به وشرعًا جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابًا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة من التصديق الذي هو الايمان اذ دافعها مصدق بوجوبها وحكمة وجوبها مواساة الفقراء (وتصوم رمضان) الصوم في اللغة الامساك والكف عن الشيء ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صومًا اي صمتًا وامساكًا عن الكلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشي الشمس في وسط النهار فكانها غير متحركة وصام الفرس قام من غير اعتلاف وشرعًا قال القرافي امساك عن شهوتي الفم

والفرج او ما يقوم مقامهما مخالفة الهوى في طاعة المولى في جميع
اجزاء النهار بنية قبل الفجر او فيه ان امكن فيما عدا زمن الحيض
والنفاس وايام الاعياد اهـ وضمير التثنية في قوله يقوم مقامهما
يعود على الفم والفرج ويقوم مقام الفم الانف ونحوه فان الواصل
منه للجوف او للحلق مفطر ويقوم مقام الفرج اللمس الموجب
للفطر واخره عن الزكاة وان كان انسب بالصلاة لكونه بدنيا لان
اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة اكثر ولهذا كررهما في القرآن
كثيرا ولانهما اذا وجبا لا يسقطان عن المكلف اصلا والصوم
يسقط بنحو الفدية ذكره الكرماني ورمضان كما قال الخليل
ماخوذ من الرمض اي بالتحريك وهو مطر يأتي ايام الخريف
سمي هذا الشهر به لانه يغسل الابدان من الآثام ويطهر قلوبهم
وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب اي يحرقها وقيل من الارتماض
لانه يأخذ فيه اي في رمضان من حرارة الموعظة والفكر
في امر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم
لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي
وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمي به قال
السيوطي في حاشيته على البخاري قال بعضهم لما تاب آدم من
اكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة
ثلاثين يوما فلما صفى جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته
صيام ثلاثين وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة اهـ وقال
القرطبي فيه جواز استعماله غير مضاف الى شهر وهو مذهب البخاري
والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وقيل
يكره استعماله بلا اضافة شهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز
بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه
من اسماء الله والمذهبان الاخيران فاسدان كما قاله النووي

ولا يصح ان يكون من اسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون في اسماء الله تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من الحديث ضعيف واول ما فرض رمضان خير بينه وبين الاطعام لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وكان يباح للمكلف الاكل والشرب والجماع بعد الغروب الى ان ينام او يصلي العشاء فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الراء انه طلب من امرأته ما يفطر عليه فذهبت لتأتي به ثم اتت فوجدته قد نام فاصبح صائما وكان يعمل في حائطه فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه واراد عمر وطأ زوجته فزعمت انها نامت فكذبها ووطئها ثم خون نفسه وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر جماعة من الصحابة عن انفسهم فنزل قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم الآية وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآة القلب والاتصاف بسيما الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع

(وحج البيت) الحج لغة القصد وقال الخطابي القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر * يحجون بيت الزبرقان المزعفرا * يريد انهم يقصدونه في امورهم ويختلفون اليه في حوائجهم مرة بعد اخرى واصطلاحا قال ابن عرفة يمكن رسمه بانه عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة وحده بزيادة وطواف ذي طهر اخص بالبيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعي من الصفا للمروة ومنه اليها سبعا بعد طواف كذلك لا بقيد وقته باحرام في الجميع اه والمراد بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما في شارحه او من الحدث المذكور والخبث وقوله لا بقيد وقته

اى انه لا يعتبر فى الطواف الذى لا يتوقف عليه السعى حصوله بعد فجر يوم النحر كما فى طواف الافاضة والبيت اسم جنس ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا (ان استطعت اليه) اى الحج او البيت (سبيلا) مفعول له او تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت اى ان استطعت سبيل البيت فانه ليكون اوقع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا اى طريقا وتنكيره للعموم اذ النكرة فى الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت والسبيل يذكر ويؤنث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ومثله ما هنا ومن التأنيث قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة والاستطاعة القدرة وهى امكان الوصول من غير مشقة عظيمة مع الامن على النفس والمال ولو بلا زاد وراحلة لذى صنعة تقوم به وقدر على المشى فالاستطاعة ولو بالبدن وعند الشافعى بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند ابى حنيفة بمجموع الامرين وانما قيد بالاستطاعة فى الحج مع ان ما مر يقيدها ايضا اتباعا للفظ القرآن وفائدة التقييد لبيان ان المشقة فيه ليست كغيره او لان عدمها فى فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية وانما يسقط وجوب الاداء حالا بخلاف الحج فان عدمها يسقط وجوبه رأسا ومقتضى كلام القرطبى ان الصحيح ان الحج واجب على التراخى وهو تحصيل مذهب مالك فيما ذكر ابن خويزمنداد وهو قول الشافعى وذهب بعض البغداديين الى انه على الفور فلا يجوز تأخيره مع القدرة عليه وذكر شيخنا الاجهورى فى شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول اجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج

اذا اخّره العامَ والعامين ونحوَهما وانه اذا حجّ بعد اعوامٍ
من حين استطاعته فقد ادّى الحجّ الواجب عليه في وقته
وكل من قال بالتراخي لا يحدّ في ذلك حدًّا الا ما روي عن سحنون
من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق ورُدّت
شهادته لانّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال اعمار امّتي ما بين الستين
الى السبعين وقلّ من يجاوزها وقوله معترك المنايا ما بين
الستين والسبعين ولا حجّة فيه لانه كلام خرج على الاغلب
من اعمار امّته لو صحّ الحديث ولم يقطع بتفسيق من صحت عدالته
وامانته بمثل هذا من التأويل الضعيف اهـ وقد مرّ الاشق
واخّرها وجب في العمر مرة * تنبيــــــه * السبيل ورد
في القرآن على وجوه الاوّل البلاغ كما في قوله تعالى ولله على الناس
حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا يعني بلاغا الثاني الطاعة
كقوله تعالى في البقرة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله يعني
في طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى في بني اسرائيل انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا
يعني مخرجا من الحبس ومثله قوله في النساء حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهنّ سبيلا يعني مخرجا من الحبس الرابع
المسلك كقوله تعالى في النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من
النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا
اي مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهنّ سبيلا اي عللا السادس الدين كقوله تعالى ويتبع
غير سبيل المؤمنين اي دين المؤمنين السابع الهدى كقوله
تعالى في النساء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي من يضلل
الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا اي هدى الثامن الحجة
كقوله تعالى فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة التاسع

الطريق كقوله تعالى في النساء والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اي طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى في حمعسق ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل اي من عدوان انما السبيل على الذين يظلمون الناس الحادي عشر الطاعة كقوله تعالى في الفرقان الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي طاعة الثاني عشر الملة كقوله تعالى في يوسف قل هذه سبيلي اي ملتي (قال) السائل للمصطفى صلى الله عليه وسلم (صدقت) فيما اجبت به قال عمر (فعجبنا له) اي منه او لاجله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشيء (يسئله) والسؤال قرينة عدم العلم (ويصدقه) لان هذا خلاف عادة السائل والتصديق قرينة العلم ثم زال تعجبهم باعلامه انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم في صورة متعلم (قال فاخبرني عن الايمان) هو لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع ام لا سواء تعلق بحكم شرعي ام لا واصطلاحا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي فمن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به عينا ومن لم يعلم اسمه آمنا به اجمالا وكذلك الكتب والانبياء والرسل والمراد بالتصديق الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا انهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جاء به قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعلمون

يعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم واورد على التعريف ان قوله بالضرورة متعلق بقوله علم وهو يقتضي ان جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم امر ضروري لا يتوقف على نظر واستدلال وليس كذلك فان فيه النظري واجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع واشتهر بين اهل الاسلام حتى صار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة (قال الايمان ان تؤمن) ان وصلتها في موضع رفع خبر مبتدا محذوف اى الايمان هو ان تؤمن بالله وظاهر الحديث تغاير الايمان والاسلام لان جبريل سأل عنهما سؤالين واجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام باعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والايمان باعمال القلب وقد يتوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس فانه امرهم بالايمان ثم قال اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان قيل هذا تعريف للشيء بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فالجواب كما قال الكرماني ان المراد من المحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي ويظهر انه انما اعاد لفظ الايمان للاعتناء بشأنه تفخيما لامره وهذا موافق لقول الطوفي هذا ليس من تعريف الشيء بنفسه بل هو من تعريف الشرعي باللغوي لانه لغة التصديق وشرعا تصديق خاص وهو الايمان بالله وما ذكر بعده فكانه قال الايمان شرعا التصديق بهذه الاشياء كما يقال الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعاء وزيادة امور أخر وهو كلام صحيح وقال الطيبي وقوله الايمان ان تؤمن يوهم التكرار وليس كذلك فان قوله ان تؤمن مضمن معنى ان تعترف ولذلك عداه بالباء كانه قيل الايمان

اعتراف بالله ووثوق به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان التصديق
ايضاً يتعدى بالباء فلا حاجة الى دعوى التضمين (بالله) اى
بانه واحد فى ذاته وصفاته وافعاله موصوف بصفة الكمال
منزه عن سمة الاجسام (وملائكته) جمع ملك على غير قياس
او جمع مالك بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهى الرسالة
ثم اخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال
ونقلت حركتها الى اللام وقال فى النهاية جمع ملائك فى الاصل
ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال اهـ والتأنيث للجمع وقيل
للمبالغة وقد ورد بغير تاء كما قال القائل * ابا خالد صلت عليك
الملائك * وهى اجسام لطيفة نورانية اعطيت قدرة
على التشكل باشكال مختلفة تقدر على افعال شاقة لا يقدر
عليها البشر وهم قسمان قسم شانهم الاستغراق فى معرفة الحق
والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى
الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القدر لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وفى الحديث اتانى ملك
لم ينزل الارض قبلها قط برسالة من ربى فوضع رجله فوق
السماء الدنيا ورجله الاخرى ثابتة فى الارض لم يرفعها
وقد ورد ان لله ملكا يملأ ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا
يملأ الكون كله وقد ورد فى عظم الملائكة ما هو فوق ذلك
لا يقال اذا ملأ الكون كله فاين يكون الآخر لانا نقول الانوار
لا تتزاحم الا ترى انك لو وضعت سراجا فى بيت ملأه نورا
ولو اتينا بعده بالف سراج وسع البيت انوارهم ذكره العارف
بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسى وقد جاء فى صفة الملائكة
احاديث منها ما اخرجه الترمذى وابن ماجه والبزار من
حديث ابى ذر مرفوعا اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها

موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها
ما اخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا ما في السموات السبع
موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد
وللطبراني نحوه من حديث عائشة وذكر في ربيع الابرار عن
سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا
يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون قلت
وفي قصة الملائكة مع ابراهيم وسارة ما يؤيد انهم لا يأكلون
واما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي
يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القرآن
الشريف رد على من انكر وجود الملائكة من الملحدة اه قال
الطيبي الاطيط صوت الاقتاب واطيط الابل اصواتها
وحنينها اي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد اثقلها حتى اطت
وهو مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وانما
هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله والاشبه كما قال الحليمي
ان لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فكان يحتاج كل
ملك الى آخر ولا يحاسبون ايضا اذ لا سيئات لهم واما الاثابة
فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل ان يكون وراء
رفع التكليف عنهم نعمة اعدها الله لهم ولا تبلغها عقولنا فان
الله تعالى يقول اعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر اه وذكر القرطبي في تفسير سورة
القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على
غيرهم وقيل ان الملائكة ليسوا بحيوان لعدم صدق
تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليس كذلك وانما خلقوا كذلك
(وكتبه) جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى
بعضها الى بعض مصدر كتب اي جمع والكتب اصطلاحا

ما انزل الله على الانبياء اما مكتوبًا على الالواح او مسموعًا من
وراء حجاب او من ملك مشاهد وخصّ الايمان بها لانها
الكلام الازلى القديم القائم بذاته المنزّه عن الحرف والصوت
انزلها على بعض رسله بالفاظ حادثة فى الالواح او على لسان
ملك وعدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة واربعة
صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى
قبل التورية عشرة والتورية والانجيل والزبور والفرقان
ومعانى الكتب مجموعة فى القرآن ومعانى القرآن مجموعة
فى الفاتحة ومعانيها مجموعة فى البسملة ومعانى البسملة مجموعة
فى بائها زاد بعضهم ومعانى الباء فى نقطتها اى فى ذلك
اشارة الى الوحدة فهو الواحد الذى لا نظير له قاله الخطيب
وذكر التتائى فى شرح الرسالة خلافه ونصّه فاشرف
جملة الكتب المنزلة مائة كتاب واربعة عشر كتابًا خمسون
على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولا خلاف
فى هذا واختلفوا فى عشرة فقيل انزلت على آدم وقيل على موسى
قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور
على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اهـ وفى شرح الشاذلى
ما يوافق الاول والحق عدم حصرهم فى عدد معين (ورسله)
اى بانه تعالى ارسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل
معاشهم ومعادهم وانهم صادقون فى جميع ما اخبروا به
عن الله وبلغوا عنه وانهم بينوا للمكلفين ما امروا ببيانه
وانه يجب احترامهم وان لا نفرق بين احد منهم وفى
رواية للبخارى وبرسله وقدم الملائكة على الرسل والكتب
نظرًا للترتيب لان الله تعالى ارسل الملك بالكتاب الى الرسول
لا لانهم افضل من الانبياء لان الاصح ان الانبياء افضل منهم

وفى

وفي الافضلية طرق الاولى طريقة ابن الحاجب وجماعة
وقول جماعة من الاشاعرة واهل الحديث والتصوف انهم افضل
من الملائكة العلوية والسفلية لقوله تعالى ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملئكة
من جملة العالمين وان الملئكة ولو غير رسل افضل من غير
الانبياء من البشر ولو كان وليا كابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
ويقابله قول من قال من اهل السنة كالباقلاني والحليمي
بافضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبياء ما عدا نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه افضل من الملائكة اجماعا كما ذكره
الفخر الرازي والمراد اجماع من يعتد باجماعه وما وقع في
الكشاف في تفسير قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية
من افضلية جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزعة
اعتزالية الثانية طريقة الآمدي والبيضاوي في قصر
الخلاف على الملئكة العلوية واما السفلية فلا اختلاف
ان الانبياء افضل منهم لقوله تعالى والملئكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا الثالثة طريقة الماتريدية وهي الراجحة عندهم
ان خواص البشر وهم الانبياء افضل من خواص الملئكة
كجبريل وميكائيل وخواص الملئكة افضل من عامة البشر
والمراد بهم الصلحاء كابي بكر وعمر وعامة البشر افضل من
عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين
وافضل الملائكة جبريل كما جزم به السيوطي وقال بعضهم
افضلهم اسرافيل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بعد
ما قرر ان خواص البشر افضل من الملئكة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل من الانبياء فقد ساد سادات الملئكة

فصار افضل من الملائكة بدرجتين واعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين الامن خاتم النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين (واليوم الآخر) وهو من وقت الموت او الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال البيضاوي وسمي بذلك لانه آخر الاوقات المعدودة وقال غيره لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم يعني من غير تقييد الا لما يعقبه ليل وقيل لانه آخر ايام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث والحساب ونظائر الصحف والميزان وادخال البعض الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما ورد النص القاطع به وفي رواية والبعث الآخر وصفه بالآخر اما تاكيد كامس الدابر او احتراز عن غير الآخر لانه احياء بعد اماتة وقد كنا ميتين قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم متنا ثم احيينا لسؤال الملكين ثم متنا ثم احيينا للحشر فهذا هو الآخر (وتؤمن بالقدر) اعاد العامل اما لبعد العهد واما للاهتمام بشانه اذ لا يعلمه الا حاذق بامور الدين بخلاف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن من قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا احطت بمقداره وال فيه عوض عن المضاف اليه اي بتقدير الله سبحانه الامور واحاطته بها علما ثم قدره بالابدال (خيره وشره) الخير الطاعة والشر المعصية اي بان الله تعالى قدر الخير والشر في القدم وان ذلك سيقع في اوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة والاظهر انه بدل كل واما قول ابن مالك انه بدل بعض فغير ظاهر الا ان يقال ان ذلك باعتبار كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفي رواية

لمسلم وبالقدر كله وفي رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة حلوه ومره والحلو ما تستطيبه النفس وتميل اليه كالغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرهه النفس وتنفر منه كالجدب والقحط والمرض والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزمًا للايمان بالقضاء لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وامسك عنه آخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه ان يفشيه ولذا لما سئل عنه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعيد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعيد السؤال فقال سر الله قد خفي علينا فلا تفتشه واما من خاض فيه فقال القضاء ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضاء بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البناء والقضاء بمنزلة آلة الكيل والقدر بمنزلة الكيل والقضاء بمنزلة ما اعد للبس والقدر بمنزلة اللبس والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة في ذهنه والقدر بمنزلة رسمها ونظم ذلك شيخنا الاجهوري فقال

ارادة الله مع التعلق * في ازل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق في الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وفي الحديث الرد على القدرية وهم قدريتان اولى وهي تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلًا ولم يتقدم علمه بها وانما يأتنفها علمًا حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي رحمه الله

واياهم عنى بقوله انه تسلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم اتجوزون ان يقع فى الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقونا وان اجازوا لزمهم نسبة الجهل الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقدرية ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف فى زعمهم ان افعال العباد مقدرة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين وقد اتفق لشخص منهم انه رفع رجله بحضرة رجل من اهل السنة وقال له انى رفعت رجلى عن الارض بقدرتى فقال له السنى فاذا ارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد ايضا على المعتزلة فى زعمهم ان تعالى لا يخلق الشر اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهى اكثر وقوعا من الطاعات لكان اكثر ما يجرى فى الوجود على خلاف ارادة رب الارض والسموات وذلك امر لا يرضاه امير بلد ولا زعيم قرية تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا وقد حكى انه دخل القاضى عبد الجبار المعتزلى على الصاحب ابن عباد وكان وزيرا بالمغرب فرأى عنده الاستاذ ابا اسحق الاسفراينى اماما اهل السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعلم انه فهم مراده فقال له افيريد ربك ان يعصى فقال له الاستاذ افيعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار ارأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى احسن الى ام اساء فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد اساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب * وفى حياة

للحيوان ان ملكا قال له منجموه انك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني بلدغة عقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل به البحر حذرا فعطست فرسه فخرج من منخرها عقرب فرتبها الماء حتى تعلقت به فلسعته فمات وما اغناه الحذر من القدر * وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني قال فحج آدم موسى * وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما ارسلني في حاجة فلم تتهيأ الا قال لو قضي كان ولو قدر كان وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عما يرويه عن ربه عز وجل من لم يرض بقضائي وقدري فليطلب ربا سواي * وعن علي رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها * وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ان الكنز هو اللوح من ذهب فيه سبعة اسطر مكتوب فيها سبع كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامور بالقدر كيف يغتم بالفوات وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح

ويحب لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره (قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان) اراد به الاخلاص قال فيه للعهد الذهني المذكور في الآيات الشريفة نحو للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان اذ احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ويتعدى بنفسه كاحسنته كذا اذا اتقنته واكملته وامكنته وبحرف الجر كاحسنت اليه اذا اوصلت اليه النفع واصله من الحسن خلاف القبح وما هنا من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثاني بان المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من الرياء كتمييز اللبن من فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وانظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه هل هو مبني على ان عمل القلب لا يكتب او على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص (قال) صلى الله عليه وسلم (ان تعبد الله) من عبد اطاع والتعبد والتنسك والعبودية الخضوع والذل يقال طريق معبد اذا ذلل بالارجل وفي رواية ابي هريرة وعمارة بن القعقاع ان تخشى الله فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود كالصلاة والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف والطاعة امتثال الامر والنهي كالنظر المؤدي الى معرفة الله تعالى قاله شيخ الاسلام (كانك تراه) هذا من جوامع

بكلمه صلى الله عليه وسلم لانا لو قدرنا ان احدا قام فى عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعه بظاهره وباطنه الا اتى به ح لـ الكرمانى فان قلت كانك تراه ما محله من الاعراب قلت هو حال من الفاعل اى تعبد الله مشبها بمن تراه اه اى شبيها بمن تنظر اليه خوفا منه وحياء والاولى ان ينزل على معنى التشبيه ويكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك فى عبادتك مثل حال كونك رائيا له وهذا التقدير احسن واقرب للمعنى من تقدير الكرمانى لان المفهوم من تقديره ان يكون هو فى حال العبادة مشبها بالرائى اياه وفرق بين عبادة الرائى بنفسه وعبادة المشبه بالرائى بنفسه (فان لم تكن تراه) فاستمر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل احد من خلقه فى حركته وسكونه وان للشرط وان لم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط فان قلت اين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فاحسن العبادة فانه يراك فان قلت لم لا يكون قوله فانه يراك جزاء للشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا عنه وينبغى ان يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول فى ان جئتنى اكرمتك فان المجىء سبب للاكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى يراه سواء وجدت من العبد رؤية ام لم توجد وحكى عن محمد بن سكران وهو من مشاهير مشايخ بغداد المتاخرين انه وقف على قوله فان لم تكن وهو اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن اى لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك

حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانها الحجاب بينك وبين شهوده فان من الغى الحجاب رأى الحجاب وهو شبيه بما يحكى عن ابي يزيد فانه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدي وغفل هذا القائل الجهل بالعربية على انه لوكان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدماميني بقوله انما تصح هذه الدعوى التى عارض بها الصفدي لوكان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع فقد نص الامام جمال الدين بن مالك في التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا بهحجة على ان الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا ان لم يقم زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذى هو تراه مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط اهـ وقوله ان تعبد الله كأنك تراه اشارة الى حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه * وسئل ابن عطاء ما افضل الطاعات * فقال مراقبة الحق على دوام الاوقات * ورأى شخص مسافر غلاما يرعى غنما فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذئب اخذ منها واحدة فقال الغلام واين الله * وقال ابو عبد الله الرازي سمعت اباعثمان يقول قال لى ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك *

(قال فاخبرني عن الساعة) اى عن زمن وجودها ووقت قيامها لا عنها نفسها لانها مقطوع بها وهى لغة مقدار ما من الزمان غير معين ولا محدد لقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفى عرف اهل الميقات جزء من اربعة وعشرين جزأ من اوقات الليل والنهار وفى عرف اهل الشرع عبارة عن القيمة وهو المراد هنا واصلها سوعة بتحريك الواو قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وسميت ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها تفجأ الناس فى ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة حتى ان من تناول لقمة لا يمهل حتى يبتلعها وحتى ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعانه ولا يطويانه ولذا قال المفسرون فى قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون اى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم فيموتون فى مكانهم واما لسرعة حسابها واما تسمية الكل باسم البعض والمراد اول ساعاتها واما لانها على طولها كساعة عند الله على الخلق واما لان طولها على الكفار واما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة المكتوبة يصليها فى الدنيا (قال ما المسئول) ما نافية بمعنى ليس وفى رواية ابى فروة فنكس فلم يجبه ثم اعاد فلم يجبه ثم اعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع رأسه فقال ما المسئول (عنها) اى عن زمنها (باعلم) خبر ما وزيدت الباء لتاكيد معنى النفى (من السائل) اى كلانا سواء فى عدم العلم بزمن وقوعها

ان الله عنده علم الساعة انّ الساعة آتية اكاد أُخفيها يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى الآيات وفى الصحيح مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى وتلا ان الله عنده علم الساعة الآية قال مقاتل نزلت هذه الآية فى رجل من اهل البادية اسمه عبد الوارث بن عمرو بن حارثة اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان امرأتى حبلى فاخبرنى ماذا تلد وبلادنا جذبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرنى متى اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرنى ماذا اعمل غدًا واخبرنى متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية فان قلت لم قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل والمقام يقتضى ان يقال لست باعلم بها منك فالجواب انه آتى بذلك اشعارًا بالتعميم تعريضًا للسامعين بان كل مسؤل وكل سائل كذلك ووقع هذا السؤال والجواب بين عيسى بن مريم وجبريل لكن كان عيسى سائلًا وجبريل مسؤلًا كما اخرجه الحميدى فى افراده عن الشعبى قال سأل عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض باجنحته وقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل اهـ فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يدل على انه عنده منها علمًا والآيات تقتضى ان الله تعالى منفرد بعلمها فالجواب كما قال الحليمى ان معناه انا النبى الاخير فلا يلينى نبى آخر وانما تلينى القيمة والحق كما قال جمع ان الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى اطلعه على كل ما ابهمه عنه الا انه امره بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة فى انه قال له صدقت فيما سبق دون ما هنا وما يأتى فالجواب ان مسلمًا زاد فى رواية عمارة بن القعقاع قول السائل صدقت عقب كل جواب

فبعض الرواة اقتصر وبعضهم اتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يكون ذلك منقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه ومن ثم سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري حتى اسأل جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم ذهب واتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار * وقال علي كرم الله وجهه ما ابردها على كبدي اذا سئلت عما لا اعلم ان اقول لا اعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري وقيل سئل عن اربعين فاجاب عن اربع وقال في الباقي لا ادري وكان يقول ينبغي ان يورث العالم جلساءه قول لا ادري حتى يكون ذلك اصلا في ايديهم يفزعون اليه فاذا سئل احدهم عما لا يدري قال لا ادري (قال فاخبرني عن اماراتها) بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بكسرها الولاية اي علاماتها ومنه سمي الشرط لانهم يعلمون انفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغار امورها وقيل اوائلها وروي امارتها بالافراد والمراد اشراطها السابقة لا المقارنة والمضايقة كطلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي امارات الساعة قسمان ما يكون من نوع المعتاد وغيره والمذكور هنا الاول واما الغير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنتها او مضايقة (قال ان تلد الامة) اي الجارية وفي رواية البخاري اذا ولدت الامة وهي كما قال الحافظ ابن حجر كالكرماني اولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح ان يقال

اذا قامت القيامة كان كذا الا ان قامت القيمة كان كذا بان يكفر قائله لاشعاره بالشك فيه او ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده والا فكثيرا ما تستعمل إن موضع اذا او بالعكس لاغراض وقد ثبت فى علم المعانى وال فى الامة لتعريف الماهية او للمعهود عند المخاطب دون الاستغراق لعدم اطراد ذلك فى كل امة (ربتها) بتاء التانيث اى سيدتها يقال فلانة ربة البيت اى سيدته وهن ربات الحجال وفى رواية ابى فروة ربها اى سيدها وفى رواية عثمان ابن غياث اربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف فى معناه على اوجه الاول قال الخطابى واكثر العلماء انه كناية عن كثرة السرارى اللازمة لكثرة الفتوح والاستيلاء على بلاد الكفر وسبى ذراريهم حتى تلد السرية بنتا او ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كابيه اى لان قوة الاسلام وبلوغ امره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقرب القيمة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان ايلاد الاماء كان موجودا حين المقالة والاستيلاء على بلاد الكفر وسبى ذراريهم واتخاذهم سرارى كان اكثره فى صدر الاسلام والسياق يقتضى الاشارة الى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة الثانى قال الحربى انه كناية عن كون الارقاء يلدن الملوك فتكون ام الملك من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويؤيده ان الرؤساء فى الصدر الاول كانوا يستنكفون غالبا عن وطء الاماء ويتنافسون فى الحرائر ثم انعكس الامر سيما فى اثناء دولة بنى العباس لكن رواية ربتها بالتانيث لا تساعد لندور كون الانثى ملكة الثالث انه كناية عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتى يشترى الولد امه وهو عارف بها او حيث

لا يستمر فالعلاقة الاستهانة بالاحكام الشرعية او غلبة الجهل
الناشئ عنه بيع امّ الولد قال المؤلف وهذا لا يختصّ بامّهات
الاولاد بل يتصوّر في غيرهنّ فانّ الامة قد تلد حرًّا بوطء
غير سيّدها بشبهة او ولدًا رقيقًا بنكاح او زنا ثم تباع بيعًا صحيحًا
وتدور في الايدي حتى يشتريها ولدها الرابع ان ولد امّ الولد
لما كان سببًا في عتقها بموت ابيه اطلق عليه ذلك مجازًا الخامس
انه كناية عن كثرة عقوق الاولاد لامّهاتهم فيعاملونهم معاملة
السيّد امته من الاهانة والسبّ واطلق عليه ربّها مجازًا لذلك
ويستأنس له برواية ان تلد المرأة وبخبر لا تقوم الساعة حتى
يكون الولد غيظًا السادس انّ المراد بالربّ المربّي فيكون
حقيقة قال الحافظ ابن حجر وهذا اوجه الاوجه عندي
لعمومه ومحصّله انّ الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور
بحيث يصير المربّي مربّيًا والعالم متعلّمًا والسافل عاليًا وايّد
بانه المناسب لقوله في العلامة الاخرى وان تصير الحفاة
العراة ملوك الارض وحينئذٍ فقول بعضهم في الردّ عليه انه
ليس باوجه الاوجه بل اضعفها لانّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
انما عدّ هذا من اشراط الساعة لكونه على نمط خارج على وجه
الاستغراب دالّ على فساد احوال الناس والذي ذكره ليس
من هذا القبيل غير ظاهر نعم الانصاف انّ قوله ربّتها
بالتأنيث يبعده ووقع في بعض الروايات ان تلد الامة بعلها
والصحيح انّ البعل بمعنى السيّد فتكون بمعنى ربّها على ما سلف
قال اهل اللغة بعل الشيء ربّه ومالكه قال تعالى اتدعون بعلًا
اي ربًّا قاله ابن عبّاس وغيره وعن ابن عبّاس لم ادر ما معنى
البعل حتى قلت لاعرابيّ لمن هذه الناقة قال انا بعلها وضلّت
ناقة لبعض العرب فجعل ينادي من رأى ناقةً انا بعلها

فجعل الصبيان يقولون له زوج الناقة وقيل المراد هنا الزوج ويكون معناه انه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الانسان امه وهو لا يدري وهذا ايضا معنى صحيح الا ان الاول اظهر لانه اذا امكن حمل الروايتين في القصة الواحدة على معنى واحد كان اولى فان قيل كيف اطلق الرب على غير الله وقد ورد النهي عنه بقوله لا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فالجواب ان الممنوع اطلاقه على غير الله بدون الاضافة واما بالاضافة فلا يمنع يقال رب الدار ورب الناقة (وان ترى الحفاة) جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل بن رجله (العراة) من الثياب جمع عار وهو المتجرد من الثياب الذي ليس على جسده وفي رواية للحفاة اي الخدمة وال للمفهوم عند المخاطب او لتعريف الماهية لا الاستغراقية لقضاء العادة بان كلا منهم لا يحصل له ذلك (العالة) بتخفيف اللام اي الفقراء جمع عائل من عال افتقر ككاتب وكتبة والالف في العالة منقلبة عن ياء والاصل عيلة والعيلة باسكان الياء الفقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة (رعاء) بكسر اوله وبالمد جمع راع كجياع جمع جائع ويجمع ايضا على رعاة بضم اوله وهاء آخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب وشبان والرعي حفظ الغير لمصلحة (الشاء) جمع شاة وهو من الجموع التي يفرق بينها وبين واحدها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسمعيلي في رواية الصم البكم اي لم يستعملوا اسماعهم ولا السنتهم في علم ونحوه من امر دينهم فلعدم حصول ثمرة السمع واللسان صاروا كانهم عدموهما ومن ثمة قال الله تعالى في حقهم اولئك كالانعام بل هم اضل وفي رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء الموحدة جمع بهيمة

وهى صغار الضأن والمعز وقيل اولاد الضأن والمعز وقيل اولاد الضأن خاصة واقتصر عليه الجوهرى وفى رواية البخارى رعاء الابل البهم بضم الباء لاغير جمع ابهم وهو الذى لاشية له قاله الكرمانى وقال القاضى جمع بهيم وهو الاسود الذى لايخالطه لون غيره وعلى رواية البخارى فيه وجهان الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل والمعنى على الرفع انهم مجهولون الانساب وقيل سود الالوان وقيل الذين لاشية لهم وعلى الجر الابل السود لانها شر الابل عندهم وخيرها الحمر الذى يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم قال فى الفتح ووقع فى رواية الاصيلى بفتحها ولا يتجه مع ذكر الابل وانما يتجه مع ذكر الضأن اومع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم اضعف الناس ورعاء الشاء لانهم اضعف الرعاء ومن ثم قيل رعاء الشاء انسب بالسياق من رواية رعاء الابل البهم فانهم اصحاب فخر وخيلاء وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بان فخرهم انما هو بالنسبة لرعاء الشاء لاغير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء ابلغ فان قلت القصة غير متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الهيتمى انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فحفظ راو الاول واخر الثانى (يتطاولون فى البنيان) اى يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد اخرج ابن ابى الدنيا عن عمار بن ابى عمار انه قال اذا رفع الرجل بناء فوق سبعة اذرع نودى يا افسق الفاسقين الى اين ومثله لايقال من قبل الرأى والتفاعل فيه باين افراد العراة الموصوفين بما ذكر لا بينهم وبين غيرهم ممن كان عزيزا قبل خلافا لمن وهم فيه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية قلبية

وحال ان جعلت بصرية ومعناه ان اهل البادية واشباههم
تبسط لهم الدنيا ويصيرون اهل ثروة وشوكة فيملكون بلاد
ويتوطنونها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو
اشارة الى كون الاسافل يصيرون ملوكا او كالملوك وتولى
الرياسة من لا يستحقها وتعاطى السياسة من لا يحسنها
وفي الحديث يوجر ابن آدم في كل شئ الا ما يضعه في التراب
ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بنيانا ولا طوله
وروى البيهقي في شعب الايمان عن الاعمش بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء اكثر مما يحتاج اليه
كان عليه وبالا وفي رواية عبد الرحمن بن حميد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كل ما انفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها
ضامنا فيه الا نفقة في بنيان او معصية وعن عمر بن
عبد العزيز انه كان لا يبني بيتا ويقول سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
وعن ميسرة قال ما بنى عيسى عليه السلام بنيانا قط فقيل
له الا تبني بيتا فقال لا اترك بعدى شيئا من الدنيا اذكر به
وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى
ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه
من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته
ومن ثم صح لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا
لكع ابن لكع قال اهل اللغة اللكع اللئيم والمرأة لكاع اى لئيم
ابن لئيم وصح ايضا من اشراط الساعة ان توضع الاخيار
وترفع الاشرار فان قيل الامارات جمع واقله ثلاثة على
الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا ورد على
مذهب من يرى ان اقله اثنان او حذف الثالث لحصول المقصود

بما ذكر كما قيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم
او ان المذكور من الاشراط ثلاثة وانما بعض الرواة اقتصر
على اثنين منها فذكر هنا الولادة والتطاول وذكر البخاري
في التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر في رواية اخرى الثلاثة
وذكر هاتين العلامتين تحذيرا للحاضرين وغيرهم منها والا
فالساعة لها علامات كثيرة كقبض العلم وكثرة الزلازل وكثرة
الفتن وفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له زكاة ماله
وكثرة الهرج يعني القتل واضاعة الصلوة والامانة واكل الربا
وخروج الدجال وخروج ياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها
وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون قال الترمذي فتخرج ومعها عصى موسى وخاتم
سليمان فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتختم انف الكافر
بالخاتم حتى ان اهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادي
بعضهم لبعض يا مؤمن ويا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها
هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه
وتقول يا فلان الآن تصلي قيل وهذه الدابة هي الفصيل الذي
كان لناقة صالح عليه السلام فلما عقرت امها هربت وانفتح لها
حجر فدخلت فيه فانطبق عليها وهي فيه الى وقت خروجها
ولقد احسن من قال

واذكر خروج فصيل ناقة صالح * يسم الورى بالكفر والايمان

قال الشيخ محمد المصري في تفسيره وهي الجساسة روي ان
طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان
وتسير في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب
وقيل هي فصيل ناقة صالح وروي انها على خلقة الآدميين

وهى فى التيساب وقوائمها فى الارض وانها جمعت من خلق
كل حيوان وانها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتجلو المؤمن بالعصى وتختم انف الكافر بالخاتم فيعلم الكافر
من المؤمن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
ولا يؤمن كافر كما اوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن وقيل انها تخرج من الصفا وروى انه عليه السلام
سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد
الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث
فار تنور نوح وقيل غير ذلك ثم ان اول الآيات العظام
المؤذنة بتغير احوال القيامة من معظم الارض خروج الدجال
ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج والآيات العظام
المؤذنة بتغير احوال العالم العلوى طلوع الشمس من مغربها
ولعل خروج الدابة فى ذلك الوقت او قريبه منه واول الآيات
المؤذنة بقيام الساعة النار التى تحشر الناس (فانطلق) السائل
اى ذهب (فلبثت) بضم التاء المتكلم اخبارا عن نفسه اى مكثت
وفى رواية فلبث اى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى امسك عن
الكلام (مليا) بتشديد المثناة التحتية من غير همز ومنه واهجرنى
مليا وجاء فى رواية ابى داود والترمذى انه لبث ثلاثا وظاهرها
انها ثلاث ليال ولا ينافيها ما ورد انه صلى الله عليه وسلم ذكره
فى المجلس لان عمر لم يحضر قول النبى صلى الله عليه وسلم بل كان
اما مع الذين توجهوا فى طلب الرجل او لشغل آخر ولم يرجع
مع من رجع لعارض فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم الحاضرين
فى الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة ومليا من الملاوة
وهى طول المدة يقال غبت عنه ملاوة من الدهر بالحركات
الثلاث ومنه يقال الليل والنهار الملوان (ثم قال) اى النبى

اى زمنا طويلا مح

صلى الله عليه وسلم (يا عمر) تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالة ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم (اتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم) قال زين العرب في شرحه للمصابيح لم يقل اعلم الان من التفضيلية متقدرة اى الله ورسوله اعلم من غيرهما اه وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من مزيد الادب معه لردهم العلم الى الله واليه وكذا ذكره الشارح العيني ومن المعلوم ان ذلك انما يحسن عنده من الادب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه اجلالا له وهم كانوا غير عالمين قطعا الا ان يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما خلاف لانعلم (قال هذا جبريل) اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله او الرحمن او العزيز فمعناه عبد الله او عبد الرحمن او عبد العزيز وذهب ابن العربي الى ان هذا وما شابهه اضافته مقلوبة كما هي في كلام العجم يقولون في غلام زيد زيد غلام فيكون ايل عبارة عن العبد واوله عبارة عن اسم من اسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان اخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان آخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى وقد ورد انه اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها حتى تسمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والراء وهمزة بعدها مثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه لغات اخر اوصلها بعضهم ثلاثة عشر لغة (اتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله لان الموصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز

والآية فالمعلم حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما (دينكم) اى قواعده وكلياته واستفيد منه ان الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ولا ينافيه ان الدين وحده يسمى اسلاما كما يصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك او بالحقيقة والمجاز او بالتواطى ففي الحديث اطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو احد مدلوليه وفي الآية اطلقه على هذا الفرد وهو الآخر واما الجواب بان دينا لا عموم له لانه نكرة ونصبه على التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من الدين وهو خصلة من الخصال الثلاثة فمنع بقوله ان الدين عند الله الاسلام فانه صريح في ان الاسلام جميع الدين لا بعضه (رواه مسلم) في كتاب الايمان

(الحديث الثالث)

(عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر) القرشي العدوي المكي وامه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي اخت عثمان بن مظعون اسلم بمكة قديما مع ابيه وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه اسلم قبل ابيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو ابن اربع عشرة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه ثم لم يتخلف بعد عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو احد العبادلة الاربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع في مبهمات النووي وغيرها ان الجوهري اثبت ان ابن مسعود منهم وحذف ابن عمر

وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار الاربعة بالعبادلة واحد الستة
الذين هم اكثر الصحابة رواية وثانيهم ابو هريرة وثالثهم ابن عباس
ورابعهم عائشة وخامسهم جابر بن عبد الله وسادسهم انس
ابن مالك وزاد العراقي في شرحه لالفيته سابعا وهو ابو سعيد
الخدري وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق موضع
ابي سعيد وذكر موضع جابر سعدا ونظمهم بقوله
سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا * من الحديث عن المختار خير مضر
ابو هريرة سعد عائش انس * صديقه وابن عباس كذا ابن عمر
فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة قلت وفي ذكر الصديق نظر
لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان واربعون حديثا
كما قاله المص في تهذيبه والسبب في قلة الرواية عنه مع
تقدمه وسبقه وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته
قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه
اهـ قال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه
الا عمر وابنه وقال طاوس ما رايت رجلا اورع من ابن
عمر ولا احدا اعلم من ابن عباس وقال سعيد بن المسيب
لو كنت شاهدا لاحد من اهل العلم انه من اهل الجنة لشهدت
لعبد الله بن عمر وجلس في الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله
ابن الزبير فقال تمنوا فقال عبد الله بن الزبير اما انا فاتمنى
الخلافة وقال عروة اما انا فاتمنى ان يؤخذ عني العلم وقال
مصعب واما انا فاتمنى امارة العراق والجمع بين عائشة
بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر
واما انا فاتمنى المغفرة فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد
غفر له وروى عنه انه قال كان الرجل في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتمنيت ان ارى رؤيا فاقصها على النبي صلى الله عليه وسلم
وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاني كنت غلاما شابا عزبا فرايت في النوم كان ملكين
اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر وارى
فيها ناسا قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار اعوذ
بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لم ترع فقصصتها
على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله
بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفي رواية اخرى انه قال
رايت في المنام كان بيدي قطعة استبرق ولا اشير بها الى
مكان من الجنة الا طارت بي اليه فقصصتها حفصة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخاك رجل صالح
او ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن ابي عثمان قال
كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة فقال
اني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون واني والله كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فانت
حرة لوجه الله تعالى ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله
لنكحتها فانكحها نافعا وهي ام ولده وقال نافع كان ابن عمر
اذا اشتد عجبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل وربما تصدق
في المجلس الواحد بثلاثين الفا وحج ستين حجة واعتمر الف عمرة
وحمل على الف فرس في سبيل الله واعتق الف رقبة وكان رقيقه
قد عرفوا ذلك منه فربما شمر احدهم فلزم المسجد فاذا رآه ابن
عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له اصحابه يا ابا
عبد الرحمن والله ما بهم الا ان يخدعوك فقال ابن عمر
من خدعنا بالله انخدعنا له وراح على نجيب له قد اخذه

بمال فلما اعجبه سيره اناخه مكانه ثم نزل عنه فقال يا نافع
انزعوا زمامه ورحله وجللوه واشعروه وادخلوه في البدن *
وعن ابي هلال ان عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك
فقال اني لاشتهي حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا
فاخذته امراته صفية بنت ابي عبيد وصنعته ثم قربته اليه
فاتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر خذه فقال
اهله سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال ان شهوتي
ما اريد * وعن نافع انه اشتكى فاشترى له عنقود عنب
بدرهم فجاء المسكين فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان
فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه فجاءه المسكين يسأل
فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم
فاراد ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود
ما ذاقه * واعطاه ابن جعفر في رقيقه نافع عشرة آلاف
دينار فقال له عاصم بن محمد يا ابا عبد الرحمن فما تنتظر ان
تبيع فقال فهلا ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله تعالى
وعن ميمون بن مهران قال اتى ابن عمر اثنان وعشرون الف
دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها * وبعث اليه معاوية
بمائة الف فما حال الحول وعنده شيء منها وكان لا يسأل احدا
شيئا وكان يقول لا اسأل احدا شيئا ولا ارد ما رزقني الله *
وعنه ايضا ان امراة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها اما تلطفين
هذا الشيخ قالت فكيف اصنع به ما اصنع طعاما الا دعا اليه
من ياكله فارسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون
بطريقه اذا خرج من المسجد فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا
بطريقه ثم جاء الى بيته وقال ارسلوا الى فلان وفلان وكانت
امراته قد ارسلت اليهم بطعام وقالت اذا دعاكم فلا تأتوه

فقال ابن عمر اردتم ان لا اتعشى الليلة * وعن ابي بكر
ابن حفص انه كان لا يأكل طعاما الا وعلى خوانه يتيم * وعن
يحيى الغسانى انه جاءه سائل فقال لابنه اعطه دينارا
فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا ابتاه فقال لو علمت
ان الله عز وجل تقبل منى سجدة واحدة او صدقة واحدة
بدرهم واحد لم يكن غائب احب الى من الموت اتدرى
ممن يتقبل الله انما يتقبل الله من المتقين * وشرب ماء مبردا
فبكى واشتد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال ذكرت آية فى
كتاب الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت ان اهل النار
لا يشتهون شيأ شهوتهم للماء البارد وقد قال الله عز وجل
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله * وكان اذا قرأ
الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى يغلبه
البكاء * وكان يقول لا يصيب عبد شيأ من الدنيا الا انتقص
من درجاته عند الله عز وجل وان كان على الله كريما *
توفى بمكة عن اربع وثمانين وقيل ست وثمانين سنة
وذلك سنة اربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين شهيدا
فان الحجاج خطب يوما فاخر الصلاة فقال له ابن عمر
ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت ان اضرب
الذى فيه عيناك فقال له عبد الله انك سفيه مسلط
فتغيظ من ذلك وامر رجلا فسم زج رمحه اى الحديدة
التى فى اسفله فزحمه فى الطواف ووضع الزج على قدمه
فمرض اياما ولما دخل الحجاج ليعوده قال لو اعلم الذى
اصابك لضربت عنقه فقال له عبد الله انت الذى اصبتنى
واوصى ان يدفن فى الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج
ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين وقيل بفخ بفتح الفاء

وبالخاء المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالمحصب وقيل بسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها اقرب الى مكة من بعض روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان منها على مائة وستين وانفرد البخاري منها بثمانين ومسلم باحدى وثلاثين (رضى الله عنهما) اشار به الى انه ينبغي لكل من ذكر صحابيا وله اب صحابي ان يترضى عنهما (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى كلامه وفى نسخة النبي صلى الله عليه وسلم (يقول) فالمسموع الصوت لا الشخص (بني) بالبناء للمفعول اى اسس (الاسلام) اذ اصل البناء يكون في المحسوسات لا في المعاني ففيه تشبيه معنوي بحسي فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لبلوغه اراد ان يفيد اصحابه ما لا عهد لهم فصاغ لهم امثلة من اساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون ما لا يعرفون ووجه الشبه ان البناء الحسي اذا انهدم بعض اركانه لا يتم فكذلك البناء المعنوي ولذا قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المباني وفى قوله بني استعارة بالكناية وهي عند صاحب التلخيص ان يضمر التشبيه في النفس ولا يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه به يسمى تخييلا لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعائم واركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به واسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البناء وهو تخييل ويجوز ان تكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة في بني والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء الخباء

على الاعمدة الحسية ثم اشتق منه لفظ بني فوقعت اولاً في المصدر ثم سرت في الفعل والاول اظهر (على) متعلق بقوله بني (خمس) اى دعائم كما صرح به عبد الرزاق في روايته وفي رواية لمسلم خمسة اى خمسة اشياء او اركان او اصول قال الكرماني وهنا دقيقة جليلة وهي ان اسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتأنيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكوراً والا جاز الامران كما صرح به النحاة وذكره النووي في شرح مسلم في حديث من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فكانما صام الدهر كله فان قيل قوله بني الاسلام على خمس يلزم عليه بناء الشيء على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبني لا بد ان يكون غير المبني عليه فالجواب ان المراد بالاسلام التذلل العام الذي هو اللغوي لا الشرعي الذي هو فعل الواجبات الثاني ان على بمعنى الباء او بمعنى من كما في قوله تعالى الا على ازواجهم وقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد من اركانه ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة اعمدة احدها اوسط والبقية اركان فما دام الوسط قائماً فمسمى البيت موجود ولو سقط منها سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت فالبيت بالنظر الى مجموعه شيء واحد وبالنظر الى افراده اشياء اه فان قيل الاربعة الاخيرة مبنية على الشهادة اذ لا يصح شيء منها الا بعد وجودها فكيف يضم مبني الى مبني عليه ويدخلان في سلك واحد فالجواب انه يجوز ان يبنى امر على امر ويبنى على الامرين امر آخر الثاني ان الاربعة ليست مبنية على الشهادة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معنى بناء الاسلام على الخمس

وقوله على الخمس وجه الحصر في الخمسة ان العبادة اما قولية او غيرها الاولى الشهادتين والثانية اما تركية او فعلية الاولى الصوم والثانية اما بدنية او مالية او مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة الحج (شهادة) بجره مع ما بعده بدلا من خمس بدل كل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدا اي هي او احدها او خبر اي منها وهو اولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدا لان الخبر كالفضلة بالنسبة اليه ويجوز نصبه باضمار اعني (ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله) اضافة تشريف قال الحافظ ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملائكة وغيرهم مما في خبر جبريل لانه اراد بالشهادة تصديق الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك (واقام) اصله اقوام فنقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وعوض عنها التاء فيقال اقامة او المضاف اليه كما صرح به هنا بقوله (الصلاة) واقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها (وايتاء) اي اعطاء (الزكاة) الى اهلها او الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيمة من قال اطيع الله ولا اطيع الرسول والله تعالى يقول واطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاة ولا آتي الزكاة والله تعالى يقول اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول ان اشكر لي ولوالديك وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه اي بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة يعني شدقيه اي بكسر

الشين المعجمة وهي جانبا الفم ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم
تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية والشجاع من الحيات هو
الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه
وربما بلغ الفارس وربما يكون في الصحارى وقيل كل حية شجاع
والاقرع من الحيات الذي تمعط رأسه وابيض من السم
والزبيبتان بزاي معجمة مفتوحة فموحدتين بينهما تحتية ساكنة
نقطتان منفتحتان في جانب شدقيه من السم كالرغوتين
ويكون ذلك في شدق الانسان اذا غضب واكثر من الكلام
وقال ابن دريد نقطتان سوداوتان فوق عينيه ويقال بجانبي
فيه وهو اوحش ما يكون من الحيات واخبثه وفي تلاوة الرسول
الآية عقب ذلك دلالة على انها نزلت في مانع الزكاة وفي
الحديث ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا
كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها وجهه
وجنباه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار وخصت هذه الثلاثة بالكي لبشاعته
وشهرته في الوجه والجنب والظهر لانه اوجع واشد ألما
وقيل الوجه لتعبيسه في وجه السائل اولا والجنب لازوراره
عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه اذا الح ثالثا وقيل غير ذلك
(وحج) بفتح الحاء لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران
وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر (البيت وصوم رمضان)
الاضافة فيهما من اضافة الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت
ولهذا لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيتكرر الصوم
ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على الصوم وفي رواية لمسلم
عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدم الشهادتين لانهما ملاك

الامر كله واصله اذ الباقى مبنى عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة
فى الدارين ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها فى كتابه العزيز تالية
للايمان بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولانها
عماد الدين ويقتل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها فى كل يوم
وليلة خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة فى اكثر المواضع
ولانها قنطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بها لذكرها اكثر من غيرها
من الصوم والحج فى الكتاب والسنة ولشمولها المكلف وغيره
كما هو مذهب اكثر العلماء ثم الحج للتغليظات الواردة فيه
من نحو ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ونحو قوله صلى الله
عليه وسلم من لم تحبسه حاجة ولم يحج وله جمع فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا فبالضرورة يقع الصوم آخرا
وقوله من لم تحبسه حاجة اى من مرض اوظالم وعلى الرواية
الثانية قدم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوب الصوم لان
وجوبه كان فى السنة الثانية وفرضية الحج فى سنة ست وقيل
تسع بالمثناة الفوقية ولانه اعم وجوبا ولتكرره فى كل عام
ولوجوبه على الفور اجماعا بخلاف الحج ولان العبادة اما بدنية
محضة او مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه
وضعا ليوافق الوضع الطبع وافهم ظاهر الحديث ان المكلف
لايكون مسلما عند ترك شئ من الاربعة الاخيرة لكن صرفه
عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لايكفر بترك شئ منها
واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلوة متعمدا فقد
كفر فهو محمول على الزجر والوعيد اوموؤل بما اذا كان مستحلا
اومحمول على كفران النعمة * (فائدة) * اعلم ان الحج يكفر
الصغائر اتفاقا وكذلك الكبائر على الاظهر كما قاله الابى
وابن حجر واما التبعات فقال القرافى لايسقطها وظاهر

كلام ابن حجر وغيره اسقاطه اياها للاحاديث الواردة في ذلك واجمعوا على عدم سقوط قضاء ما ترتب عليه من الصلوات والكفارات وحقوق الآدميين من دين وغيره اهـ قاله شيخنا على الاجهوري في شرحه على مختصر الشيخ خليل وقال الزواوى في شرح المختصر انه يغفر الصغائر والكبائر حتى التبعات على المعتمد اذا مات في الحج او تعذر ولم يمكنه اداؤها ولم يذكر في الحديث الجهاد مع انه المظهر للدين ومع كونه ذروة سنام الامر كما يأتي لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا في بعض الاحيان بخلاف المذكورات في الحديث فانها فرائض اعيان بل قد ذهب جماعة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين ونحوه لسحنون من اصحابنا الا ان ينزل العدو بقوم او يأمر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك (رواه البخاري) في الايمان والتفسير رباعيا (ومسلم) في الايمان والحج خماسيا

(الحديث الرابع)

(عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس ابن مضر وامه ام عبد بنت عبدود بن سواد بن هذيل ايضا (رضي الله عنه) اسلم لما مر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن تسقينا قال نعم ولكنني مؤتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فاتاه بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ثم اتاه ابو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها فشرب منه وسقى ابا بكر رضي الله عنه ثم قال للضرع اقلص فقلص

ويقال انه كان سادسًا في الاسلام وهاجر الى الحبشة الهجرتين
وشهد بدرًا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووساده ونعليه وطهوره في السفر وكان يشبه النبي
صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكان خفيف اللحم قصيرًا اجلًا
نحو ذراع شديد الادمة وكان من اجود الناس ثوبًا واطيب
الناس ريحًا وكان دقيق الساقين اخذ يجتني سواكًا من الاراك
فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مم تضحكون فقالوا يا رسول الله من دقة
ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما في الميزان اثقل من احد
وفي رواية انه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض
القوم فقال عليه السلام لساق عبد الله في الميزان اثقل من احد
وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان
كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشي معه وامامه بالعصا
ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام
فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارى الا ان ابن
مسعود من اهل بيته وعن علقمة قال جاء رجل الى عمر وهو
بعرفة فقال جئت يا امير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلًا
يملي المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ
ما بين شعبتي الرجل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن
مسعود فما زال يطفا ويسري عنه الغضب حتى عاد الى حالته
التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما اعلم احدًا بقي من الناس
هو احق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند ابي بكر الليلة كذلك في الامر
من امور المسلمين وانه سمر عنده ذات ليلة وانا معه فخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه فاذا رجل قائم يصلي في المسجد
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فما كدنا نعرفه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يقرا القرآن رطبا
كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد قال ثم جلس الرجل يدعو
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه سل تعطه
قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولابشرنه قال فغدوت اليه
لابشره فوجدت ابا بكر قد سبقني اليه وبشره ولا والله
ما سابقته الى خير الا سبقني اليه وكان قليل الصوم
كثير الصلوة فقيل له في ذلك فقال لاني اذا صمت ضعفت
عن الصلوة والصلوة عندي اولى وعن الشعبي قال ذكروا
ان عمر بن الخطاب لقي ركبا في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود
فامر عمر رجلا يناديهم من اين القوم فاجابه عبد الله اقبلنا
من الفج العميق فقال اين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق
فقال عمر ان فيهم عالما فامر رجلا فناداهم اي القرآن اعظم
فاجابه عبد الله الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختم الآية
فناداهم اي القرآن احكم فقال ابن مسعود ان الله يأمر
بالعدل والاحسان الآية فقال عمر فنادهم اي القرآن اجمع
فقال ابن مسعود فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فقال عمر فنادهم اي القرآن اخوف
فقال ابن مسعود ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
من يعمل سوءا يجز به الآية فقال عمر فنادهم اي القرآن ارجى
فقال ابن مسعود قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال عمر فنادهم افيكم ابن مسعود
قالوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذي لا اله
غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا اعلم اين نزلت وفيم نزلت

ولو أعلم ان احدًا اعلم بكتاب الله مني تناله المطية لاتيته وعن مسروق انه قال انتهى علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة عمر وعلي وعبد الله ابن مسعود وابي بن كعب وابي الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبي ابي موسى الاشعري بدل ابي الدرداء ثم انتهى علم هؤلاء الستة الى رجلين علي وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى رايت العرق يتحدر من جبهته ثم قال ان شاء الله اما فوق ذلك واما قريب من ذلك واما دون ذلك وكان يقول وددت اني اذا امت لم ابعث وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم الكم حاجة قالوا لا ولكن اردنا ان نمشي خلفك قال ارجعوا فانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن ابي الاحوص انه قال دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كانهم الدنانير حسنًا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا كانكم تغبطوني بهم قلنا اي والله بمثل هذا يغبط المرء المسلم فرفع رأسه الى سقف بيت له قد عشش فيه خطاف وباض فقال والذي نفسي بيده لان اكون نفضت يدي من تراب قبورهم احب الي من ان يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما ابالي اذا رجعت الى اهلي على اي حال اراهم بسراء ام بضراء وما اصبحت على حال فتمنيت اني على سواها وجاءه رجل فقال له اوصني يا ابا عبد الرحمن فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك على خطيئتك *

ولي قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدرًا من خلافة عثمان ثم سار الى المدينة وتمرض بها ودخل عليه عثمان بن عفان في مرض موته

فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال
الا آمر لك بطبيب قال الطبيب امرضني قال ما تركت لاولادك
قال اني لا اخشى عليهم الفقر بعد ما علمتهم سورة الواقعة يقرؤنها
كل ليلة ومات بالمدينة على الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنين
وثلاثين عن بضع وستين سنة وكفن في حلة بمائتي درهم
وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل الزبير وهو الاشهر
وكان صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما وصلى عليه ليلاً ودفن بايصائه
بذلك ولم يعلم به عثمان فعتبه على ذلك روى له ثمانمائة حديث
وثمانية واربعون حديثاً اتفقا منها على اربعة وستين وانفرد
البخاري باحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفاء
الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم (قال حدثنا)
اي انشا لنا خبراً حادثاً وهو بمعنى اخبرنا وانبانا عند مالك
والشافعي والجمهور وللمتأخرين المحدثين ان حدثنا لما سمع من
الشيخ واخبرنا لما قرئ عليه وانبانا لما اجازه (رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق) في جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق
الخبر المطابق للواقع (المصدوق) اي المصدوق فيه او الذي
يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى او الذي صدق الله
وعده والجملة حالية او اعتراضية وهو كما قال الطيبي اولى لتعم
الاحوال كلها وتؤذن بان ذلك من دأبه وعادته بخلاف الحالية
لايهامها اختصاص ذلك ببعض الاحوال اهـ وعكس ذلك ابن
صياد فانه كاذب ومكذوب ولذلك ورد ان عمر بن الخطاب
انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من اصحابه قبل
ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان في اطم بني مغالة
وقد قارب يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال ياتيني صادق

وكاذب وارى عرشا على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر (ان) جزم ابن الجوزى بان الرواية بالكسر فقط وقال ابو البقاء لا يجوز فى ان هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان منقطعا عن قوله حدثنا وجزم النووى فى شرح مسلم بانه بالكسر على الحكاية وجوز الفتح وحجة ابى البقاء ان الكسر على خلاف الظاهر ولا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير ان يثبت به النقل لجاز فى مثل قوله ايعدكم انكم اذا متم وقد اتفق العلماء على انها بالفتح وتعقبه القاضى جمال الدين للريمى بان الرواية جاءت بالفتح والكسر فلا معنى للرد ولو لم تجئ به الرواية لما امتنع جوازا على طريق الرواية بالمعنى واجاب عن الآية بان الوعد مضمون الجملة وليس مخصوصا لفظها فلذلك اتفقوا واما هنا فالتحديث يكون بلفظه ومعناه (احدكم) اى معشر بنى آدم وخصهم بالذكر لان الانسان اشرف من البهائم لانه اجتمع فيه ما تفرق فى غيره قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم واحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت فى الثبوت ويجوز استعمالها ايضا فى النفى بخلاف احد التى للعموم فانها لا تستعمل الا فى النفى نحو لا احد فى الدار اصله وحد قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه واجوه فانه ليس مقيسا والمكسورة كوسادة واسادة ووشاح واشاح فانه قيل سماعى وقيل قياسى (يجمع) بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول من الجمع وهو ضم ما شانه الافتراق والتنافر وقيل لتقريب الاشياء بضم بعضها الى بعض بعد انتشار النطفة فى سائر البدن تحت كل شعرة وظفر لان المنى يقع فى الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله فى محل الولادة من الرحم

٧ اى بضم بعضها الى بعض

فى المدة المذكورة وقال ابن الاثير فى النهاية يجوز ان يريد
بالجمع مكث النطفة فى الرحم لتتخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير (خلقه)
كذا رواه مسلم ولفظ البخارى فى التوحيد وابى داود فى السنة
ان خلق احدكم يجمع بفتح فسكون وهو على حذف مضاف اى مادة
خلقه وهو المنى الذى يخلق منه او انه عبر بالمصدر عن الجثة
ومنه قوله تعالى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد ويجوز ان يقول ان الله تعالى خلق الخلق خلافا
للكرامية الزاعمين منع ذلك او هو بمعنى المفعول كقولهم هذا ضرب
الامير اى مضروبه وهذا شهوة العليل اى مشتهاته (فى بطن)
اى رحم فهو من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء والرحم جلد مستديرة
معلقة بعرق فيها الى اسفل تنقبض ولا تنحل الا عند شهوة الجماع
واصله من الرحمة لانه مما يتراحم به وذكر ابن القيم انه داخل
الرحم كالتسفنج وجعل فيه قبول للمنى كطلب الارض العطشة
للماء فجعله الله طالبا مشتاقا اليه بالطبع فلذلك يمسكه
ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء قال
على بن ابى طالب رضى الله عنه ان للرحم افواها وابوابا فاذا دخل
المنى الرحم من باب واحد خلق الله عز وجل جنينا واحدا واذا
دخل من بابين خلق منه ولدين واذا دخل من ثلاثة ابواب خلق
الله منه ثلاثة اولاد فيكون عدد الاجنة بعدد دخول المنى من
افواه الرحم (امه اربعين يوما) زاد البخارى ليلة على الشك وفى
رواية سلمة بن كهيل اربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم
بليلته او ليلة بيومها (نطفة) اصلها الماء الصافى القليل يقال
نطفت قربتك اى قطرت ونطف الماء قطر سمى المنى بذلك
لقلته وقيل سمى بذلك لنطافته او سيلانه من قولهم ماء ناطف
اى سائل واصل ذلك ان ماء الرجل اذا لاقى ماء المرأة بالجماع

واراد الله ان يخلق منه جنينا هيّأ اسباب ذلك لانّ فى رحم
المرأة قوّتين قوّة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر فى
جسدها وقوّة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسًا
ومع كون المنىّ مقبولًا بطبعه وفى منىّ الرجل قوّة الفعل وفى
المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير منىّ الرجل كالانفحة
للبن وقيل فى كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاوّل فى الرجل اكثر
والمرأة بالعكس وزعم كثير من اهل التشريح انّ منىّ الرجل لا اثر له
فى الولد الّا فى عقده وانه انما يتكون من دم الحيض وترده احاديث
الباب وحديث ان الله تعالى يخلق الولد وعظمًا ريعه من منىّ
الرجل وشحمه ولحمه من منىّ المرأة وما قيل من انّ الله تعالى لما اراد
خلق آدم عليه السّلام واخذ الميثاق من ذرّيّته جعل بعض الماء
فى اصلاب الرجال وبعضه فى ارحام الامّهات فاذا اجتمع
الماآن صار ولدًا وهو صريح قوله تعالى يا ايّها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى ثم انه فى الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرّجل
بماء المرأة بل يكونا متجاورين لا يغير احدهما الآخر وذلك لجمعه
فى البحرين الماء العذب والملح لا يغيّر احدهما الآخر ولا يختلط به
قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفى الاربعين
الثانية يختلط احدهما بالآخر وفى الاربعين الثالثة يصوّر
اعضــــاء الجنين وسيأتى بعد ذلك ما يتعلق بالتصوير
وقد ورد فى الحديث انّ النّطفة اذا استقرّت فى الرحم اخذها
الملك بكفّه فقال يا ربّ مخلّقة ام غير مخلّقة فانّ قيل غير
مخلّقة قذفها فى الارحام دمًا وان قيل غير مخلّقة فقال اى
ربّ ذكر ام انثى شقى ام سعيد ما الاجل ما الاثر باىّ ارض تموت
فقال انطلق الى امّ الكتاب فانك تجد قصة هذه النّطفة
فينطلق فيجد قصتها فى امّ الكتاب فتأكل رزقها وتطأ اثرها

فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها (ثم) بعد تمامها (يكون) اى يصير (علقة) اى دما غليظا سمى بذلك لعلوقه اى ارتباطه ببعضه او لرطوبته لانه يعلق بما يمر عليه فاذا جف لم يكن علقة والتاء فيهما للوحدة اى علقة واحدة فان قلت قال تعالى خلق الانسان من علق والعلق جمع علقة فالجواب ان الانسان في معنى الجمع فلذا قال من علق وايضا لتوافق رؤس الآى (مثل ذلك) الزمن الذى هو اربعون يوما يقرأ بالنصب صفة لعلقة (ثم) عقب الاربعين الثانية (يكون مضغة) اى قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالغرفة اى ما يغرف ومن ثم سميت مضغة (مثل ذلك) اى اربعين يوما وهى الاربعون الثالثة فائدة ذكر الاطوار الثلاثة وكذا في القرآن العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر في موضع آخر زيادة عليها فقال في سورة المؤمنون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم تنفخ الروح فيه وكان ابن عباس يقول خلق ابن آدم من سبع ثم يتلو الآية وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام خلقه المولى من طين فاقام اربعين سنة ثم صار حما مسنونا فاقام اربعين سنة ثم صار صلصالا اى طينا يابسا يسمع له صلصلة اى صوت اذا انقرع فاقام اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اهـ قال الصوفية الاربعين لموافقة تخمير طين آدم وميقات موسى عليهما الصلاة والسلام لاختصاصهما بالكمال لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال

اما الاول فانها غاية الآحاد من غير تكرار واما الثاني فلانه
استقر كل مستقيم البنيان على الاربعة اركان كالطبائع والفصول
الاربعة والحيوان اه وحينئذ فتوافق العدد بين مدة خلق آدم
وخلق الجنين وذلك محمل الايام التي في خلق الجنين في مقابلة
السنين التي في خلق آدم فلكل سنة يوم وموافقة الاطوار
فالنطفة في مقابلة الطين والعلقة في مقابلة الحمأ المسنون
والمضغة في مقابلة الصلصال فتبارك الله احسن الخالقين
قال مجاهد اذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في
ولدها فان زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه (ثم) اذا
تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما يرسل بالبناء للمفعول وفي
رواية البخاري يبعث الملك ولمسلم ثم يرسل الله الملك والالف للعهد
والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم
الملك وحده يرسل اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها
في بدنه لان الله تعالى ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل
ذلك بالزمن الطويل مع الملك فان قلت اذا كان المراد بالملك
من جعل الله اليه امر تلك الرحم فكيف يرسل او يبعث فالجواب
كما قال القاضي عياض ان المراد انه يؤمر بذلك واختلف
في اول ما يتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وقيل الدماغ
لانه مجمع الحواس وجمع بينهما بان اول ما يتشكل منه من الباطن
القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل اول ما يتشكل منه السرة وقيل
الكبد لان منه النمو المطلوب اولا ورجحه بعضهم وفي ايجاده
على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور الى طور مع قدرته تعالى
على ايجاده كاملا كسائر المخلوقات في طرفة عين فوائد
الاولى انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها لم تكن
معتادة لذلك وربما لم تطقه فجعل اولا نطفة لتعتاد بها مدة

ثم علقة مرة وهلم جرا الى الولادة ولذا قال الخطابي الحكمة في ماخيره كل اربعين يوما ان يعتاد الرحم اذ لو خلق دفعة لشق على الام وربما لا تقدر عليه الثانية اظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده التأني في امورهم الثالثة اعلام الانسان بان حصول الكمال المعنوي له تدريجي نظير حصول الكمال الظاهر له (فينفخ فيه الروح) التي يحيى الانسان وحقيقة النفخ اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف في الروح على اكثر من الف قول والمعتمد انها جسم لطيف سار في البدن مشتبك به اشتباك الماء بالورد وعروق الشجر ولا يلتفت لقول من قال انها الدم لان من الحيوانات ما لا دم له ولقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من الحيوانات ما لا يتنفس الا عند الموت كالسمك واسناد النفخ الى الملك مجاز عقلي لان ذلك من افعال الله كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح اى ويتحرك فيما بين ذلك الى عشرة ايام وتحس امه حينئذ بحركته ولذلك صارت عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا وظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد ان تتشكل بتشكل ابن آدم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر اى بنفخ الروح فيه ولكن نقول ليس ظاهره ذلك وانما ظاهره ان الارسال بعد الاربعين الثالثة المنقضي اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية لم تحدد فيحتمل انه بعد الاربعين الثالثة تتصور في زمن يسير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح وقد صرح القرطبي في المفهم ان التصوير انما هو في الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا ما جاء في حديث حذيفة ابن اسيد عند مسلم اذا مر بالنطفة ثلاث واربعون

وفي رواية اثنتان واربعون ليلة وفي رواية خمسة واربعون بعث الله اليها ملكا فصورها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص واخرجه الفريابي عن الطفيل عن حذيفة ايضا بلفظ اذا وقعت النطفة في الرحم ثم استقرت اربعين ليلة يجيء ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه وشعره وبشره ثم سمعه وبصره ثم يقول اى رب ذكر ام انثى الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير باثر النطفة واول العلقة في اول الاربعين الثانية غير موجود ولا معهود وانما يكون في آخر الاربعين الثالثة فمعنى قوله يصورها الخ انه يكتب ذلك ويفعله في وقت آخر بعد ذلك بدليل قوله اذكر ام انثى واورد على قول القاضي ان التصوير لا يكون الا في آخر الاربعين الثالثة انه شوهد التصوير في كثير من الاجنة في الاربعين الثالثة والاشبه في الجمع ان يقال ان رواية ابن مسعود باعتبار الغالب او ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يصور بعد الاربعين الاولى ومنهم من لا يصورها الا في الاربعين الثالثة او يعد على ان حديث ابن مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فتتادى بصورة وقد وقعت في صور كثيرة او انه عقيب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير تلك العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل في مدة المضغة او بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا ولذا قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتهاء الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى اجزاء بحسب الاعضاء او يقسم بعضها الى جلد وبعضها الى لحم وبعضها الى عظم فيقدر ذلك كله قبل وجوده

ثم يتهيأ ذلك في آخر الاربعين الثانية ويتكامل في الاربعين الثالثة
واجاب بعضهم بان الجنين يغلب عليه في الاربعين الاولى
وصف المني وفي الاربعين الثانية وصف العلقة وفي الثالثة
وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان
نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور في الحقيقة هو الله
تعالى لقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم
فاحسن صوركم وذهب بعض الاطباء الى ان التصوير
يكون يوم التاسع لتصريحهم بان المني اذا نزل في الرحم ازبد
وارغى لستة ايام او سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم
ثم يستمد منه وتبتدئ خطوطه ونقطه بعد ثلاثة ايام من
الاستمداد ثم في الخامس عشر ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقة
ثم تظهر الاعضاء وتنحى بعضها عن مماسة بعض وتمتد رطوبة
النخاع ثم بعد تسعة ايام من صيرورته علقة ينفصل الرأس
عن المنكبين والاطراف عن الاصابع قالوا واقل مدة تصوير
الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير الجنين
خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور في خمسة واربعين وعليه فما
ورد من ان التصوير يكون بعد اربعين يوما محمول على ان المراد
وما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها وقال المقري
في قواعده الولد يتحرك لمثل ما يخلق له ويوضع لمثل ما يتحرك فيه
وهو يختلف في العادة تارة لشهر فيتحرك لشهرين ويوضع لستة
وتارة لشهر وخمسة ايام فيتحرك لشهرين وثلث ويوضع لسبعة
وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة فلذلك لا يعيش
ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اهـ وروي ان عبد الملك
ابن مروان ولد لستة اشهر وقال بعض الاطباء ان الولد عند
استكمال سبعة اشهر يتحرك للخروج فان تهيأ له الخروج خرج وعاش

وان لم يتهيأ يستريح فى البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلو تحرك فى الشهر الثامن للخروج ولهذا يقل تحركه فى البطن ايضا وان اتفق تحركه فى الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو فى نفسه غاية الضعف ولا يعيش وقال المنجمون سببه ان فى كل شهر يتولى الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة فى قول القائل

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

ففى الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفى الثانى للمشترى الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفى الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس بطئ الحركة وهو على مزاج الموت فيموت فى الثامن وفى التاسع يعود الى المشترى وهو نير سعيد فيكون خير اوقات الولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار فى الآية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا يتخلل بين الطورين طور آخر ورتبها فى الحديث بثم اشارة الى المدة التى تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان النطفة قد لا تكون انسانا واتى بثم فى آخر الآية عند قوله ثم انشأناه خلقا آخر ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن امه اما الاتيان بثم فى اول القصة بين السلالة والنطفة فاشارة الى ما يتخلل بين خلق آدم وخلق ولده وقوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له *

(تنبيهان) الاول اختلف فى تقديم خلق الروح عن الجسم وتأخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسم وبه جزم ابن حزم واستدل له بحديث اسناده ضعيف جدا وهو ان خلق ارواح العباد قبل العباد بالفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والثانى ذهب اليه جماعة واستدلوا بقوله فى هذا الحديث ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما

الى ان قال ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح واجب بالفرق
بين نفخ الروح وخلقه الثانى مقر الروح فى حال الحياة القلب
على ما جزم به الغزالى قال السيوطى وقد ظفرت بحديث يشهد له
اخرجه ابن عساكر فى تاريخه وانظر ما قاله الغزالى فانه لا يأتى
على قول جمهور المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف حى لذاته
سار فى البدن كماء الورد فى الورد واما مقرها فاستظهر
بعض المتكلمين انها بقرب القلب ومقرها بعد الوفاة يختلف فيه
فارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الجنة لقوله أولئك
المقربون فى جنات النعيم وارواح الشهداء من المؤمنين قيل
انها فى افنية القبور قاله ابن العربى وهو اصح ما ذهب اليه المتكلمون قال
ابن عبد البر وهى مع ذلك مأذون لها فى التصرف وتأوى الى
محلها فى عليين او سجين (ويؤمر) الملك وهو عطف على ينفخ
(باربع كلمات) وفى رواية باربع والمعدود اذا ابهم جاز تذكيره
وتأنيثه والمراد بالكلمات القضايا المقدورة وكل قضية تسمى
كلمة وظاهر هذا الحديث ان النفخ قبل الكتابة وظاهر رواية
البخارى ان النفخ بعدها والاولى التعويل على رواية البخارى
لانها اصح ويمكن رد هذا اليه بان الواو بلا ترتيب او ان ما هنا
من ترتيب خبر على خبر لا من ترتيب الافعال المخبر عنها او ان الكتابة
تقع مرتين الاولى فى السماء والثانية فى بطن المرأة ويحتمل ان
تكون احداهما فى صحيفة والاخرى على الجبين او ان ذلك يختلف
باختلاف الاجنة فمنهم من يكتب له قبل النفخ ومنهم من يكتب له
ذلك بعده والاول اولى وظاهر هذا الحديث انه يؤمر بهذه
الاربعة ابتداء وليس كذلك بل انما يؤمر بها بعد ان يسأل عنها
بقوله يارب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهذا شقى او سعيد
(يكتب) ضبط بوجهين احدهما بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة

ومثناة ساكنة ثم موحدة بدل من اربع والاخرى تحتانية مفتوحة بصيغة المضارع على الاستئناف وفي رواية البخاري فيكتب بزيادة الفاء وروى بفتح الياء فيهما مبنى للفاعل والمفعول وهو اوجه لانه وقع في رواية آدم وابي داود وغيرهما فيوذن باربع كلمات فيكتب وقوله يكتب اى على جبهته او بطن كفه او ورقة تعلق بعنقه قاله مجاهد وقال القسطلاني والظاهر ان الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفته وقد جاء في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن رشيد ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع في حديث ابي ذر فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه (رزقه) اى تقديره قليلاً او كثيراً وصفته حلالاً او حراماً او مكروهاً وهو عند اهل السنة والجماعة ما ساقه الله تعالى الى الحيوان فانتفع به بالفعل سواء كان ماكولاً او غيره فيتناول العلم ونحوه لان الرزق نوعان ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج به ما لم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقاً انتفع به ام لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى رزقاً وفاقاً والا لكان مرزوقاً وفاسد العكس لخروج رزق الدواب بل والعبيد والاماء عند بعض الائمة الذين يرون ان الرقيق لا يملك وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وسبب نزول هذه الآية الثانية انه لما آذى المشركون المؤمنين بمكة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزلها الله تعالى (واجله) طويلاً او قصيراً وله اطلاقان

احدهما مدة الحياة الثانى منتهاها وهو الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون وظاهر هذه الآية ان الاجل لايزيد ولاينقص واما قوله تعالى ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الآية فالضمير فى قوله من عمره ليس عائدا على قوله من معمر الاول بل هو على طريقة عندى درهم ونصفه اى نصف مثله واما قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى عمره اى يزاد له فيه فليصل رحمه ففيه اجوبة اصحها كما قال النووى ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وصيانة اوقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الى ما يظهر للملائكة واللوح المحفوظ لان الحق جواز وقوع المحو والاثبات فى اللوح المحفوظ كصحف الملائكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره الجميل فكانه لم يمت فان قلت ما فائدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علم الله تعالى بوجودها فيحصل المعلق عليه او بعدمها فلا يحصل والجواب ان ذلك للترغيب وقد ورد ايضا ان الصدقة تزيد فى العمر وكذلك الدعاء وكذلك السلام على كل من لقيه وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الرأس مع اللحية ولذا قال ابن العماد فى منظومته

ولازم الرأس بالتسريح مع ذقن * تكفى البلاء وتعطى فسحة الاجل

(وعمله) صالحا او فاسدا (وشقى) فى الآخرة خبر مبتدا محذوف اى وهو شقى وقدمه ليعلم انه كالخبر من عند الله ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا لله (او سعيد) فيهما وكان ظاهر السياق ان يقول وسعادته وشقاوته فعدل عنه حكاية لصورة

ما يكتب لانه يكتب شقي او سعيد والمراد انه يكتب لكل واحد اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معًا فلذلك اقتصر على اربع والا لقال خمس وقد قيل لما حضرت عبد الرحمن ابن عوف الوفاة غشي عليه ثم افاق فقال اتاني الساعة ملكان فقالا لي قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم ففزعت منهما فاذا بملك ثالث قد نزل من السماء فقال خليا عنه فانه كتب في بطن امه سعيدًا اهـ واختلف الاشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة فقال الاشاعرة هما ازليتان مقدرتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلي بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد ان يشقى ولا في الشقي ان يسعد وقالت الماتريدية السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور ان السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة غير ازليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز ان يقال انا مؤمن ان شاء الله تعالى نظرًا للمآل وهو مجهول الحصول في المستقبل ووافقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرًا للحال ووافقهم امامنا مالك والامام ابو حنيفة واحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق وقال ابن عبدوس من اتباع مالك بوجوب التعليق لما في تركه من الجزم الذي فيه تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم وقد نظم ذلك

بعض شيوخنا مع زيادة فقال

من قال انى مؤمن ممتنع من * مقالة ان شاء ربى يا فطن
وذا المالكى وبعض تابعيه * يوجب ان يقول هذا بانيه
ومثل ما المالكى للحنفى * والشافعى جوّزه هذا فاعرف
وامنعه اجماعا اذا اريد به * الشك فى ايمانه يا حنبه
كعدم المنع اذا به يراد * تبرك بذكر خالق العباد
فالحلف حيث لم يرد شكا ولا * تبركا فكن بذا محتفلا

فان قلت قد ورد فى الحديث جفت الاقلام وطويت الصحف اى مضت المقادير بما سبق به علم الله فى الازل واذا كانت السعادة والشقاوة ازليتين فما معنى قوله فى الحديث الآخر والشقى من شقى فى بطن امه فالجواب ان معناه من علم الملك شقاوته حين السؤال عنه وهو فى بطن امه والمراد ان هذا اول زمن اشتهار امره بالشقاوة والسعادة للملائكة التخليق والا فالله تعالى ان يظهر سعادته وشقاوته لمن شاء من عباده قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين انه كان يقول لم ازل اعرف تلامذتى واريهم فى الاصلاب من يوم الست بربكم (فو الذى لا اله غيره) فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لانه تعظيم لله تعالى واما قول عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل كان موسى ينهاكم ان لا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون وانا انهاكم ان لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فهو خلاف شرعنا لانه صدر منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وامر الله به فلا وجه لكراهته ويحتمل ان يكون كراهة عيسى خوف الكثرة منه فيؤدى الى الحلف كذبا او تقصير فى الكفارة وسر الحلف هنا والله اعلم التعجب من وقوع ذلك والعرب اذا تعجبت من شئ اقسمت عليه ومن ذلك قول عروة رضى الله عنه ان آدم ادخل الجنة يوم الجمعة

بعنا العصر والله ما غربت الشمس حتى اخرج منها (ان احدكم
ليعمل) بلام التاكيد (بعمل) الباء زائدة لان عمل اما مفعول مطلق
او مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فزيادة الباء للتاكيد
او ضمن يعمل معنى يتلبس بعمل (اهل الجنة) يعني من الطاعات
الاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار النعيم وهي في الاصل
الحديقة ذات الشجر سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها ويقال جنت
الرياض جنونا اذا اغتم نبتها حتى ستر الارض ومنه الجنين
لاستتاره عن العيون وتسمى بالبستان لما فيها من الاشجار المتكاثفة
المظلة (حتى ما يكون) بالرفع لان ما كفت حتى عن العمل قاله الهيتمي
وقلد في ذلك قول الشيخ الفاكهاني تعين ان يكون بالرفع لان
ما النافية قطعت عمل حتى عنه اهو مازعمه من التعيين ممنوع بل الاصح
فقد قال الطيبي في شرح المشكاة حتى هي الناصبة وما نافية
ولم تكفه عن العمل وقال غيره لان معنى ما النفي الحال فيتعين
رفعه وشرط نصبه ان يكون مستقبلا ونازعه غيره من الاشياخ
وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع ان يكون حالا
حقيقة وان يكون مسببا عما قبله وان يكون فضلة فان كان
مستقبلا حقيقة او لم يكن مسببا عما قبله وكان عمدة وجب النصب
وان كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز فيه الوجهان وما هنا انما
مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه او مؤولا فيجوز نصبه
ورفعه قال الاشموني ولا يرتفع الفعل بعد حتى الا بثلاثة شروط
الاول ان يكون حالا اما حقيقة نحو سرت حتى ادخلها
اذا قلت ذلك وانت في حالة الدخول والرفع حينئذ واجب
او مؤولا نحو حتى يقول الرسول في قراءة نافع والرفع حينئذ جائز
والثاني ان يكون مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب في نحو
لاسيرن حتى تطلع الشمس الثالث ان يكون فضلة فيجب النصب

في نحو سيرت حتى ادخلها وكذلك في نحو كان سيرى احسن حتى ادخلها ان قدرت كان ناقصة ولم يقدر الظرف خبرًا فتكون منصوبة بحتى ولعل لفظة ما لمجرد النفي فتسلخه عن معنى الحالية ليجامع ان التى للاستقبال واجاز غيره ان تكون حتى ابتدائية (بينه وبينها) اى وبين الجنة (الا ذراع) زاد البخارى اوباع وهو تمثيل لشدة القرب (فيسبق) اى يغلب (عليه الكتاب) اى مضمون الكتاب فهو على حذف مضاف او اراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله فى اقتضاء السعادة والمكتوب فى اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل (فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها) ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحًا وانه قرب من الجنة بسبب عمله حتى اشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذى يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالخوف على التحقيق انما هو مما سبق اذ لا تبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم اى عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا فى بعض الاشخاص وفى بعض الاحوال وفى رواية لمسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وحينئذ فعمله لم يكن صحيحًا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد ان راهبا كان يقال له برصيصا قد تعبد فى صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال الا اجد منكم من يكفينى امر برصيصا فقال الابيض انا اكفيكه وهو الذى قصد

النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي
فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع باقصى الهند فانطلق
فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه حتى اتى صومعة برصيصا
فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة ايام
يوما ولا يفطر الا في كل عشرة ايام وكان يواصل العشرة الايام
والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة
في اصل صومعته فلما انفتل من صلاته رأى الابيض قائما
يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم
اجابته وقال له ما حاجتك فقال احب ان اكون معك
فاتأدب بادابك واقتبس من عملك فقال اني في شغل عنك
ثم اقبل على صلاته واقبل الابيض على الصلاة فلما رأى برصيصا
شدة اجتهاده وعبادته قال ما حاجتك قال ان تأذن لي فارتفع
اليك فاذن له فاقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل
اربعين يوما يوما وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا
اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات
يشفى بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس
فقال قد والله اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله
وقد تصور في صورة الآدميين ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا
به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به
اعطى واذا دعي به اجاب فجاؤه فدعا بتلك الاسماء فذهب عنه
الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى
برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين
ثلاثة اخوة فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب
ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى
برصيصا فدعوها عنده فاذا رأى شيطانها دعا لها فبرئت

فقالوا لا نجيبنا الى هذا قال فابنوا لها صومعة في جانب صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا له هي امانة عندك فاحسنت فيها فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فاستقطرت في يده فجاءها الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته ودعا لها فذهب الشيطان ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها برصيصا ثم جاء الشيطان فقال ويحك واقعها فتجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فان جاؤك فسألوك فقل جاءها شيطانها فذهب بها فقتلها بالليل ودفنها فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما فعلت باختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاءهم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب قال له الشيطان اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله اما استحييت وانت اعبد بني اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك واقررت عليها وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك بعدك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وانجيك منهم واخذ بابصارهم قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة واحدة فاطاعه وسجد

لمن دون الله وروبت هذه القصة على غير هذا الوجه (وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيغلب عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها) ثم ان من لطف الله تعالى
وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير واما
انقلابهم من الخير الى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة ولا
يكون الا لمن اصر على الكبائر وحكى ابن الجوزى فى كتاب
ذم الهوى انه كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية فمرض
مرض الموت فقال فى نفسه انا اعشق هذه ولم اجتمع بها فى
الدنيا وان مت على الاسلام لم اجتمع بها فى الآخرة فتنصر
ومات على النصرانية وكانت المرأة مريضة فقالت ان فلانا
كان يهواني ولم يجتمع بى فى الدنيا واخشى ان مت على دين
النصرانية ان لا اجتمع به فى الآخرة فاسلمت وماتت فى مرضها
فائدة قال صلى الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين
وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وقال ذو النون
المصرى علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة
القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب اهـ وقال
شيخنا الاجهورى فى شرحه لمختصر العلامة الشيخ خليل ما نصه
من علامات البشرى للميت ان يصفر وجهه ويعرق جبينه
وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السوء ان تحمر عيناه
وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر اهـ وتربد بالراء المهملة
بعدها باء موحدة وفى آخره دال مهملة قال فى القاموس الربدة
بالضم لون الى الغبرة (رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

(الحديث الخامس عن ام المؤمنين)

فى الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم
البنات وكذا يقال فى سائر ازواجه صلى الله عليه وسلم

وهل يقال لاخوتهن اخوالهم واخواتهن خالاتهم ولبناتهن اخواتهم رجح جمع المنع ولا يقال لآبائهن وامهاتهن اجداد المؤمنين وجداتهم ويقال لهن امهات المؤمنات ايضا بناء على ان النساء يدخلن في خطاب الرجال تبعا وتغليبا وهو صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين في الرأفة والرحمة ونفي ابوته في قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اريد بها نفي ابوة النسب والتبني ولذلك لم يحتمل له ابنا حتى يصير من الرجال (ام عبد الله) كناها النبي صلى الله عليه وسلم بابن اختها اسماء عبد الله بن الزبير لما سألته في ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي في الروض انها القت سقطا ولم يثبت (عائشة) وعوام المحدثين يبدلونه يا بنت ابي بكر الصديق واسمه عبد الله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان وامها ام رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال بفتح الراء وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس (رضي الله عنها) تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة في شوال منصرفه من بدر وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين وكانت احب النساء اليه بعد خديجة وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وفي التفضيل بينها وبين خديجة اوجه ذكرها المص في الروضة ثالثها الوقف واختار السبكي في الحلبيات تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم الباقيات سواء واختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على ثلاثة اقوال ثالثها الوقف والاصح تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه السبكي في الحلبيات وبالغ في تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها ولما خطبها من ابي بكر رضي الله عنه قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح

ولكن انا ارسلها اليك فان كانت تصلح فهى السعادة الكاملة
فقال ان جبريل اتانى بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان
الله تعالى زوجك بهذه ثم ذهب ابو بكر الى منزله وملأ طبقا
من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبى بهذا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقولى له يا رسول الله هذا الذى ذكرته لابى بكر ان كان
يصلح فبارك عليك فمضت اليه عائشة بالطبق وهى تظن ان
ابا بكر يعنى التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف
ثوبى قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على ابى بكر فاخبرته
بما وقع فقال يا بنية لا تظنى برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء
ان الله تعالى قد زوجك به وانى قد زوجتك منه قالت عائشة
فما فرحت بشئ اشد من فرحى بقول ابى بكر قد زوجتك منه
وقد ورد انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ارأيت لو نزلت واديا
فيه شجرة قد اكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها فى ايهما كنت ترتع
بعيرك قال فى التى لم يؤكل منها يعنى ان النبى صلى الله وسلم لم يتزوج
بكرا غيرها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى
عربا اترابا فقال نساء الدنيا يدخلن الجنة ابكارا فكلما افتضها
زوجها ترجع بكرا فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها واوجعاه
فقال عليه الصلاة والسلام لا وجع فى الجنة يا عائشة وقال
عليه الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميرا والحميرا
تصغير حمرا واتى عمرو بن العاص الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
اى النساء احب اليك يا رسول الله قال عائشة قال من الرجال
قال ابوها قال ثم من قال عمر وعن ابى موسى رضى الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من
النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة

على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن هشام بن عروة عن ابيه قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحباتها الى ام سلمة فقالوا يا ام سلمة ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر الناس ان يهدوا له حيث ما كان وحيث ما دار قالت فذكرت ذلك ام سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنها فلما عاد اليها ذكرت له ذلك فاعرض عنها فلما كان في الثالث ذكرت له ذلك فقال يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها ووهبتها سودة يومها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية امهات المؤمنين وعن ابي سلمة قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس دحية الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رأيتك واضعا يدك على معرفة فرس دحية الكلبي وانت تكلمه قال اوراًيتيه قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيل خيرا فنعم الصاحب والدخيل وقال سفيان الدخيل هو الضيف وروى سعيد بن المسيب وعلقمة بن ابي وقاص وجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فاقرع بينهن في غزوة فخرج سهم عائشة فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الحجاب وهي تحمل في هودجها حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل راجعا ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت ومشت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد

من جزع اظفار وكان معها لاختها اسماء قد انقطع فرجعت في طلبه فحمل هودجها ظنا انها فيه وسار القوم فرجعت بعد ان وجدته فلم تر احدا فيممت المكان الذى كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الى فبينما هى جالسة غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمى متأخرا وراء الجيش فادلج فرأى سواد انسان نائم فاتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة غير استرجاعه فاناخ راحلته ووطئ على يدها حتى ركبت وانطلق يقود بها الراحلة وهو مولِّيها ظهره حتى ادرك بها الجيش بعد ما نزلوا فى نحر الظهيرة وقال عبد الله ابن ابى بن سلول رئيس المنافقين والله ما نجت منه وما نجا منها وشرع فى ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون فى قول اهل الافك وهى لا تشعر بشئ من ذلك الا انه كان يريبها فى وجعها انها كانت لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم التلطف الذى كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف تيكم حتى خرجت مع ام مسطح قبل المناصع التى كن يتبرزن فيها قريبا من البيوت وذلك قبل ان تتخذ الكنف فلما فرغا من شأنهما رجعا فعثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها عائشة بئسما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا قالت اى بنية الم تسمعى ما قال قالت وما ذاك فاخبرتها بقول اهل الافك فازدادت مرضا على مرضها فلما رجعت الى بيتها استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان تأتى ابويها وارادت تيقن الخبر من قبلهما فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهما وقالت لامها يا أمتاه وما الذى يتحدث

الناس فقالت اى بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة
عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقالت سبحان الله
وقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى اصبحت وهى
تبكى ودعا صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد
حين لبث شهرا لا يوحى اليه فى شانها ليستشيرهما فى فراقها
فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يعلم من
براءة اهله فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا
واما على بن ابى طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء
سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اى بريرة هل رايت من شئ
يريبك فقالت له والذى بعثك بالحق ما رايت عليها قط
امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن
عجين اهلها فتأتى الداجن فتاكله فانتهرها بعض اصحابه
وقال لها اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله
والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر واستعذر من عبد الله
ابن ابى بن سلول وقال يا معشر المسلمين من يعذرنى فى رجل
قد بلغنى اذاه فى اهل بيتى فوالله ما علمت على اهل بيتى الا
خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل
على اهلى الا معى فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال انا اعذرك
منه يا رسول الله ان كان من الاوس قبيلتنا ضربنا عنقه
وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام
سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن
ادركته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمرك لا تقتله ولا تقدر
على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ

وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستأذنت عليها امرأة من الانصار فأذنت لها فجعلت تبكي معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالت لابيها اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اني والله قد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة صدقتموني واني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل في شأنها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يري نبيه في المنام براءتها فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت احد حتى انزل الله الوحي على نبيه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه فلما سري عنه

صلى الله عليه وسلم اذا به يضحك فكان اول كلمة تكلم بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ابشرى يا عائشة فان الله قد برأك
فقالت لها امها قومى اليه فقالت والله لا اقوم اليه ولا احمد
الا الله عز وجل الذى انزل براءتى فانزل الله عز وجل ان الذين
جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات من سورة النور فقال
ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره وفاقته والله
لا عدت انفق عليه شيئاً ابداً بعد ان قال فى عائشة ما قال
فانزل الله عز وجل ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الى
قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله انى لاحب
ان يغفر الله لى فاعاد الى مسطح النفقة وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدود جميعا
ثمانين ثمانين *(تنبيه)* فى ضبط بعض ما تقدم قوله
من جزع اظفار خرز خلوق بفتح الجيم والزاى وقد تسكن
وهو مضاف الى اظفار مدينة باليمن وقوله هودجها هو مركب
من مراكب النساء يشبه القبة وقوله سواد انسان اى شخصه
وقوله يفيضون اى يأخذون ويرفعون فى التحدث به ومنه
حديث مستفاض وقوله الافك اى الكذب وقوله يريبها اى
يشككها وقوله تيكم اشارة للمؤنث والخطاب للجماعة الحاضرين
وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد منصع وكانت
المناصع خارج المدينة وهو صعيد فيح وقوله يتبرزن فيها
المتبرز بفتح الراء موضع قضاء الحاجة وقوله وضيئة اى حسنة
وقوله اغمصه اى اعيبها به والغمص العيب والطعن فى الناس
وقوله الداجن وهو ما يألف البيوت من الحيوان كالشاة
وقوله من يعذرنى اى من ينصرنى عليه والعاذر الناصر
اى من يقوم بعذرى ان كافأته على سوء فعله وقوله المنى بنبذ

اى قارفت ووقعت فيه وقوله من البرحا اى شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو بتخفيف الميم حبوب مدحرجة مثل اللؤلؤ تصنع من فضة وغيرها وقد سموا الذر جمانا وقوله فى اليوم الشاتى اى البارد *
وكانت عائشة رضى الله عنها صاحبة كرم وزهد قال عطاء بعث لها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر قيمته مائة الف فقسمته بين ازواج النبى صلى الله عليه وسلم * وعن ام درة وكانت تغشى عائشة انه بعث اليها عبد الله بن الزبير بمال فى غرارتين قالت اراه ثمانين ومائة الف فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فامست وما عندها من ذلك درهم فلما امست قالت يا جارية هلمى بفطرى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت مما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لا تعنفينى لو كنت اذكرتنى لفعلت * وعن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين الفا وهى ترقع درعها * وعن عوف بن مالك ان عائشة اخبرت ان عبد الله بن الزبير قال فى بيع او عطاء اعطته عائشة لتنتهين عائشة او لاحجرن عليها فقالت اهو قال هذا قالوا نعم فنذرت انها لا تكلمه ابدا فاشتاق ابن الزبير اليها حين طال تركها له فقالت والله لا احنث فى نذرى فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود وهما من بنى زهرة وقال انشدكما الله الا ما ادخلتمانى على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتى فاقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بارديتهما حتى استأذنا عليها فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته اندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم ان معهم ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب

وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه ويقولان ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال فلما اكثروا على عائشة من التذكرة طفقت تبكي وتقول اني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير واعتقت في نذرها ذلك اربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه ان عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم الاضحى ويوم الفطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت ابدأ ببيت عائشة اسلم عليها فغدوت يوما فاذا هي قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكي تردّدها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت فاذا هي واقفة كما هي تصلي وتبكي وعن عامر انها كتبت لمعاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وعن ابي موسى انه قال ما اشكل علينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وعن مسروق قال يحلف بالله لقد رأينا الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض وقال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة اكثر ولما مرضت جاءها ابن عباس يستأذن عليها فاخبرها بذلك ابن اخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعني من ابن عباس فقال لها انه من صالحي بنيك جاء يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له ان شئت فلما جلس قال ابشري فما بينك وبين ان تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم الا

الا خروج الروح من الجسد كنت احب نسائه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه والناس ليس معهم ماء فانزل الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا وكان ذلك بسببك وانزل براءتك مع الروح الامين فاصبح ذلك يتلى في مساجد الله فقالت دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت اني كنت نسيا منسيا قال الواقدي توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة وقال غيره توفيت سنة سبع وخمسين واوصت ان تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها ابو هريرة وكان خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج للحج روي لها الف حديث وعشرة وقيل الف وعشرة اتفقا منها على مائة واربعة وسبعين وانفرد البخاري باربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين (قالت) عائشة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث) اي انشأ واخترع من قبل نفسه امرا حادثا وهو المسمى بالبدعة وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض اي موجدها على غير مثال سبق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وتكون في الخير والشر فمن الاول جمع القرآن في المصاحف واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومن الثاني المكس ويقرب من ذلك قول من قال هي ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته كالمكوس والاشتغال بمذهب اهل البدع المخالفة لما عليه اهل السنة او كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة في الذكر

المحدود بعد الصلاة والاجتماع للدعاء يوم عرفة بغيرها
وان استحسنه جماعة اووجوبه كالاشتغال بعلم العربية المتوقف
عليها فهم الكتاب والسنة اوندبه كصلاة التراويح جماعة
واقامة صور الائمة والقضاة وولاة الامر بخلاف ما كان عليه
الصحابة بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا
بعظمة الولاة فى نفوس الناس وذلك فى زمان الصحابة انما
كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب
تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه
ياكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة فى كل
يوم لعلمه بان الحالة التى هو عليها لو عملها غيره لهان فى نفوس
الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج
الى ان يضع غيره فى صورة تحفظ النظام ولذلك لما
قدم الشام ووجد معاوية بن ابى سفيان قد اتخذ الحجاب
والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسلك
الملوك فساله رضى الله عن ذلك فقال له انا بارض نحن فيها
محتاجون الى هذا فقال له لا آمرك ولا انهاك ومعناه انت
اعلم بحالك هل انت محتاج الى هذا فيكون حسنا او غير محتاج
او اباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففى الآثار اول شئ احدثه
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لان
تليين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة
وكذا الاكل بالملاعق وقد حضر ابو يوسف صاحب الامام
ابى حنيفة مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق
فقال له يا امير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس فى قوله
ولقد كرمنا بنى آدم اى جعلنا لهم اصابع ياكلون بها
ولم نجعلهم كالدواب تاكل بافواهها فابى ان ياكل الا بالملاعق

هكذا

هكذا ذكره بعضهم والذى فى الكشاف عن نقل بعضهم انه لما
ذكر له ابو يوسف ما ذكره ابن عباس رد الملاعق واكل باصابعه
وحينئذ فالبدعة تعتريها الاحكام الخمسة واليه ذهب
ابن عبد السلام والقرافى وغيرهما وشرعا ما لم يقع فى زمنه
صلى الله عليه وسلم ودل الشرع على حرمته وعليه فهى خاصة
بالحادث المذموم ولما اراد على رضى الله تعالى عنه قتال
الخوارج قال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر
فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات تمضى من النهار
فقال له على رضى الله عنه ولم قال انك ان سرت فى هذه
الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد
وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت
واصبت ما طلبت فقال على رضى الله عنه ما كان لمحمد
صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فى كلام طويل
يحتج فيه بآيات من التنزيل فمن صدقك فى هذا القول
لا آمن عليه ان يكون كمن اتخذ مع الله ندا او ضدا اللهم
لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال
له نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التى نهيتنا
عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم
النجوم الا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم
كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار والله
لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى
الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان
لى من سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فلقى القوم
وقتلهم وهى واقعة النهروان (فى امرنا) اى ديننا ويطلق
الامر على القول كقوله تعالى فى الكهف اذ يتنازعون بينهم

امرهم اى قولهم فيما بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى فى هود
ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر يعنى وجب عليهم
العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله فى سورة براءة
فتربصوا حتى يأتى الله بامره يعنى فتح مكة وعلى يوم القيمة
كقوله تعالى اتى امر الله يعنى يوم القيمة وكقوله فى الحديد
حتى جاء امر الله يعنى يوم القيمة وعلى الوحى كقوله تعالى
فى الم تنزيل يدبر الامر من السماء الى الارض يعنى ينزل
الوحى من السماء الى الارض وعلى الخير كقوله تعالى فى سورة
النساء واذا جاءهم امر من الامن اى خير ويطلق ويراد
به الشان كقوله تعالى وما امر فرعون برشيد ويطلق ويراد
به مصدر امر وهذا يجمع على اوامر والذى بمعنى الشان
يجمع على امور وعبر عن الدين بالامر لانه الامر المهتم بشانه
ومن ثم جاء فى رواية ديننا وهو تفسير له لا الامر المقابل
للنهى فانه اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه اى على الكف
بغير لفظ نحو كف فقوله اقتضاء اى طلب وهو يتناول
الطلب الجازم وغيره اذا كان غير كف وكذا اذا كان كفا
مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع بخلاف الكف
المدلول عليه بغير ذلك كلا تفعل فانه نهى وعرفوه بانه
اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف ونحوه (هذا)
اشارة الى جلالته ومزيد رفعته وعظمته على حد ذلك
الكتاب وان اختلفا فى اداء الاشارة اذ ذلك ادل على
ذلك من هذا والى احضاره فى ذهن السامع كانه يخبره
مشاهدا له ليتميز عنده اكمل تميز ولهذا اتى بما يشار به
للتقريب بيانا لحاله فى القرب (ما ليس منه) اى ما ليس له فيه
مستند من الكتاب والسنة سواء كان قوليا او فعليا

اواعتقاديًّا (فهو رد) اى مردود على فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كخلق ومخلوق ونسج ومنسوج ومنه قول بعضهم انت رجائى اى مرجوّى وكانه قال فهو غير معتدّ به ولامعوّل عليه وهو عامّ مخصوص بالحادث الذى دلّ الشرع على حرمته لكن يقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من غير ركوع او لخارج عنه لازم كصلاة بلاطهارة واما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة فى ارض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو اى المحدث بالفتح ويصحّ الكسر ويكون راجعًا لمن اى ناقص مطرود وانظر هل يجرى هنا ما قيل فى زيد عدل من كونه على حذف مضاف اوانه على وجه المبالغة قال ابوالعبّاس الابيانى من علماء الاندلس ثلاث لوكتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولاتبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لايتسع وروى الديلمى عن ابن مسعود عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وروى ابن ماجه عن حذيفة مرفوعًا لايقبل الله لصاحب بدعة صلاةً ولا صومًا ولاصدقةً ولاحجًّا ولاعمرةً ولاجهادًا ولاصرفًا ولاعدلًا يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين * وروى الخطيب والديلمى عن انس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الاسلام فتح وروى الطبرانى عن عبدالله بن بشير من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام وقال ابوعثمان الحيرى من صحّ ايمانه يهدى الله قلبه لاتباع السنّة وقال سهل بن عبدالله من داهن مبتدعًا سلبه الله حلاوة السنن وحكى عن احمد بن حنبل انه قال كنت يومًا مع جماعة ويتجرّدون ويدخلون الما *

فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم
أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلاً يقول ابشر يا احمد
فان الله غفر لك باستعمال السنة فقلت من انت فقال
جبريل وقد جعلك الله اماماً يقتدى بك (رواه البخاري
ومسلم وفي رواية لمسلم) في صحيحه (من عمل عملاً) احدثه
هو او احدثه غيره فعمل به فهو اعم من الاول وفي
رواية البخاري من فعل امراً (ليس عليه امرنا) اي حكمنا
واذننا (فهو رد) اي مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له
وقيل اماتة بدعة خير من احياء سنة لان البدعة اذا
استمرت صارت سنة وقال صلى الله عليه وسلم من
اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن
احب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الاكبر
وكان الامام مالك رضي الله عنه كثيراً ما ينشد هذا البيت
وخير امور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(الحديث السادس)

(عن ابي عبد الله النعمان بن بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر
الشين المعجمة ابن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخاء
المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا وضبطه
المقدسي وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام ابن كعب
ابن الحارث بن الخزرج الانصاري ولد على رأس اربعة
عشر شهراً من الهجرة على الاصح وهو اول مولود ولد للانصار
بعد الهجرة كما ان عبد الله بن الزبير المولود في عامه اول
مولود للمهاجرين قيل مات النبي صلى الله عليه وسلم والنعمان
ثمان سنين وستة اشهر وهذا يقتضي صحة تحمل الصبي

المهملة وامه عمرة بنت رواحة اخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن معاوية بن ابي سفيان وكان استعمله على حمص قبلها ولما مات معاوية استعمله يزيد عليها فلما مات يزيد عزلوه اهلها فدعا للزبير فخالفوه وارادوا قتله فخرج هاربا فاتبعه خالد الكلاعي فقتله بقرية من قراها يقال لها حرب نيسان غيلة سنة خمس وستين وقيل اربع وستين وقيل ست وستين وله اربع وستون وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية وابو بشير هو القائل يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك اذ نحن صلينا عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وليس في الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غير هذا وفيهم النعمان جماعات فوق الثلاثين روى له مائة حديث واربعة عشر حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بحديث ومسلم باربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن والشعبي وسالم بن ابي الجعد وسماك بن حرب وعمير ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه رد على من قال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في رواية مسلم والاسماعيلي من طريق زكريا واهوى النعمان باصبعيه الى اذنيه وهو اشارة الى تاكيد التصريح بالسماع (يقول ان الحلال) هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب واما الحل بالمكان فهو من باب نصر ينصر

(بيّن) اى ظاهر متضح لا يخفى حله كأكل الخبز والفواكه والكلام والمشى وغير ذلك واعلم ان اخذ المال اما ان يكون باختيار المكلف او بغير اختياره كالارث والذى باختياره اما ان يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التى لم يسبق عليها مالك او تكون من مالك والذى يؤخذ من مالك اما ان يؤخذ كرها او تراضيا والمأخوذ كرها اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم والاستحقاق للآخذ كالزكاة من الممتنعين ومن المأخوذ كرها النفقات الواجبات والمأخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط الشرع فى تحصيلها ثم ان الحلال فسره الامام مالك والشافعى بما لم يرد بتحريمه دليل وابو حنيفة بما دل دليل على حله وثمرة الخلاف تظهر فى المسكوت الذى جهل اصله فعند مالك والشافعى هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفى من الحرام ويعضد الاول قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما الآية وقوله فى رواية البخارى وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها (وان الحرام) وفى رواية الطبرانى حلال بيّن وحرام بيّن بالتنكير وسوغ الابتداء فيه بالنكرة انه خبر لمبتدا محذوف تقديره الاشياء حلال بيّن وحرام (بيّن) اى ظاهر منكشف وهو ما منع منه شرعا اما لصفة فى ذاته ظاهرة كالسم والخمر او خفية كالزنا ومذكى المجوس واما لخلل فى تحصيله كالربا والغصب والسرقة (وبينهما امور) اى شؤون واحوال (مشتبهات) جمع مشتبهة وهو ما ليس

بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف فيها على اقوال الاول
ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك
لان لام العلة فى قوله لتركبوها وزينة تفيد الحصر عنده
ومباحة عند غيره الثانى المكروه وبه قال الماوردى
لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث
معاملة الانسان من فى ماله شبهة او خالطه حرام
وبه قال الخطابى ومثل ذلك من اراد شراء شئ فقال له
صاحبه قبل الشراء ذقه لان اذنه له بذلك لاجل الشراء
وربما لا يقع بينهما بيع وكذا اذا وجد فى بيته ما لا يدرى
اهو له او لغيره قال فى حياة الحيوان قيل اختلط غنم
البادية بغنم الكوفة فسأل ابو حنيفة رحمه الله كم تعيش
الشاة فقيل له سبع سنين فترك اكل لحم الغنم سبع سنين
الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم ككتاب
غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر ام لا قال فى مختصر
احياء علوم الدين ومن جملة المتشابه ان يكون الشئ مما
قد اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام
الا انه يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب
واكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب
باداء المال فى مقابلته من الحرام حراما بل غايته انه لا تبرأ
ذمته فكأنه لم ينقض الثمن فلا يحرم ما اكل وان ابرأ ذمته
مع العلم بكون الثمن حراما فهو براءة الذمة والحل انتهى
ومحصله ان الاقسام اربعة فان اشتراه فى الذمة ودفع
الثمن قبل ان يسلم اليه فهو من المتشابه لان الذمة لم تبرأ
بدفع الثمن وان سلم له الطعام قبل قبض الثمن بطيب
قلب وانشراح صدر واكله قبل دفع الثمن ايضا فهو حلال

وان ابرأ ذمته في القسمين مع العلم بكون الثمن حراما
فهو يوجب براءة الذمة من الثمن وحلية الشيء المشترى
انتهى وافضل كسب الرجل ما اكل من زراعته ثم صناعته
ثم تجارته وقد ورد ان آدم كان زراعا وان ادريس
كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان
بزازا وان من الانبياء من رعى الغنم بالاجر الى
غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما
خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من
عمل يده وقوله مشتبهات بضم الميم وسكون الشين
المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة على وزن
مفتعلات كذا عند مسلم والبخاري في رواية الاصيلي
وهو رواية ابن ماجة وفي رواية الطبراني متشبهات
بفتح التاء والشين وتشديد الباء الموحدة المكسورة
وفي رواية السمرقندي مشبهات بفتح الشين وفتح الباء
الموحدة المشددة وفي رواية بكسرها على صيغة اسم الفاعل
اي مشبهات انفسها بالحلال واسناد ذلك اليها مجاز
وفي رواية بضم الميم وسكون الشين وكسر الباء الموحدة
المخففة ومعناها كالثالثة الا ان هذه من باب الافعال
وتلك من باب التفعيل وعند الدارمي متشابهات وفي
رواية البخاري بالافراد وفي رواية لابي داود مشتبهة
بالافراد ايضا فهذه ثمان روايات قال العراقي
والمشهور الرواية الاولى قال الخطابي معنى مشتبهات
اي تشتبه على بعض الناس دون بعض لا انها في نفسها
مشتبهة على كل الناس لا بيان لها بل العلماء يعرفونها
لان الله تعالى جعل عليها دلائل يعرفها بها اهل العلم

ولذا قال (لا يعلمهن) لفظ ابن ماجة لا يعلمها وهو ارجح عند اهل العربية لان الاولى في جمع ما لا يعقل ان يعامل معاملة المؤنث (كثير من الناس) اى لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم والا فالذى يعلم الشبهة يعلمها من حيث انها مشكلة ووقع في رواية البخارى لا يعلمها اى لا يعلم حكمها وجاء ذلك اى مفسرا في رواية الترمذى ولفظه لا يدرى كثير من الناس امن الحلال هى ام من الحرام وقوله لا يعلمهن كثير الخ اى ويعلمهن قليل (فمن اتقى) من التقوى وهى لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال امره واجتناب نهيه هذا غير منفك عما قبله كما ان ما قبله كذلك فالاقتصار على احدهما كاف واصل اتقى اوتقى لانه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وادغمت التاء في التاء وعدل عن ترك الى التقى ليفيد ان تركها انما يعتد به اذا خلا عن نحو رياء وسمعة (الشبهات) بدون الميم مع ضم الشين والباء كذا عند مسلم والبخارى جمع شبهة وهى ما يخيل للناظر انه حجة وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفي رواية غير الاسما على المشتبهات بالميم والاختلاف في لفظها من الرواة كالتى سلفت وهى من موضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشان اجتنابها والحذر منها (فقد استبرا) بالهمز وقد يخفف والسين للمبالغة اى بالغ في البراءة كما في قوله تعالى فمن كان غنيا فليستعفف او للتاكيد كما في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم من قولهم استبرا الجارية اذا علم براءة رحمها من الحمل فاطلق العلم بالحصول واراد الحصول (لدينه) مما يشينه (وعرضه) من الطعن فيه وهو في الاصل رائحة الجسد وغيره طيبة كانت او منتنة يقال طيب العرض ومنتن العرض ويسمى خبيث العرض اذا كان منتنا والعرض ايضا الجسد وفي صفة اهل الجنة

انما هو عرق يسيل من اعراضهم اى من اجسادهم وامّا فى الاصطلاح فهو كما فى النهاية موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه او سلفه او اهله ولما كان موضع التعثر حمل عليها اطلاقا للحال على المحل ق‍ل الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتذال المال للعرض اصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة * فعندك عورات وللناس السن
وعينك ان اهدت اليك معائبا * لقوم فقل يا عين للناس اعين

واشار فى الحديث بالاول الى ما يتعلق بالحق وبالثانى الى ما يتعلق بالخلق وقدم على عمر رضى الله تعالى عنه مسك وعنبر من البحرين فقال والله لوددت انى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة انا جيدة الوزن فانا ازن لك قال لا فقالت لم قال انى اخشى ان تأخذيه فتجعليه هكذا وادخل اصابعه فى صدغيه وتمسحين به فى عنقك فاصيب فضلا عن المسلمين وعن الفضيل انه كانت له شاة فاكلت شيئا يسيرا من علف لبعض الامراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك حكاه فى الحدائق وقيل لابراهيم ابن ادهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت وهو اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فهو من الشبه وقال ابن المبارك لان ارد درهما من شبهة خير من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف ومائة الف وقد جاء فى الاثر من وقف موقف تهمة فلا يأمن من اساء الظن به وشهد الماء المصطفى صلى الله عليه وسلم ومعه امرأته صفية فرآه رجلان فاسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيى خوفا عليهما ان يظنا به شيئا فيهلكا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت

أن يقذف في قلبكما شرا وكذا التمر أي تمرة ملقاة قال
لولا اخشى انها صدقة لاكلتها وفي عطف العرض على الدين
دليل على ان طلب براءته مطلوب ممدوح كطلب براءة الدين
ومن ثم ورد ما وقى به العرض صدقة وعلى طلب نزاهته
مما يظنه الناس شبهة ولو ممن علم عدمها في نفس الامر ومن ثم
لما خرج انس لصلوة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل
محلا لا يرونه وقال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله
ولو امره احد ابويه بأخذ او اكل شبهة فقال احمد لا يطيعهما
وتوقف آخرون وقال بعض السلف يطيعهما وتوقف آخرون
وقال شارح المشكاة الذي يتجه ان الشبهة ان خفت ولم
يكن على الولد في ذلك ضرر وكان ان لم يفعل ذلك تأذى الوالد
اذى ليس بالهين جاز والا فلا ثم ان متعاطي الحلال الصرف
الذي لم يخالطه شبهة من جملة الذين لم تسلط الارض على
اجسامهم وقد ذكرناهم في شرح المقدمة العشماوية في
اول باب الجنائز (ومن وقع في الشبهات) فيه من اختلاف
الرواة ما تقدم (وقع في الحرام) المحض ويحتمل معنيين احدهما
من اكثر من تعاطي الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به والثاني
انه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم اخرى
اغلظ منها وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة
تجر الكبيرة وهي تجر الكفر ولذا قال تعالى وقتلهم الانبياء بغير
حق ذلك بما عصوا اي تدرجوا بالمعاصي الى قتلهم فيتدرج
من درجة الى أخرى بالتساهل والتسمح ومنه تلك حدود الله فلا
تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقيل التشرب
يدعو الى كثيره والخلوة بالاجنبية تدعو الى الفجور والقبلة
للصائم تدعو الى الوطء وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق

يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده اي يتدرج
بذلك الى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت امشي
خلف العلاء فيتوقى الطين فدفعه انسان فوقعت رجله في
الطين فخاضه فلما وصل الى الباب قال لي رأيت يا هشام قلت نعم
قال كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فاذا وقع فيها خاضها
وقوله وقع في الحرام اي سقط فيه لان الوقوع في الشيء
السقوط فيه وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك وانما قال
هنا وقع دون يوشك ان يقع على وزن قوله يوشك ان يرتع
اما تحقيقا الوقوع واما لان حمى الاملاك حدوده محسوسة
يدركها كل ذي بصر فيجوز ان يتحرز عنها الا ان تغلبه الدابة
الجموح واما حمى الله فهو معقول لا يدركه الا ذوو البصائر
فربما يحسب الشخص انه يرتع حول الحمى فاذا هو في وسط
محارمه وما اورده المؤلف هنا من ثبوت جواب الشرط هو
رواية مسلم واما في رواية البخاري فمحذوف حيث قال ومن
وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه
وحينئذ فمن فيها موصولة والتقدير والذي وقع في الشبهات
مثل راع يرعى (كالراعي) لفظ رواية البخاري كراع (يرعى)
الماشية (حول الحمى) بكسر الحاء وفتح الميم المخففة اي المحمي فاطلق
المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لانه مصدر حمى
يحمي حماية وحينئذ فهو اسم مصدر والحمى هو المكان المحظور
على غير مالكه بان يمنع الامام او نائبه من رعي مكان لاجل
مواشي الصدقة او خيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعي
اذا جره رعيه حول الحمى الى وقوعه في الحمى استحق العقاب
فكذلك من اكثر من الشبهات حتى وقع في الحرام فانه يستحق العقاب
بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمى محارمه كالجرائم على النفس

والمال والعرض ومطلق المحارم وقد حرم ابراهيم مكة والشارع المدينة وحمى عمر الشرف والربذة (يوشك) بضم الياء وكسر الشين المعجمة من افعال المقاربة العشرة اى يقرب ويقال فى ماضيه اوشك ومن انكر استعماله ماضيا فقد غلط ويستعمل منه اسم فاعل فيقال موشك الا انه نادر (ان يرتع) بفتح التاء فيه وفى ماضيه واصله الاقامة والبسط فى الاكل والشرب ومنه قول اخوة يوسف نرتع ونلعب اى نتنعم ونلهو ومن قرأ نرتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتع ابلنا (فيه) اى تاكل ماشيته منه (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومثلها اما فان وقعت ان بعد الا هذه كانت مكسورة لاغير نحو قوله تعالى الا انهم هم المفسدون وان وقعت بعد اما كان فيها الكسر والفتح تقول اما ان زيدا قائم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعد اذا كما تقرر فى علم العربية ولا يدل على تحقيق ما بعده وتدخل على الجملتين نحو الا انهم هم السفهاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها التحقيق من جهة تركيبها مع همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفى افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال الزمخشرى ولكونها بهذا المنصب لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم نحو الا ان اولياء الله (وان لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله اوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه وقد كان كليب اذا مر بمرعى واعجبه حماه وعلامة ذلك ان يأخذ جروا فيقطع اذنه وذنبه ويتركه فى المكان ينبح فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى وقيل انه كان يعمد الى الروضة فاذا اعجبته كتع قوائم كلبه والقاه فى وسطها

ص ٢٠٣ ج١

فحيث بلغ عوى الكلب كان حمى لا يرعى وفيه يقول الشاعر
أبحت حمى تهامة بعد نجد ❊ وما شيء حميت بمستباح
(الا) كررها للدلالة على فخامة شان مدخولها وعظم موقعه
(وان) باثبات الواو كما فى رواية ابى فروة للبخارى وبحذفها كما
فى رواية غيره فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه
ذكرها فى قوله الا وان فى الجسد مضغة فالجواب انما وجه
ذكرها فبالنظر الى وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر
الحمى فيهما واما وجه حذفها فبالنظر الى بعد المناسبة بين حمى
الملوك وبين حمى الله تعالى الذى هو الملك الحق لا ملك حقيقة
الا له تعالى وتقدس واما وجه ذكرها فى قوله الا وان فى الجسد
مضغة فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الى ان الاصل
فى الانقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه
وبه قوامه (حمى الله محارمه) اى المعاصى التى حرمها كذا
فى رواية الاسماعيلى وفى رواية غيره فى ارضه بعد الجلالة
وفى رواية ابى فروة معاصيه ووقع فى رواية الطبرانى
فان حمى الله فى الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه
كما قال الحافظ العراقى انه حد للحلال حدا وللحرام حدا فلا
اشكال فيه كما توهم (الا وان فى الجسد) اى البدن اذ البدن
هو الجسد ما سوى الاطراف او ما سوى الرأس كما قاله الازهرى
(مضغة) اى قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم لكنها وان صغرت
فى الحجم والصورة عظمت فى القدر والرتبة ومن ثم كانت
(اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها
والفتح افصح واشهر (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاص
والاحوال (واذا فسدت) بالجحود والكفران وهو بفتح السين
وضمها ايضا والفتح افصح واشهر كذلك (فسد الجسد كله)

بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد
والاعضاء كالرعية ولا شك ان الرعية تصلح بصلاح الملك
وتفسد بفساده وايضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا
نكدا وايضا هو كالعين والجسد كالرعية ان عذب ماء العين
عذب الزرع وان ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا
من رعيته كيف حال اميركم فقال له يا امير المؤمنين اذا طابت
العين عذبت الانهار * وقد شق صدره صلى الله عليه وسلم مرات
وغسل قلبه واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذا حظ الشيطان
منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال احمد بن خضرويه
القلوب اوعية فاذا امتلأت من الحق اظهرت زيادة انوارها
على الجوارح واذا امتلأت من الباطل اظهرت زيادة ظلمها على
الجوارح وقال الغزالي في الاحياء القلب مثل قبة لها ابواب
تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف يرمى اليه بالسهام
ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الاشخاص فتتراءى فيها صورة
بعد صورة ومثل حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار
مفتوحة اه وقال بعضهم صلاح القلب في خمسة اشياء
قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع
عند السحر ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل اوسطه * وان تجالس اهل الخير والخبر

وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك خوض الناس وزاد
آخر اكل الحلال وهو رأسها فانه ينور القلب ويصلحه فتزكو
بذلك الجوارح وتندرئ المفاسد وتكثر المصالح واكل الحرام والشبهات

تصديه وتظلمه وتقسيته وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل يأكل الاكل فيشتغل قلبه كالسم فلا يشبع به ابدا وقيل يخاف على اكل الحرام والشبهة ان لا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء الا تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين واكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتق على الاطلاق ويعضده ما يأتي في حديث ان الله طيب الخ ولما شرب ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جرعة من لبن استقاءها فاجهده ذلك حتى تقاياها فقيل له اكل ذلك في شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به فخشيت ان ينبت شيء من جسدي من هذه الجرعة وروى ابو نعيم الاصبهاني في حليته ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسال عن طعام فجاء يوما وهو جائع فقال لغلامه هل عندك شيء فقال نعم قطعة لحم فقال له اشوها وهاتها فلما اكلها قال له الغلام ما لك ما سألت عنها على عادتك فقال كنت جائعا فمن اين هي قال مررت على قوم من الجاهلية قد عملوا عرسا فاعطوني هذه القطعة فقام ابو بكر ولم يزل يتقايا حتى اخرجها وهي مصبغة بالدم فقيل له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه فقال والله لو لم تخرج الا بروحي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نشأ عن سحت فالنار اولى به وقال الاستاذ ابو نعيم القشيري رحمه الله تعالى قال ابراهيم بن ادهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك وهو ترك الفضلات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وذكر بسنده عن السري السقطي رضي الله عنه

انه كان من اهل الورع فى اوقاتهم اربعة حذيفة المرعشى ويوسف
ابن اسباط وابراهيم بن ادهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع
فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الى التقليل وقال الشبلى الورع
ان تتورع عما سوى الله تعالى وقال اسحق بن خلف الورع فى
المنطق اشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة اشد
منه فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى طلب الرياسة وقال
ابو عبد الله بن الجلا اعرف من اقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب
من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام
جلب من مصر وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر فى دقيق من الورع
لم يصل الى الجليل من العطاء وقال سفيان الثورى ما رايت
اسهل من الورع ما حاك فى نفسك تركته وقيل جاءت اخت
بشر بن الحافى الى احمد بن حنبل فقالت انا نغزل على سطوحنا فيمر
بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا افيجوز لنا الغزل فى
شعاعها فقال لها من انت عافاك الله قالت اخت بشر بن
الحافى فبكى احمد بن حنبل وقال من بيتكم خرج الورع الصادق
لا تغزلى فى شعاعها قال وسمعت ابا على الدقاق يقول
كان للحرث المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب
على رأس اصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وقال بشر بن
الحافى دعى الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد
يده اليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف
ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان اغنى
صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ ودخل الحسن البصرى
رحمه الله مكة فرأى غلاما من اولاد على بن ابى طالب رضى الله عنه
قد اسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن
وقال ما ملاك الدين فقال الورع فقال فما آفة الدين فقال

الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال ذرة من الصوم والصلاة واوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الى المتقربون بمثل الورع وقال ابو هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا اهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع اكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وانا اكره ان اجد ريحه دون المسلمين وسئل عثمان الحيرى عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون عند صديق له وهو في النزع فمات الرجل فنفث ابو صالح السراج فقيل له في ذلك فقال كان الدهن الذى في المسرجة له ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره وقال كهمس اذنبت ذنبا فانا ابكى عليه اربعين سنة وذلك انه زارني اخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ اخذت قطعة من طين من جدار جارى حتى غسل يده ولم استحله وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم انه خطر بباله لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب ورهن احمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما اراد فكاكه اخرج البقال اليه سطلين وقال خذ ايهما لك فقال احمد اشكل على سطلي هولك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما اردت ان اجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل والدراهم وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك

من مرو الى الشام فى قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو صوبت الدابة الى الموضع الذى سقط السوط فيه فأخذته فقال انما استأجرتها لامضى بها هكذا لا هكذا وقال ابو بكر الدقاق تهت فى تيه بنى اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلنى جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقا فى قميصها فى ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تفكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير فى الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا قال بالورع * ومر عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله تعالى فقال من انت فقال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فانا مطالب به منذ مت اهـ كلام القشيرى * ولبعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان كان عاقلا ورعا * اشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم اشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فاذا تاب واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فكذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا وبسط كفه فاذا اذنب العبد ذنبا قال هكذا فعقد واحدا ثم اذا اذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم رد الابهام

على الاصابع في الذنب الخامس يطبع الله على قلبه قال مجاهد فايكم يرى انه لم يطبع على قلبه وقال يحيى بن معاذ سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب بالذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب وقال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها وأتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه شاة اخرى وقال اذبحها وأتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال ما شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقد قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(الا وهي القلب) وهو مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط لفواخص من الفؤاد كما قاله الواحدي وقال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفي الصحاح انهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفي الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما في قوله تعالى وثيابك فطهر على احد التفاسير وقول الشاعر

فشككت بالرمح الطويل ثيابه اي قلبه وقد يطلق القلب على العقل كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عنه صار كانه هو وسمي القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد في الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم

ما سمي القلب الا من تقلبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل

اي قلبه
لطهره

وقال آخر

كان لي قلب اعيش به * فضاع مني في تقلبه
رب فاردده علي فقد * عيل صبري في تطلبه
واغث ما دام بي رمق * يا غياث المستغيث به

وقال آخر

وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

اولانه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه اولانه وضع في الجسد مقلوبا ومنه القلب فان قلت هذا يقتضي ان القلب هو اصل الصلاح والفساد وقد نرى الانسان اولا ينظر ثم يتأثر القلب كما قيل

كل الحوادث منه اومن النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * في اعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب باعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن فهو وان كان صغير الجرم ولذا سمي الاعظم لكونه عظيم القدر (رواه البخاري) في كتاب الايمان والبيع (ومسلم) في البيع وهذا الحديث اصل في القول بحماية الزرائع الذي ذهب اليه امامنا مالك رضي الله تعالى عنه

(الحديث السابع)

(عن ابي رقية) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغرا بنته لم يولد له غيرها (تميم بن اوس) بفتح الهمزة وسكون الواو ابن حارثة وقيل خارجة بن سويد وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع ابن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم

والقلب لغة في النبي صلى الله عليه وسلم عكسه الجامد

كبير القدر عظيم

وهو مالك بن عدى بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان (الدارى) نسبة الى جد الدار بن هانى
وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال له ايضا الديرى نسبة
الى دير كان يتعبد فيه (رضى الله عنه) كان نصرانيا فوفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من الداريين منصرفه
من تبوك فاسلم وكان كثير التهجد بختم القرآن فى ركعة
فنام ليلة لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى
صنع صلى ليلة بام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وجعل يرددها ويبكى
حتى اصبح وعن صفوان بن سليم انه قال قام تميم الدارى
فى المسجد بعد ان صلى العشاء فمر بهذه الآية وهم فيها كالحون
فما خرج منها حتى سمع اذان الصبح واشترى حلة بالف
كان يقوم فيها الليل وعن محمد بن ابى بكر عن ابيه قال
زارنا عمرة فباتت عندنا فقمت بالليل فلم ارفع صوتى
بالقراءة فقالت يا اخى ما منعك ان ترفع صوتك بالقراءة
فما كان يوقظنا الا صوت معاذ القارى وتميم الدارى
ولقد قال عمر لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على خير
اهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نتحدث اذ خرجت نار
الحرة فجاء عمر الى تميم فقال يا تميم اخرج فصغر نفسه ثم
قام فحاشها ثم ادخلها الباب الذى خرجت منه ثم اقتحم
فى اثرها ثم خرج فلم تضره وهو اول من قص فى المسجد
باذن عمر وذكر النبى صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة
والدجال اذ وجد هو واصحابه فحدث النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل فى ذلك
رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس

سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة
فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى
صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه
ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انى والله
ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الدارى
كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثنى حديثا وافق الذى
كنت احدثكم به عن المسيح الدجال فحدثنى انه ركب البحر فى سفينة
بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا
فى البحر فارسوا الى جزيرة اى قاربوها حين تغرب الشمس
فجلسوا فى اقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها
سفينة صغيرة يقال لها سنبوك فدخلوا الجزيرة فلقيتهم
دابة اهلب كثير الشعر وهو تفسير لما قبله لايدرون ما قبله
من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة
سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال انطلقوا الى هذا
الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا
فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى
دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رأيناه قط واشده
وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد
قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبرى ما انتم قالوا
نحن اناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا
البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب فقالت انا
الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فاقبلنا اليك سراعا
فقال اخبرونى عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال اما
انها يوشك ان لا تثمر قال اخبرونى عن بحيرة طبرية
هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك ان يذهب

قال اخبروني عن عين زغر هل في العين ماء وهل يزرع اهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها قال اخبروني عن النبي الامين ما فعل قلنا خرج من مكة ونزل يثرب قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني اني انا المسيح واني يوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنهما وان على كل نقب منهما ملائكة يحرسونهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة الا هل كنت حدثتكم قالوا نعم اهـ والنقب الطريق بين الجبلين وسكن تميم رضي الله بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه ومات ودفن ببيت جبرين من ارض فلسطين سنة اربعين وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم الا في هذا الحديث (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين) بكسر الدال اي دين الاسلام وهو ما شرعه الله لعباده من الاحكام وقد عرفت معانيه في الخطبة (النصيحة) هي كالنصح نقيض الغش والخديعة وهي لغة الاخلاص والتصفية من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع او من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح بكسر الميم وهي الابرة التي يخاط بها والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد للخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح

ولم

ولو تشعثه بلمّ الخياط خلل الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كأنّ الذنب يمزّق الدّين والتوبة تخيطه ونصح له افصح من نصيحته وشرعًا اخلاص الرأى من الغش للمنصوح وايثار مصلحته وان شئت قلت بذل المودّة والاجتهاد فى المشورة وقوله الدين النصيحة كرره صلّى الله عليه وسلّم ثلاث مرّات وهو امّا على حذف مضاف اى عماد الدين وقوامه اى معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة ويدلّ له رواية الطبرانى رأس الدين النصيحة وامّا ظاهره انّ النصيحة لم تبق من الدّين شيئًا لانّ من جملتها الايمان بالله ورسوله وطاعتهما والعمل بما قالاه من كتاب وسنّة وليس وراء ذلك من الدّين شئ كيف وقد مرّ فى حديث جبريل انّ الدّين هو الاسلام والايمان والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النّصيحة وهى تحرّى الاخلاص قولًا وفعلًا واعتقادًا وبذل الجهد فى اصلاح المنصوح سرًّا وجهرًا وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين اصلًا ومن ثم لم يكن فى كلام العرب اجمع منها كما انّ الفلاح ليس فى كلامهم اجمع لخيرى الدّنيا والآخرة منه (قلنا) معشر السّامعين (لمن) فيه اشارة انّ العالم ان يكل فهم ما يلقيه للسّامع فلا يزيد له فى البيان حتّى يسئله لتشوّف نفسه حينئذٍ اليه فيكون اوقع فى نفسه ممّا اذا فهمه من اوّل وهلة (قال) صلّى الله عليه وسلّم (لله) بالايمان به ونفى الشريك عنه واخلاص الاعتقاد فى الوحدانيّة ووصفه بصفات الالوهيّة وتنزيهه عن النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص فى جميع الامور وفى حديث رواه احمد قال الله عزّ وجلّ احبّ ما تعبّدنى به عبدى النصح لى * وروى الثورى عن علىّ قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله

من الناصح لله قال الذى يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة
هذه الاضافة راجعة الى العبد فى نصحه نفسه فانه سبحانه غنى
عن نصح الناصحين وعن العالمين (ولكتابه) مفرد مضاف فيعم
جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عنده وتنزيله ويميز القرآن
بانه لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر احد منهم على الاتيان
بمثل اقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه فى التلاوة
والتصديق بما فيه وتفهم علومه واكرامه والاعتناء بمواعظه
والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث
عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه
ونشر علومه والدعاء اليه (ولرسوله) بتصديق رسالته والايمان
بجميع ما جاء به والتزام طاعته فى امره ونهيه ونصرته حيا وميتا
واعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمة ان عروة بن مسعود
الثقفى رمق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم رسول
الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها
وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه
تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على
الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا
قط تعظمه اصحابه ما تعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم
نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وجلده الحديث
ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عنها واجلال
اهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة
آل بيته واصحابه وتجنب من تعرض لاحد من آله واصحابه
(ولائمة) جمع امام وهو القائم بأمور المسلمين والامامة اعم من
الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل والامامة على اربعة

اوشبهه امامة وهي النبوة ووراثة وهي العلم وعبادة وهي الصلاة ومصلحة وهي الخلافة (المسلمين) الامراء بمعاونتهم على الحق وامرهم به وتذكرهم بلطف ورفق واعلامهم بما غفلوا عنه من امور المسلمين وحقوقهم والدعاء باصلاح لهم وترك الخروج عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وامتثال امرهم في غير المعاصي فقد وردان عبدالله بن حذافة السهمي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وامره عليها وكان فيها دعابة فامرهم ان يجمعوا حطبا ويوقدوه نارا فلما اوقدوها امرهم بالتقحم فيها فابوا فقال لهم الم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال من اطاع اميري فقد اطاعني فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا الرسول الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق اهـ والعلماء بقبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام ونشر مناقبهم واحسان الظن بهم وليس المراد بهم من تزيا بزيهم وادعى العلم واكل الدنيا بالدين فان نصحهم نصح عامة المسلمين ان لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم واذا استخفوا بهذين افسد دنياهم واخراهم (وعامتهم) بارشادهم الى ما يصلح اخراهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم وسد خلاتهم ومحبته لهم ما يحب لنفسه وعدم غشهم واذا رأى من يفسد وضوءه او صلاته او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا ان يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاقفهسي في شرحه لرسالة ابن ابي زيد القيرواني وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك ام لا وقد ذكر الحطاب في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي

اختلف اذا كان هناك من يشاركك فى النصيحة فهل تجب عليك النصيحة سواء طلبت منك ام لا لكن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالى يجب عليك النصح وقال ابن العربى لا يجب قال بعض شيوخنا والذى اقول به ما قاله الغزالى ويكون ذلك برفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الشافعى من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير * وفى كلام الشيخ محيى الدين ان من شرط الناصح اذا اراد ان ينصح احدا ان يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من جهة النصح فى العادة وقد حكى ان الحسن والحسين رضى الله عنهما اقبلا على شيخ يفسد وضوءه فقال احدهما للآخر تعال نرشد هذا الشيخ فقال له احدهما يا شيخ انا نريد ان نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلوا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال انا والله الذى لا احسن الوضوء واما انتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ * وقد اتفق ان رجلا وعظ المأمون واغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو اخير منى فان موسى وهارون على نبينا وعليهما افضل الصلاة والسلام لما ارسلهما الله تعالى الى فرعون قال فقولا له قولا لينا * وقد كان فى السلف من يلغت به النصيحة الى الاضرار بدنياه وقد ورد ان جريرا اشترى له فرس بثلثمائة درهم فقال له صاحبه فرسك خير من ثلثمائة درهم اتبيعه باربعمائة درهم فقال هو لك يا ابا عبد الله فقال هو خير من اربعمائة درهم اتبيعه بخمسمائة فقال نعم فلا زال يزيد مائة

بعد

بعد مائة حتى اوصله ثمانمائة درهم فكلم في ذلك فقال عاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم * وورد ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه اوصيك بستة اشياء اذا اردت ان تقع في احد وتذمه قدم نفسك فانك لا تعلم احدا اكثر عيوبا منها وان اردت ان تعادي احدا فعادي البطن فليس لك عدو اعدى منها وان اردت ان تحمد احدا فاحمد الله تعالى فليس احد اكثر منه منة عليك والطف بك منه وان اردت ان تترك شيئا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وانت مذموم وان اردت ان تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان اردت ان تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها * وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة وثنى بكتابه الصادع ببيان احكامه المعجز ببديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه في الرتبة وهو رسوله الهادي الى دينه الموقف على احكامه المفصل لجميع شرائعه وربع باولي الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بسنتهم ثم خمس بالتعميم ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للائمة لا اشتغال لهم وانما خص اهل الاسلام بالنصح لانهم اقرب الى الاجابة من اهل الذمة او لان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف اهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا او ان ذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على اهل الذمة والا فنحن ننصح اهل الذمة بالارشاد للايمان (رواه مسلم) في كتاب الايمان وهو من افراده تنبيه قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التي ارى عليك قال هذه الشهوات

اصيب بهن ابن آدم قال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله على ان لا املأ بطنى من طعام ابدا قال ابليس ولله على ان لا انصح احدا ابدا

(الحديث الثامن)

(عن) عبد الله (ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت) بالبناء للمفعول اى امرنى الله تعالى فحذف الفاعل تعظيما وتفخيما وقال بعضهم طوى ذكره لشهرته وتعينه بذلك اذ لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو سبحانه وتعالى ولذلك اذا قال الصحابى امرنا بكذا يفهم منه ان الآمر هو الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو المشرع والمبين لهم واما اذا قال التابعى امرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل (ان اقاتل) اى بان اقاتل لان الاصل فى الامر ان يتعدى لمفعولين بحرف الجر ونحو امرتك الخير فنادر وان مصدرية والتقدير بمقاتلة (الناس) من الانس فيختص ببنى آدم او من ناس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة او الغلبة والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الى الجن اجماعا اذ لم يرد انه قاتلهم وان اسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين والناس اصله الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وتوهم ابو على ان ال عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان فى الاناس الا ضرورة ورد بكثرة استعمال ناس منكرا بغير ال والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف فى البقرة والاعراف من ان اسمه

اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولا
لم يسمع جمع جاء على فعال بالضم الا في ثمانية الفاظ كما قاله السعد
لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره الفاظا وقوله امرت ان اقاتل
الناس انما ذكر باب المفاعلة لان الدين ما ظهر الا بالجهاد والجهاد
لا يكون الا بين اثنين ثم ان امره صلى الله عليه وسلم بالقتال كان
بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث امر بالانذار من غير
قتال ثم بعد الهجرة اذن له فيه اذا ابتداه الكفار به ثم احل له
ابتداء في غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط * (فائدة) *
قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبي من الانبياء الا من لم يؤمر
بقتال وكل من امر بالقتال نصر اهـ والناس المراد بهم جميع
الخلق من بني آدم وقد يطلق الناس على الانسان الواحد كما
في قوله تعالى في النساء ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله يعني النبي وحده ويطلق على المؤمنين خاصة كقوله
تعالى في آل عمران ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فعين لعنة المؤمنين
خاصة ويطلق على اهل مكة خاصة كما في قوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يعني اهل مكة ويطلق على
بني اسرائيل كقوله تعالى في المائدة انت قلت للناس يعني بني
اسرائيل (حتى) غاية للقتال ويحتمل كونها غاية للامر به (يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وفي رواية واني رسول الله
وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع
الجملتين فاستغنى باحدهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال
قرأت الم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب
بحرف من الكلمة عن بقيتها في نظمها ونثرها كقول القائل
قلت لها قفي فقالت ق اراد قالت وقفت وقول الاخر

جارية قد وعدتنى ان تأتى تدهن راسى وتفلى اوتنا ارادت ان
تأتى وتدهن رأسه وتفلى اوتمسح وكقول الآخر بالخير خيرات وان
شراً فا ولا اريد الشر الا ان تا اراد ان شراً فشر والا ان تشا واذا
استغنت بحرف عن بقيتها فاولى ان تستغنى باحدى الكلمتين
اوالجملتين عن الاخرى اذا كان فيه دلالة على مالم يذكر واعلم
انه لايشترط فى صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفي والاثبات
بل يكفى ان يقول الله واحد ومحمد رسوله وانظر هل لابد فى كفاية
ذلك من الاتيان بلفظ الله وبلفظ محمد فلو قال الرحمن واحد
واحمد رسوله اوقال لا اله الا الرحمن واحمد رسوله هل يكفى ام لا
وظاهر كلام الابى فى شرح جمع الجوامع والمنيطى الاكتفاء بذلك
وظاهر كلام الجمهور انه لايشترط الترتيب وذهب القاضى
ابو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلانى من
المالكية الى اشتراطه قال الكمال بن ابى شريف ولم يتابعا مع انه
متجه عند التأمل وظاهر ما فى الهداية للاخنائى المالكى انه
يشترط الفور قال ابن ناجى هل الافضل مد الف لا النافية
او القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ
بها نفى الالوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار
القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى وفرق
الفخر بين ان يكون اول كلامه فتقصر والا فتمد اهـ فان قلت
قضية الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد اذ الذى يذاق
من لفظ الناس العموم والاستغراق كما فى قوله تعالى يا ايها
الناس انى رسول الله اليكم جميعا فكيف ترك قتال مؤدى الجزية
فالجواب من وجوه الاول ان اخذ الجزية وسقوط القتال
بها كان متأخرا عن هذا الحديث الثانى ان المراد بما ذكر من
الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله تعالى واذلال المخالفين

فيجعل

فيحصل في بعض بالقتل وفي بعضها باداء الجزية الثالث ان المراد بالقتال هو او ما يقوم مقامه كالجزية الرابع ان المراد اضطرارهم الى الاسلام وسبب السبب سبب فكأنه قال حتى يسلموا او يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام وهو اعطاء الجزية فاكتفى بما هو المقصود الاصلي من الخلق فتكون المقاتلة سببا للقول والفعل ونظيره قوله تعالى انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والمنزل هو المطر وهو سبب لانبات العشب وهو سبب لتكثر الحيوان فغلب في الحديث السبب الاول اعني المقاتلة على السبب الثاني اعني اخذ الجزية *(فائدة)* قال ابن جماعة في حاشية شرح العقائد لطيفة قال الرازي في اسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات واعضاء العبد سبعة وابواب النار سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بابا قلت ومن المعلوم ان الاعضاء اكثر من سبعة فلابد لتحقيق كونها سبعة من الحمل على خصوص في الاعضاء وهل هي الواردة في حديث السجود وهو أمرت ان اسجد على سبعة اعظم الحديث او هي السبعة المتوصل بها الى المقاصد والمفاسد غالبا وهي اليدان والرجلان والعينان واللسان او غير ذلك محل بحث اه من شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر ان المراد بها الاعضاء التي يطلب من الانسان حراستها وهي الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان وقال السمرقندي في كتاب الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له اربعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر الف سيئة وذكر ابن الفاكهاني ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر وقال بعض العلماء اذا قال القائل لا اله الا الله اهتز لها العرش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل شيء مصقلة ومصقلة القلب الذكر وافضل الذكر لا اله الا الله

بجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وروى ان من قرأ قل هو الله احد فى بدايته نور الله قلبه وقوى يقينه * وجاء فى الاثر ان العبد اذا قال لا اله الا الله اعطاه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد عليهم فلاجرم انه يستحق الثواب بعددهم * وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل عن قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمر بشهادة ان لا اله الا الله * وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر اخضر له جناحان ابيضان مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء فيسمع له دوى تحت العرش كدوى النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبى فيغفر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك للطائر سبعون لسانا تستغفر لصاحبه الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله الى الجنة * وعن عبد الواحد ابن زيد انه قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى الجزيرة فرأينا شخصا يعبد صنما فقلنا له تعبد هذا الصنم وفينا من يصنع مثله فقال انتم من تعبدون فقلنا نعبد الها فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وفى البحر سبيله قال من اعلمكم به قلنا ارسل الينا رسولا قال ما فعل الرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شئ فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال يبكى حتى ختمت ثم قال ما ينبغى ان يعصى صاحب هذا الكلام ثم عرضنا عليه الاسلام فاسلم وحملناه معنا فى السفينة فلما جن الليل وصلينا العشاء اخذنا مضاجعنا للنوم فقال لنا هذا الاله الذى دللتمونى عليه ينام قلنا بل هو حى قيوم لا ينام قال بئس العبيد انتم تنامون

وهو لا كم لا ينام فلما وصلنا البر واردنا الانصراف جمعنا له شيأ من الدراهم فقال ما هذا قلنا تستعين به على نفسك فقال دلتموني على طريق ما اراكم سلكتموها انا كنت اعبد غيره فلم يضيعني افيضيعني الآن بعد ما عرفته فلما كان بعد ثلاثة ايام قيل لي انه في النزع فجئت اليه وقلت له هل من حاجة فقال قضى حوائجي الذي اخرجني من الجزيرة ونمت عنده فرأيت جارية في روضة خضراء وهي تقول عجلوا به فقد طال شوقي اليه فاستيقظت وقد مات فدفنته ونمت تلك الليلة فرأيته في المنام وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * وقال الحسن البصري رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له كيف انت وكيف حالك فقال لي قلب عليل ولا قوة لي وبدن سقيم ولا صحة لي وقبر موحش ولا انيس لي وطريق بعيد ولا زاد لي وصراط رقيق ولا جواز لي ونار حامية ولا بدن لي وجنة عالية ولا نصيب لي ورب عادل ولا حجة لي قال فاقبلت عليه وقلت لم لا تسلم فقال يا شيخ المفتاح بيد الفتاح والقفل هاهنا واشار الى صدره وغشي عليه فقلت الهي وسيدي ان كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها فافاق من غشيته ثم اقبل علي فقال يا شيخ ان الفتاح ارسل المفتاح مذ يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى * وروى محمد بن آدم قال رأيت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي نزعك من دين آبائك قال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسر المركب فلم تزل الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها اشجار كثيرة ولها ثمر احلى من الشهد والين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت

آكل من هذا الثمر واشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بأمره فلما
ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على
غصن من اغصانها فلما كان في جوف الليل واذا بدابة على وجه الماء
تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله
النبي المختار ابوبكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح
الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى
مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار
ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله
الصادق الوعد الوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد وابوبكر
السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد
علي بن ابي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب
المجيد ثم اقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه
انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على
نفسي الهلكة فهربت فنطقت بلسان فصيح فقالت يا هذا قف
والا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية
فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم
من مسلمي الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف
الاسلام قالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقلتها فقالت اتمم اسلامك بالترحم على ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله تعالى عنهم فقلت من اتاكم بذلك قالت قوم منا
حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم
القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان فصيح الهي قد وعدتني ان تشد
اركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شددت اركانك بابي بكر
وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة
أتريد ان تقعد ههنا ام الرجوع الى اهلك فقلت الرجوع الى اهلي

فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب اقبلت تجري فاومئت لها فدفعوا الى زورقا فركبت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى هاهنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا من امري واسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى العلم فى المورد الاعظم لابن النحاس عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز العمود فيقول الله تبارك وتعالى للعمود اسكن فيقول العمود اى رب كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تبارك وتعالى اسكن ايها العمود فاني قد غفرت له فيسكن العمود عند ذلك * وذكر ابو محمد عبد الله اليافعي في كتاب الارشاد عن الشيخ ابي عبد الله القرطبي انه قال سمعت في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد اعمالا ادخرتها لنفسي وعملت بها لاهلي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء فاتفق انه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا فصاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عمي هذه امي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه من امر عظيم فلما رايت ما به قلت في نفسي اليوم اجرب فقلت في نفسي اللهم اني هللت السبعين الفا وقد اشترتها امّ هذا الشاب من النار فما استتم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وقال يا عمي هاهي امي قد اخرجت من النار فحصل لى فائدتان صدق الاثر وعلمي بصدق الشاب المذكور

(ويقيموا الصلاة) اى يأتوا بها على الوجه المأمور به او يداوموا عليها كما مر (ويؤتوا الزكاة) اى الى مستحقيها او الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يتعرضا او لكونهما لم يقاتل على تركهما (فاذا) عبر بها مع انها للمحقق دون إن التى للمشكوك فيه مع ان فعلهم قد يكون وقد لا يكون لانه علم اجابة بعضهم قبلهم لشرفهم او تفاؤلا بوقوع الفعل منهم فاشبه الدعاء بالماضى نحو غفر الله لك (فعلوا ذلك) كله اى اتوا به قولا كان وهو الشهادتان او فعلا وقولا وهو الصلاة او فعلا محضا وهو الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف اطلق الفعل عليه فالجواب اما باعتبار انه فعل اللسان واما على سبيل التغليب للاثنين على الواحد (عصموا) حفظوا ومنعوا من العصمة وهى لغة المنع والعصام الخيط الذى يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها والمراد بها هذا المعنى اللغوى (منى دماءهم واموالهم) فلا يحل سفك دمائهم ولا اخذ اموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل لم لم يكتف بذكر الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فالجواب انه ذكرهما لتعظيمهما والاهتمام بشأنهما دون غيرهما (الا بحق الاسلام) فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم وفسر هذا الحق فى حديث بانه زنا بعد احصان او كفر بعد ايمان او قتل النفس التى حرم الله تعالى وقضيته ان الزانى والقاتل يباح اموالهما وليس مرادا فكانه غلب الكافر عليهما ثم الحكم عليهم بعصمة الدماء والاموال انما هو باعتبار الظاهر (و) اما باعتبار الباطن فامرهم ليس الى الخلق بل (حسابهم على الله) فيما يسرونه من كفر

ومعصية * وفي حديث ابي سعيد الخدري ما أمرت ان اشق
عن قلوب الناس ولا ابطونهم وعلى بمعنى اللام او بمعنى الى فافهم
لفظ الصلاة من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شيء هذا
ما عليه اهل السنة واما عند المعتزلة فهو ظاهر لان الحسنا عندهم
واجب عقلا تتمة قال الامام الرازي في كلامه على هذا
الحديث قد جعل الله تعالى العذاب عذابين احدهما السيف من يد
المسلمين والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف يرى والنار
في غلاف لا ترى فقال لرسوله من اخرج لسانه من الغلاف المرئي
وهو الفم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله ادخلنا السيف في الغمد
الذي يرى ومن اخرج القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو الشرك
ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة (رواه البخاري ومسلم)
في كتاب الايمان الا ان مسلما لم يذكر في حديثه عن ابن عمر الا
بحق الاسلام لكنه قال في رواية له عن ابي هريرة الا بحقها وفي
رواية اخرى الا بحقه فنسبه المؤلف الى تخريجه بالنظر الى مجموع
رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا ولا ينكره الا من لم يمارس
فنهم وبذلك زال العجب وبطل التشنيع الذي صول به الشيخ الهيتمي
على المؤلف

(الحديث التاسع عن ابي هريرة)

اخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن ابي رافع قال قلت
لابي هريرة لم كنيت بابي هريرة قال كنت ارعى غنم اهلي وكانت لي
هرة صغيرة فكنت اجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت
بها معي فكنت بها فكنوني ابا هريرة * وروى ابن عبد البر عن
ابي هريرة انه قال كنت احمل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا ابا هريرة * وفي صحيح
البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا هر وكان يكنى قبلها
ابا الاسود فتحصل انه كني بها لانه كان يصحبها اما صغيرا

يلعب بها او كبيراً يحسن اليها الآن الذى روى ان امرأة عذبت فى هرة فلعله اخذ بقياس العكس فربما الثواب فى الاحسان اليها (عبد الرحمن) ونقل ابن اسحاق عن بعض اصحابه عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (ابن صخر) الدوسى قدم المدينة فى سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار الى خيبر حتى قدم مع النبى صلى الله عليه وسلم المدينة * وعن قيس عنه انه قال لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق

يا ليلة من طولها وعنائها * على انها من دارة الكفر نجت

قال وابق منى غلام لى فى الطريق فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما انا عنده اذ طلع الغلام فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله تعالى فاعتقه * وعن سليم بن حيان قال سمعت ابى يقول سمعت ابا هريرة يقول نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت اجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطنى وعقبة رجلى وكنت اخدم اذا نزلوا واحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذى جعل الدين قواماً وابا هريرة اماماً * وعن ابن كثير قال حدثنى ابو هريرة قال ما خلق الله مؤمناً يسمع بى ولا يرانى الا احبنى قلت ومن اعلمك بهذا يا ابا هريرة قال ان امى كانت مشركة وانى كنت ادعوها الى الاسلام وكانت تأبى على فدعوتها يوماً فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكى فقلت يا رسول الله انى كنت ادعو امى الى الاسلام وكانت تأبى على وانى دعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما اكره فادع الله ان يهدى ام ابى هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ام ابى هريرة فخرجت اعدو لابشرها

بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتيت الباب اذ هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل فقالت يا ابا هريرة كما انت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يا رسول الله ابشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى ام ابى هريرة وقلت يا رسول الله ادع الله ان يحببنى وامى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هؤلاء الى عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بى ولا يرانى او يرى امى الا وهو يحبنى * وعن الاعرج انه قال قال ابو هريرة انكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث وما بال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان اصحابى من المهاجرين كانت شغلتهم صفقاتهم فى الاسواق وان اصحابى من الانصار كانت شغلتهم اراضيهم والقيام عليها وانى كنت امرأ معتكفا وكنت اكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم احضر اذا غابوا واحفظ اذا نسوا وان النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال من يبسط ثوبه حتى افرغ من حديثى ثم يقبضه فانه ليس ينسى شيأ سمعه منى ابدا فبسطت ثوبى او قال ردائى ثم حدثنا فقبضته الى فوالله ما نسيت شيأ سمعته منه وايم الله لولا آية فى كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشئ ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب الآية كلها * وعن مجاهد ان ابا هريرة كان يقول والله انى كنت لاعتمد بكبدى على الارض من الجوع وانى كنت لاشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذين يخرجون منه فمر ابو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستتبعنى

الى الصحابة

فلم يفعل ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستشبعني فلم يفعل فمر ابو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال اباهر فقلت لبيك يارسول الله قال الحقني فتبعته فدخل واستأذنت فأذن لي فوجد لبنا في قدح فقال من اين لكم هذا اللبن فقالوا اهداه لنا فلان او آل فلان قال اباهر قلت لبيك يارسول الله قال انطلق الى اهل الصفة فادعهم قال واهل الصفة اضياف الاسلام لم يأووا الى اهل ولا مال فاذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية اصاب منها وبعث اليهم واذا جاءت الصدقة ارسل بها اليهم ولم يصب قال فاحزنني ذلك وكنت ارجو ان اصيب من اللبن شربة اقوى بها بقية يومي وليلتي فقلت انا الرسول فاذا جاء القوم كنت انا الذي اعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم فاخذوا مجالسهم من البيت ثم قال اباهر خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى اتيت على آخرهم ودفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه فنظر الي وتبسم فقال اباهر فقلت لبيك يارسول الله قال فاقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم قال لي اشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا قال ناولني القدح فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة وعن عبد الرحمن بن عبيد عن ابي هريرة قال اني كنت لاتبع الرجل اسأله عن الآية من كتاب الله تعالى وانا اعلم بها منه ومن عشيرته وما اتبعه الا ليطعمني القبضة من التمر او السف من السويق او الدقيق اشد بها جوعتي

فاقبلتُ امشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة احدثه حتى بلغ بابه
فاسند ظهره الى الباب واستقبلني بوجهه وكلما فرغتُ من حديث
حدثته باخر حتى اذا لم ار شيأ انطلقتُ فلما كان بعد ذلك لقيني
فقال يا ابا هر اما انه لو كان في البيت شيء لاطعمناك * وعن
ثابت بن ابي رافع ان ابا هريرة قال لما احد من الناس يهدى الى
هدية الا قبلتها فاما ان اسال فلم اكن لاسال * وعن خالد بن عكرمة
ان ابا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشر الف تسبيحة ويقول اسبح
بقدر ذنبي * وعن نعيم بن المحرر عن ابي هريرة انه كان له خيط
فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به * وعن محمد بن سيرين عن ابي
هريرة قال لقد رايتني اصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين حجرة عائشة فيقول الناس انه لمجنون وما بي جنون وما بي الا
الجوع * وعن ابي المتوكل ان ابا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها
السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سابيعك
ممن يوفيني ثمنك اذهبي فانت حرة لوجه الله عز وجل * وعن
ابن عباس فروخ الحريري قال سمعتُ ابا عثمان النهدي يقول
تضيفتُ ابا هريرة فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل
اثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي ثم هذا يوقظ هذا فيصلي
واخرج البيهقي وغيره عن ابي هريرة قال اصبت ثلاث مصايب
في الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود
قالوا وما المزود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال
معك شيء فقلتُ تمر في مزود قال جيء به فاخرجتُ منه تمرا وفي
رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع كل تمرة ويسمي حتى
اتى الى آخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى اكل الجيش كله
وبقي في المزود فقال اذا اردت ان تاخذ منه شيأ فخذ ولا تكبه
فاكلتُ منه حياة ابي بكر وعمر وعثمان فلما قتل انتهب بيتي

وانتهب المزود الآخر كم اكلت منه اكثر من مائتي وسق
وعن ثعلبة بن ابي مالك القرظي ان اباهريرة اقبل في السوق
يحمل حزمة من الحطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال اوسعوا
الطريق للامير قال ابن ابي مالك قلت اصلحك الله تكفي هذا فقال
اوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخاري روى عنه
اكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي استعمله عمر على البحرين
ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة وبها توفي
ويقال توفي بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين
في آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة روى عنه خمسة
آلاف وثلثمائة حديث واربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على
ثلثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم
بمائة وسبعين (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما نهيتكم) هذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند
وروده فلا يتناول من حدث بعدهم الا بدليل وهو اما مساواتهم
في الحكم الشرعي لانتفاء اختصاصه بمكلف دون مكلف واما
الاجماع (عنه فاجتنبوه) كله حتى يوجد ما يبيحه كاكل الميتة
عند الضرورة وشرب الخمر عند الاكراه ولاساغة الغصة
لان المكلف ليس منهيا في الحال على الصحيح واما في التداوي
فغير جائز ولو طلا لحديث ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم
عليها ومثل ذلك شربه للعطش اذ لا ينقطع به العطش وقوله
فاجتنبوه حتما في الحرام وندبا في المكروه قال الفاكهاني
لا يتصور امتثال اجتناب المنهي عنه حتى يترك جميعه فلو
اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا بخلاف الامر يعني المطلق فان من
اتى باقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا (وما امرتكم به
فأتوا) وفي رواية فافعلوا (منه ما استطعتم) اي ما اطقتم

وجوبًا في الواجب وندبًا في المندوب كالصلاة قائمًا مستندًا فيما عند المضطر فمستلقيًا فموميًا ولو عجز عن صاع الفطر اتى بما قدر عليه واما من قدر على صيام بعض النهار فلا يفعل لان صوم بعض اليوم ليس بقربة واذا عجز عن بعض الفاتحة في الصلاة او قدر على غسل او مسح بعض الاعضاء في الوضوء اتى بالممكن وصحت عبادته وهذا موافق لقوله فاتقوا الله ما استطعتم واما اتقوا الله حق تقاته فقال قتادة والسدي وابن زيد والربيع بن انس انها منسوخة بالاولى فالاصح بل الصواب وبه جزم المحققون انها ليست منسوخة بل قوله تعالى ما استطعتم مفسرة لها ومبينة للمراد منها قال او حق تقاته هو امتثال امره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع قال الله تعالى لا يكلف الله نفسًا الا وسعها وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال بعضهم ان المبالغة في التقوى تكون بامرين احدهما استصحاب التقوى الى الوفاة والامر الآخر استيفاء جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والحرمات فتعرضت آية آل عمران للمبالغة في استغراق العمر كله الى الوفاة بالتقوى ويدل على ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون وتعرضت آية التغابن الى الامر الآخر فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي ايضًا اذ لا يكلف الله نفسًا الا وسعها فلم يقيد الامر دون النهي فالجواب ان المأمور به متوقف على فعل بخلاف المنهي عنه فانه كف محض فلهذا قال في الاول فاجتنبوه وقال في الثاني فأتوا منه ما استطعتم فترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه او الاستمرار على عدمه فكل مكلف قادر على الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة في الكف بخلاف فعل المأمور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم

الى الوجود وذلك يتوقف على شروط واسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهي ونوزع بان القدرة على استصحاب عدم النهي عنه قد يتخلف واستدل له بجواز اكل المضطر الميتة وشرب المكره الخمر ورد بانه لا نهي حينئذ وانما قدم في الحديث النهي على المأمور به لان الاول اشد من الثاني لانه لم يرخص في شئ والامر مقيد بالاستطاعة ولذا قال بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها الا صديق ومن ثم تسومح في ترك الواجب كالقيام في الصلاة بحصول المشقة ولم يسامح في الاقدام على بعض المنهيات الا بالاضطرار كاكل الميتة واساغة الغصة بالخمر اولان المقام مقام نهي الاقرع بن حابس عن مسالته كما يأتي

(وانما اهلك الذين من قبلكم) من امم الانبياء (كثرة مسائلهم) من غير ضرورة عما لا يعنيهم مما اقترحوه كقولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ولموسى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فان بني اسرائيل لما امروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا الى مقتضى اللفظ من ذبح اي بقرة كانت بل شددوا على انفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فاشتروها بملء جلدها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا وكانت تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح وكان له ابن طفل وكان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من بره ان رجلا اتاه بملوكة بخمسين الفا وكان فيها فضل فاشتراها منه وقال له ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى

يستيقظ فقال له ايقظ اباك واعطني الثمن فقال له ما كنت
لافعل ولكن ازيدك عشرة وانظر في حتى ينتبه فقال له البائع
انا احط عنك عشرة آلاف ان ايقظت اباك وعجلت النقد فقال
وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباهه فابى ولم يوقظ
الرجل اباه ومات الاب بعد ذلك وثبت العجلة في الغيضة
حتى صارت عوانا وكانت من احسن البقر واسمنه حتى كانت
تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وكانت تهرب من كل من رآها
فلما كبر الابن كان يقسم الليل ثلاثة اقسام يصلي ثلثا وينام
ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق واحتطب على
ظهره فاتى به السوق ويبيعه بما شاء الله تعالى ثم تصدق بثلثه
وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك
عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع آله ابراهيم
واسمعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت
اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها فاتى الغيضة
فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بإله ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض
على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى
البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان
امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله
بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي فانطلق فانك لو امرت
الجبل ان ينقطع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك
فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال
ايها الفتى اني رجل راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلي فاخذت
ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر
الطريق ذهب لاقضي حاجتي فعدا وسط الجبل فما قدرت عليه

وانى اخشى على نفسى الهلكة فان رايت ان تحملنى على بقرتك وتنجينى
من الموت واعطيك اجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى
وقال اذهب وتوكل على الله فلو علم الله منك الصدق لبلغك
بلا زاد ولا راحلة فقال ابليس ان شئت بعنيها بحكمك وان شئت
فاحملنى عليها وانا اعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان امى لم
تأمرنى بذلك فبينما هم كذلك اذ طار طائر بين يدى الفتى
ونفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعا الفتى اله ابراهيم
فرجعت اليه وقالت ايها الفتى البار بوالدته الم تر الى الطائر
الذى طار انه ابليس عدو الله اختلسنى اما انه لو ركبنى ما قدر
علىّ ابدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعنى من يده
وردنى اليك لبرك بامك فجاء بها الى امه فقالت له انك فقير
لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل
فانطلق فبعها وخذ ثمنها فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير
ولا تبع بغير رضائى ومشورتى وكان ثمنها ثلاثة دنانير
فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه ملكا فقال له بكم تبيع هذه
البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال له
الملك ستة دنانير ولا تشاور والدتك فقال الفتى لو اعطيتنى
وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امى فردها الى امه واخبرها بذلك
فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها الى
السوق فاتى الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتنى
ان لا انقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال الملك
انى اعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فابى الفتى ورجع
الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك فى صورة
بنى آدم ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتأمرنا ان نبيع هذه البقرة
ام لا فغفل فقال الملك اذهب الى امك فقل لها امسكى هذه البقرة

فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل
بملء جلدها ذهبا فامسكوها حتى وجد في بني اسرائيل قتيل
اسمه عاميل لم يدروا من قتله وكان سبب قتله كما قال عطاء والسدي
انه كان كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه
موته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل بنت عم له تضرب
مثلا في بني اسرائيل في الحسن والجمال فقتل ابن عمها ليستنكحها
قاتله وقال بعضهم قتله ابن اخيه لينكح ابنته فلما قتله
حمله من قرية الى قرية اخرى فالقاه هناك وقيل القاه بين قريتين
وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنى عشر بابا لكل سبط
منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجر الى باب سبط آخر
فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم
احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه
ويدعيه عليه فلما اشتبه على الناس جاؤا الى موسى وسألوه
ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم ان
الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اى تستهزئ
بنا نحن نسئلك عن امر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة فقال موسى
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اى من المستهزئين بالمؤمنين
وقيل من الجاهلين بالجواب على وفق السؤال فما زالوا يستوصفون
حتى وصف لهم تلك البقرة فاخذوها وذبحوها قال الله تعالى
فذبحوها وما كادوا يفعلون اى من شدة اضطرابهم واختلافهم
فيها وضربوا القتيل ببعض منها فقام القتيل حيا واوداجه
تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم
قاتله الميراث (واختلافهم) بضم الفاء لانه ابلغ في ذم الاختلاف
اذ لا يتقيد حينئذ بكثرة بخلاف كسرها وقد نهى عن الاغلوطات
في العلم (على انبيائهم) اختلافا يؤدي الى كفر او بدعة

واما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة اهل العلم فيه على سبيل
الفائدة واظهار الحق فغير منهي عنه بل مأمور به وفضيلة ظاهرة
وقد اجمع المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولاشك
ان الاختلاف المذموم سبب لتفرق القلب ووهن الدين كما
جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض ووهى امرهم
واندحضوا وكثرة السؤال من غير ضرورة تشعر بالتعنت
وتفضي اليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة
السؤال ومن ثم لما اكثروا السؤال عليه صلى الله عليه وسلم غضب
ثم صعد المنبر وهو غضبان قال انس ونحن نرى ان معه جبريل
فما رأيت يوما كان اكثر بكاء منه فقال رجل يا رسول الله من
ابي قال ابوك حذافة وكان الناس يسبونه وينسبونه لغيره
وقال آخر من ابي قال ابوك سالم مولى شيبة وقام آخر فقال
اين ابي فقال في النار ثم قال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم
الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله اكل
عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم
فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما
استطعتم فجثى عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا
عفا الله عنك قال فسري عنه ثم التفت الى الحائط فقال لم
أر كاليوم في الخير والشر اريت الجنة والنار وراء هذا الحائط

فوائد الاولى جاء قوم الى سعدون الخولاني فحكوا
ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه
وبقي ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت

ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية فقد داين ربه ومن حج
ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار وذكر القاضي عياض في الشفا
الثانية حكى عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان
في آخر حجة حجها قال وهو في عرفات اللهم انك تعلم اني وقفت في
موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة من فرضي والثانية عن
ابي والثالثة عن امي واشهدك يارب اني وهبت الثلاثين لمن
وقف بموقفي هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن
المنكدر اتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي لقد
غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان اخلق عرفات بالف عام *
وعن علي بن الموفق انه حج ثمانين فوهب منها سبعين للنبي صلى الله
عليه وسلم واربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لامه واثنين لابيه
ووهب الواحدة الباقية لكل من نوى الحج ولم يقدر عليه فهتف به
هاتف من زاوية البيت يا ابن الموفق اتسخى علينا ونحن خلقنا
السخاء وعزتي وجلالي كل من وهبته حجة وهبنا له سبعين حجة
وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما ذهبت الى عرفة بت بمنى
فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء فنادى احدهما
صاحبه يا عبد الله فقال لبيك فقال اتدري كم حج بيت ربنا
هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا هذه السنة ستمائة الف
فقبل منها حج ستة ثم ارتفعا فغابا في السماء فانتبهت فزعا وغمني
ذلك وقلت في نفسي اذا قبل حج ستة فاين اكون انا فلما افضت
من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت اتفكر في كثرة الخلق
وقلة من قبل منهم فغلبني النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما
وقال احدهما لصاحبه المقالة الاولى ثم قال اتدري ما حكم ربنا
عز وجل في هذه السنة قال لا قال وهب لكل واحد من هذه الستة
مائة الف فانتبهت وقد داخلني السرور * وعن سفيان الثوري

رحمه الله تعالى قال حججت سنة ونويت ان انصرف من عرفات ولم احج بعد فنظرت فى النوم فاذا بشيخ متكئ على عصا وهو ينظر الى مليا فقلت السلام عليك يا شيخ فقال وعليك السلام يا سفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من اين علمت بشئ قال الهمنى ربى والله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات هاهنا فى الحجة الخامسة والثلاثين انظر الى هذه الرحمة وبقيت منتظرا حتى غابت الشمس وافاض الناس من عرفات الى المزدلفة وجن الليل ولم يبق معى احد فنمت تلك الليلة فرايت فى النوم كان القيمة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت ابواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادى وتقول اللهم ق الحجاج من حرى وبردى فنوديت يا نار سلى غيرهم فانهم ذاقوا عطش حر البادية ورزقوا الشفاعة قال فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت فرايت ذلك فقلت فى نومى هذا من الرحمن ام من الشيطان فقيل لى من الله مد يمينك فمددت فاذا على كتفى مكتوب من وقف بعرفات وزار البيت شفعته فى سبعين من اهل بيته قال سفيان وارانى المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر سنة الا وانا احج حتى تم لى ثلاثة وسبعين حجة * وعن عبد الله بن المبارك قال كان بعض المتقدمين قد حبب اليه الحج فحدثت عنه انه قال ورد الحاج فى بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم على الحج فاخذت فى كمى خمسمائة دينار والى السوق اشترى آلة الحج فبينما انا فى بعض الطريق عارضتنى امرأة فقالت رحمك الله انا امرأة شريفة ولى بنات عراة واليوم الرابع ما اكلنا شيئا فوقع كلامها فى قلبى فطرحت الخمسمائة دينار فى طرف ازارها وقلت عودى الى بيتك فاستعينى بهذه الدنانير على وقتك فحمدت الله تعالى وانصرفت ونزع الله من قلبى

ملازمة الخروج فى تلك السنة وخرج الناس وحجوا وعادوا فقلت
اخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فخرجت وجعلت كلما لقيت
صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر سعيك رد على
مثل ذلك فلما كانت الليلة الثانية رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال
لى يا فلان لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج اغثت ملهوفا
واعنت ضعيفا فسألت الله عز وجل فخلق فى صورتك ملكا
فهو يحج عنك فى كل عام فان شئت فحج وان شئت لا تحج وروى
نحو هذه الحكايات ابو سعيد عبد الملك بن ابى عثمان عن ابن المبارك
ان عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فاذا امرأة
جالسة على مزبلة تنتف بطة فوقع فى نفسه انها ميتة فوقف وقال
يا هذه هذه ميتة ام مذبوحة قالت ميتة وانا اريد ان آكلها
وعيالى فقال ان الله حرم الميتة وانت فى هذه البلد فقالت
يا هذا انصرف عنى فلم يزل يراجعها الكلام الى ان تعرف منزلها
ثم انصرف فحمل على بغل نفقة وكسوة وزادا وجاء وطرق
الباب ففتحت ونزل عن البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمرأة
هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لك ثم اقام حتى
رجع الحاج فجاء قوم ليهنوه بالحج فقال ما حججت السنة فقال
له بعضهم يا سبحان الله الم اودعك نفقتى ونحن ذاهبون الى
عرفات وقال له آخر الم تسقنى بموضع كذا وقال آخر الم تشتر
لى كذا فقال لا ادرى ما تقولونه اما انا لم احج العام فلما كان
الليلة أتى اليه فى منامه فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله
تعالى جل جلاله قد قبل صدقتك وانه بعث ملكا على صورتك
يحج عنك ذكرهما ابن الجوزى * وذكر ابن جماعة ان بعض
السلف نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم فعرضت له ذات يوم حاجة
فبعث ولده الى بعض جيرانه فرجع الولد يبكى فقال مالك يا بنى

قال دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني فذهب الرجل الى جاره يعاتبه على ما فعل فبكى الجار وقال الجاأتني الى كشف حالي انا منذ خمسة ايام لم نطعم فطبخت ميتة واكلناها وعلمت ان ولدك يجد مالا فلا يحل له اكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وانت تتأهب للحج الى بيته واعطاه الثلاثمائة درهم فلما كانت عشية عرفة رأى ذوالنون المصري في منامه وهو بعرفات كان قائلا يقول يا ذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ما حج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بهمته فوهب الله له اهل الموقف قال ذوالنون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك اهـ ذكره في مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام الثالثة اخرج ابن عدي في الكامل والدارقطني في الافراد والعقيلي وابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي الخضر مع الياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وفي بعض الروايات زيادة العلي العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن بن رزين وهو ضعيف واخرجه ابن الجوزي من طريق احمد بن عمار عن محمد بن مهدي بن هلال وزاد قال ابن عباس ما من عبد قالها في كل يوم ثلاث مرات الا امن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي وكذلك حتى يصبح الرابعة عن ابن عباس ان آدم عليه السلام حج اربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قيل لمجاهد افلا كان يركب قال واي شيء كان يحمله اخرجه ابن الجوزي وقال سعيد

ابن

ابن سالم حج سبعين حجة ماشيا (رواه البخاري ومسلم) وهو حديث
عظيم من قواعد الدين * (الحديث العاشر عن

ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب)
اي منزه عن النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب وعن كل
وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضي عياض اوطيب الثناء
مستلذ الاسماء عند العارفين بها كما قاله غيره ثم الطيب له
اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما في قوله تعالى قل لا يستوي
الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء ويطلق ويراد به الجيد من الحلال وهو
المستلذ منه كما في قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق وقوله تعالى كلوا مما في الارض
حلالا طيبا على انه من باب التأسيس الذي هو الاصل لا للتاكيد
وقيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى
فتيمموا صعيدا طيبا ويطلق ويراد به المنبت كما في قوله تعالى
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد به الحسن
كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي الحسن وهي
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب
الله مثلا كلمة طيبة اي حسنة وهي الشهادة ويطلق ويراد به
المؤمن كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب ويطلق ويراد به ما لا اذى فيه
كقولهم هذا يوم طيب وليلة طيبة اي ليس فيها حر يؤذي
ولا برد يؤذي ويطلق ويراد به المدرك كقولهم طاب ثمرها
اي ادرك قال الشيخ الهيتمي وهو اي طيب من اسمائه الحسنى
لصحة الحديث به كالجميل ومثلهما النظيف ورد بان حديثه لم
يصح اه وبحث فيه بعضهم بانه ان اراد بعدم صحة الثالث

عدم وروده فممنوع بل في حديث رواه ابن عدي وغيره عن ابن عمر مرفوعًا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان اراد بالصحة ونفيها الصحيح المصطلح عليه فممنوع ايضًا لان الخبرين المذكورين ضعيفان كما بيّنه جمع من الحفاظ فتدبر

(لا يقبل الا طيبًا) اي لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصًا من المفسدات كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه في ذلك المعنى وهو الاخلاص في الاعمال والحلال في الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من اكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحًا ومن اكتسب مالا حرامًا فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن اكل الحلال اربعين صباحًا نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حله كان كالمجاهد في سبيل الله قال القرطبي في شرح مسلم ما ملخصه الاخلاص شرط في جميع العبادات وذلك بان يكون الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيء من اعراض الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفر واما رياء وهذا اذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده بحيث لو فقد لترك العمل فلو وقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا اقوى او مساويًا لحق بالقسم الاول في الحكم وبابطال العمل عند ائمة هذا الشان لحديث من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه فلو كان باعث الدين اقوى فحكم المحاسبي بابطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم وما في معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل واما لو انفرد باعث الدين

بالعمل او غرض باعث الدنيا في اثناء العمل فهو اولى بالصحة اهـ وفي الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك * واخرج احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيهم درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله * واخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر وكان اصره عليه * واخرج الطبراني من كسب مالا من حرام فانفق منه ووصل رحمه كان ذلك اصرا عليه وانما لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مأمورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو محال وهذه الجملة توطئة وتأسيس لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث وهو طيب المطعم الملتزم لاجابة الدعاء غالبا (وان الله تعالى) لما خلق لعباده ما في الارض جميعا واباحه لهم سوى ما حرم عليهم (امر المؤمنين) اى والمؤمنات فهو من باب التغليب والامر للوجوب (بما امر به المرسلين) فسوى بينهم في الخطاب بوجوب اكل الحلال ففيه اشعار بان الاصل استواء هم مع اممهم في الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به (فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) فيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية في رفض الطيبات (واعملوا صالحا) وقدم اكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع بالرزق (وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى نفعناكم وهو جمع طيب بمعنى الحلال الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لآكله وان لم يستلذه والنديذ الطعم من غيره وبال على آكله وندامة وحسرة فقول الشافعي الطيب المستلذ

اراد به المستلذ شرعا فهو بمعنى ما قبله وقد خفي هذا على بعضهم
فظن تنافيهما فاعترضه بان الخنزير لذ اللحم على الاطلاق وهو
حرام اجماعا والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا * واخرج ابن
سعد عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما اني اكلت الليلة حمصا
وعدسا فنفخني فقال له بعض القوم يا امير المؤمنين ان الله تعالى
يقول في كتابه كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات هيهات
ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب
الطعام واسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم والامر في هذه الآية
للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك بمجاعة او الندب بموافقة
الضيف قال ابو هريرة (ثم) ان النبي صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام
حتى (ذكر الرجل) خصه بالذكر لانه الذي يسافر السفر البعيد
الطويل غالبا والا فالمرأة كذلك (يطيل السفر) في وجوه الطاعات
من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك من وجوه
البر وذكر بعضهم ان قوله اشعث اغبر يفيد انه سفر الحج
اذ الصفتين المذكورتين لا يكونان الا فيه والاولى التعميم الاول
وقوله يطيل السفر محله نصب صفة لرجل لان ال فيه جنسية
والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله رحمك الله ولقد امر
على اللئيم يسبني قال الطيبي ولقد حكى لفظ رسول الله رفع الرجل
بالابتداء والخبر يطيل الخ (اشعث) اي متلبد الشعر لبعد
عهده بالغسل والتسريح والدهن وشعث الرجل شعثا من باب
تعب (اغبر) اي غير الغبار وجهه وبقية جسده (يمد يديه)
فيه اشارة الى ان رفع اليدين مشروع في الدعاء لما فيه من اظهار
شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولان
العرب ترفع ايديها اذا استعظمت الامر فالداعي جدير بذلك
لتوجهه بين يدي اعظم العظماء ولان العادة في سؤال المخلوق

ذلك

ذلك فيضع في يده ما يسأل فيه فكأن الداعي شبه المعقول
بالمحسوس (الى) جهة (السماء) لانها مخزن الارزاق ومصعد
اسرار الخلائق ومصعد الاعمال وللاشارة الى ما هو من وصف المدعو من
الجلال والكبرياء وانه فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ولانها
قبلة الدعاء ومن ثم كانت افضل من الارض على قول الاكثر
وهو الاصح لانه لم يعص الله فيها وقيل الارض افضل لان الانبياء
خلقوا منها وهي مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان في السماء
مزية وهي لا تقتضي الافضلية على انه قد يكون في المفضول
مزايا وقد ينتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم
لم يكونوا في السماء يحتاج لدليل (يارب) اعطني كذا (يارب)
جنبني كذا (ومطعمه) هو مصدر بمعنى المفعول وكذا يقال
فيما بعده (حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي) بضم الغين
وكسر الذال المعجمة المخففة وفي المصابيح وردت مشددة (بالحرام)
ذكر قوله وغذي بالحرام بعد قوله مطعمه حرام اما للتاكيد واما
للتنبيه على استوا حاليه صغيرا وكبيرا فاشار بقوله ومطعمه حرام
الى حال كبره وبقوله وغذي بالحرام الى حال صغره وهذا دال
على انه لا ترتيب في الواو (فانى يستجاب له) ذلك اي فكيف
ومن اين يستجاب لمن هذه صفته فهو استبعاد لاجابة دعائه
مع قبح ما هو متلبس به مع ما هو عليه من اطالة السفر في انواع
الطاعة فكيف بمن هو منهمك في ملاذ الدنيا ومظالم العباد
اولئك كالانعام بل هم اضل لكن يجوز ان يستجيب له الله لطفا
منه وتفضلا وقد علم من هذا ان تناول الحرام مانع من اجابة
الدعاء غالبا وبقي للدعاء شروط منها ان لا يدعو بحرام كان يدعو
بالشر على غير مستحقه ولو بهيمة ولا بمحال ولو عادة فانه تعالى
اجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية

ويندولها وذلك سوء ادب على الله قيل الا الاسم الاعظم فيجوز تأسّيا بالذي عنده علم الكتاب دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب وهو مبنى على ان شرع من قبلنا شرع لنا وان لا يكون فيما اشتمل غرض فاسد كمال وطول عمر للتفاخر وان لا يكون على وجه الاختبار وان لا يشتغل به من فرض وان لا يستعظم حاجته وان تكون الاجابة عنده اغلب من الرد للخبر الآتي وللخبر يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وان لا يضجر من تأخر الاجابة فيقول دعوت فلم يستجب لي لانه سوء ادب وان لا يدعو بدعاء الفه غيره ولم يرد به اثر مع الجهل بمعناه او انصرافا لفهمه الى لفظه لانه حالك لكلام غيره لا سائل وان يحترز عما يعد اساءة في المخاطبات فلا يصرح بجماع ونحوه وان يدعو باسمائه الحسنى دون غيرها وان كان حقا كيا خالق الخنازير وان لا يعلقه بما هو شأنه تعالى كاللهم افعل بي ما انت اهله في الدنيا والآخرة وان يكون حاضر القلب موقنا بالاجابة لخبر ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستمع دعاء من قلب غافل لاه * وقد ورد ان موسى عليه الصلاة والسلام مر على رجل يتضرع الى الله تعالى فقال يا رب لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فقال الله له انا ارحم به منك لكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه ولا استجيب لمن يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى ذلك للرجل فانقطع الى الله تعالى فقضيت حاجته وان يجتنب اللحن فلا يدعو بالجر فيما الصواب فيه الرفع او النصب لانه يتضمن مؤاخذة الحق بالخطا وسمع الاصمعي رجلا عند الملتزم يقول يا ذي الجلال والاكرام فقال له منذ كم تدعوه فقال منذ سبع سنين فلم ار الاجابة فقال لانك تلحن في الدعاء فاني يستجاب لك قل يا ذا الجلال والاكرام ففعل فاستجيب له لكن ذكر

ابن الصلاح ان الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح فيه
ومر ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا له
يا ابا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت
بعشرة اشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم
انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث
قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع اكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها
والخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ولم تخالفوه والسادس
قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم
تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تعدوا له والتاسع
انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم
والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم * قال ابن عطاء الله
ان للدعاء شروطا واركانا واجنحة ومواقيت واسبابا واوقاتا
فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار الى السماء وان
وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح وان وافق اوقاته
استقر فاركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاستحارة واسبابه الحمد لله
والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم واوقاته بعد الصلاة
ومواضع اجابة الدعوات اه من الشيرازي * وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس دعوات لا ترد
دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم
حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه
بظهر الغيب واسرع هؤلاء الدعوات دعوة الاخ لاخيه بالغيب
اخرجه الحافظ ابو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد وصححه
المحب الطبري في كتابه المسمى بالقرى لقاصد ام القرى ثم
ان الاجابة ليست منحصرة في الاسعاف بالمطلوب بل هي حصول

واحدٍ من الثلاث المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ما من داعٍ يدعو الا كان بين ثلاث اما ان يستجاب له واما ان يدخر له يعني افضل منه واما ان يكفر عنه من ذنبه وفي لفظ او يدفع عنه من السوء مثله (رواه مسلم) وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام *

(الحديث الحادي عشر)

(عن ابي محمد) كناه وسماه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه بالتقي والسيد ولد بالمدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذنه وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً وثمان بنات * وعن البراء انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم اني احبه واحب من يحبه فاحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحارث انه قال خرجت مع ابي بكر من صلاة الفجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال وعلي يمشي الى جنبه فمر بالحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول

بابي شبيه بالنبي * ليس شبيهاً بعلي *

وعلي يضحك * وعن سعيد بن عبد العزيز ان الحسن سمع رجلاً يسأل الله عز وجل ان يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه * وعن الحسن رضي الله عنه انه قال اني لاستحيي من ربي ان القاه ولم امش الى بيته فمشى خمساً وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت الجنائب تقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله في ماله ثلاث مرات وكان ليعطي تارة ويمسك اخرى * وعن ابي العباس المرسي قدس

اوّل الاقطاب مطلقا الحسن بن علیؓ ومن تواضعه انّه مرّ بصبیان معهم کسر خبز فاستضافوه ادبا معه فنزل واکل معهم وتزوّج بسبعمائة امراة فی حیاة ابیه فامر منادیا ینادی فی الناس لاتزوّجوا الحسن فانه مطلاق فما من احدٍ الّا وقال نزوّجه فان رضی امسك وماکره طلّق وما طلقت امراة الّا وهی تحبّه * ومتع امراتین بعشرین الفا ونبیفا فقالت احداهما متاع قلیل من حبیب مفارق ولم یکن یعرف اسم الحسن فی الجاهلیة وکذا اسم الحسین واما اللذان کانا بالیمن فهما حسن باسکان السین وحسین بفتح الحاء وکسر السین * وفی طبقات ابن سعد عن عمران بن سلیمان الحسن والحسین اسمان من اسماء اهل الجنة ولم یکونا فی الجاهلیة لکن فی الکشاف ما یخالفه وحینئذ فاوّل من سمّی بهما من اهل الدنیا من ذکر والمراد اوّل من سمّی بلفظهما فلا یرد انّ هارون سمّی ابنیه شبرا بفتحات وشبیرا بضم الشین المعجمة ومعنی شبرا حسنا وشبیرا حسینا لانّ هذا تسمیة بمعناهما واللفظ قد ادّخر لهما (ابن علیّ) بن ابی طالب القائل فیه المصطفی صلّی الله علیه وسلّم من کنت مولاه فعلیّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ویکنی ابا الحسن وابا تراب کنّاه بذلك النبیّ صلّی الله علیه وسلّم لما وجده نائما وقد علاه التراب (رضی الله تعالی عنهما سبط) بکسر فسکون ای ولد بنته (رسول الله صلّی الله علیه وسلّم وریحانته) شبّهه لسروره وفرحه به واقباله علیه بریحان طیّب الریح یرتاح لرؤیته وشمّه او لانه کان له رائحة طیّبة کرائحة الریحان وهو نبت معروف طیّب الرائحة وقد قال صلّی الله علیه وسلّم فیه وفی اخیه الحسین هما ریحانتای من الدنیا * وفی الصحیح انّ الحسن رقا المنبر ورسول الله صلّی الله علیه وسلّم یخطب فامسکه وجعل یقبل علی الناس مرّة وعلیه

اخرى ثم قال ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفى ابوه رضى الله بايعه اكثر من اربعين الفا وفيهم كثير ممن تخلف عن ابيه وممن نكث بيعته فبقى خليفة حقا نحو ستة اشهر تكملة الثلاثين سنة التى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكا عضوضا اى يعض الناس بجور اهله وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية فى اهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما تراءى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من ارض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمرائن ومعاوية سكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرأى ان المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فارسل الى معاوية يخبره ان يسلم الامر له وينزل له على شرط ان لا يطلب احدا من اهل الحجاز والمدينة والعراق بشئ مما كان فى ايام ابيه وان يكون ولى الامر من بعده وان يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته ففرح معاوية واجاب الى ذلك الا انه قال الا عشرة لا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية انى قد آليت على نفسى انى متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة ان اقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال انى لا ابايعك ابدا وانت تطلب قيسا وغيره بتبعة قلت او كثرت فبعث اليه معاوية برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه وانا التزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كلما اشترطه عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الامر اليه تورعا وقطعا للشر واطفاء لنائرة الفتنة وسمى ذلك العام عام الجماعة

لاجتماعهم على خليفة واحد وكان ذلك في سنة احدى واربعين في شهر ربيع الاوّل وقيل جمادى ثم انّ يزيد بن معاوية دسّ الى زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية ان تسمه ويتزوجها ويبذل لها مائة الف ففعلت فلمّا مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله فيما وعدها فابى وقال انا لم نرضاك للحسن فنرضاك لنفسنا * وعن عمير بن اسحاق انه قال دخلت انا ورجل على الحسن بن علي نعوده فقال يا فلان سلني قال لا والله لا اسألك حتى يعافيك الله قال ثمّ دخل وخرج الينا فقال سلني قبل ان تسألني قال لا بل حتى يعافيك الله عزّ وجلّ قال ثم لقيت طائفة من كبدي وانّي سقيت السّم مرارًا فلم اسق مثل هذه المرّة ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه واخوه الحسين عند رأسه فقال يا اخي من تتهم فقال لتقتله قال نعم فقال ان يكن الذى اظنّ فالله اشدّ بأسا واشدّ تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا احبّ ان يقتل بي بريء * ومن جملة كلامه لاخيه لمّا احتضر انّ اباك اشرف لهذا الامر المرّة بعد المرّة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرّد السّيف فما صفت له وانّي والله ما ارى ان يجمع الله فينا النبوّة والخلافة وربّما يستخفّك سفهاء الكوفة فيخرجونك ولمّا نزل به الموت قال اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرج فقال اللهمّ انّي احتسب نفسي عندك فاني لم اصب بمثلها وكان مرضه اربعين يومًا وتوفّي لخمس ليالٍ خلون من ربيع الاوّل وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة عشر حديثًا (قال حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دع) اى اترك وهو امر لاماضي له ومضارعه يدع قال الصرفيون واما توهم ماضي يدع

ويذر ولكن جاء عن عروة ومقاتل وابن ابي عبلة انهم قرؤا ما ودعك ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك في ضرورة الشعر ومنه قول انس بن زنيم

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله في الحب حتى ودعه

والامر للندب لان الاصح ان توقي الشبهات مندوب بل جاء عن عمر رضي الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض الشك احلال هو ام حرام خير من سؤال الناس وقد تكون للوجوب كالورمى صيدا فسقط في ماء فمات او اجتمع على قتله كلب مسلم وكافر انه يجب تركه لعدم تحقق المبيح (ما يريبك) بفتح اوله وضمه والاول افصح واكثر رواية والثاني لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا واراب يريب رباعيا اذا شك وتردد في الشيء وقيل رابه لما تيقن فيه الريبة واراب لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شيء فاتركه فان نفس المؤمن الكامل تطمئن الى ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال احمد بن نصر الزقاق تهت مرة في تيه بني اسرائيل فعطشت سقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق لقيني جندي فسقاني شربة ماء فعادت قساوتها على قلبي اربعين صباحا وفي رواية ثلاثين سنة كما تقدم وفي رواية مكثت قساوتها في قلبي ثلاثين سنة * وعن ابي سليمان الداراني انه قال قدم الى اهل حرة خبزا وملحا فكان في الملح سمسمة فاكلتها فوجدت رانها على قلبي بعد سنة * وحكي انه كان رجل من الاولياء قصد شخص زيارته فلما وصل الى بيته خرج شاب عليه سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسأل عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جاء الشيخ رآه الزائر بسيما المتواضعين وكان حسن الخلق فتعجب اشد من ذلك

وقال في نفسه يا عجبا كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسأله الزائر عن سوء خلق ابنه فقال الشيخ لا تعجب فاني جعت مدة ايام فأخبر بذلك جاري وكان من خواص السلطان فجاءني بطعام من بيت السلطان فلما اكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام (الى ما لا يريبك) اي دع ما تشك فيه من الشبهات الى ما لا تشك فيه من الحلال لما مر في الحديث السادس ان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وهذا اصل في الورع حتى قال بعضهم الورع كله في ترك ما يريب الى ما لا يريب* وقد ورد لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس* وقال حسان بن ابي سنان ما شيء اهون من الورع اذا رابك شيء فدعه وهذا انما يسهل على من سهله الله عليه ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث ابيه فلم يأخذها وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الى ان مات * وسئلت عائشة رضي الله عنها عن اكل الصيد للمحرم فقالت انما هي ايام قلائل فما رابك فدعه يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال او حرام فاتركه فان العلماء اختلفوا في اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده او يصاد لاجله (رواه) الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو بن الضحاك وقيل ابن شداد بدل الضحاك السلمي البوغي بضم الباء الموحدة وسكون الواو وغين معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها فلذلك قال (الترمذي) بتثليث الفوقية وكسر الميم اوضمها مع اعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ على شاطئه الشرقي قال ابو عبيد الادريسي كان الترمذي احد الائمة الذين يقتدى

بهم في علم الحديث صنّف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل في الحفظ وكان مكفوفا قيل ولد أكمه ونوزع بقول الكشاف لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة وقد يقال هذا نفي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلامه الشاطبي لان صاحب الكشاف متقدم عليه ولد سنة تسع ومائتين ومات ببلده ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل تسع وثمانين ومائتين (و) الامام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (النسائي) نسبة الى نسا مدينة بخراسان ولد سنة اربع او خمس عشرة ومائتين رحل واجتهد واتقن الى ان انفرد فقها وحديثا وحفظا واتقانا حتى قال الذهبي انه احفظ من مسلم وكان منبسطا في المآكل كثير الجماع كثير التعبد دخل دمشق فذكر فضائل علي رضي الله عنه فقيل له فمعاوية فقال ما كفاه ان يذهب راسا براس حتى تذكر له فضائل فدفع في حضنيه بالحاء المهملة اي جنبيه حتى اشرف على الموت فاخرج فمات بالرملة او فلسطين سنة ثلاث وثلاثمائة وحمل للقدس او مكة فدفن بين الصفا والمروة (وقال الترمذي حديث حسن صحيح) استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوي الصحيح يشترط فيه ان يكون موصوفا بالضبط الكامل وراوي الحسن لا يشترط فيه ان يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عاريا عن الضبط في الجملة واجيب بانه ما قيل فيه ذلك ان كان له اسنادان كان وصفه بالحسن من جهة احدهما وبصحته من جهة الآخر وحينئذ فما قيل فيه انه حسن صحيح اقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان وصفه بهما من حيث تردد ائمة الحديث في حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد

على انه لا يصفه بأحد الوصفين بل يقول حسن اى باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغاية ما فيه انه حذف منه حرف التردد لان حقه ان يقول حسن او صحيح وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح دون ما قيل فيه صحيح لان الجزم اقوى من التردد

(الحديث الثاني عشر)

(عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن) انما اتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام الخ للاشارة الى انه لا عبرة بصور الاعمال فعلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بان توفرت شروط مكملاتها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك ما لا يعنى ليس هو الاسلام ولا جزءه بل صفته وهى حسنة وصفة الشئ ليس ذاته ولا جزءه لان الاسلام لغة الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك ما لا يعنى كالشكل واللون له ذكره بعض الشارحين فان قيل لم قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن فالجواب ان ترك ما لا يعنى ليس هو كل حسن الاسلام بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك ما لا يعنى وفعل ما يعنى فاذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان (اسلام المرء) آثره على الايمان لان الاسلام هو الذى يظهر اذ هو الاعمال الظاهرة التى يتأتى فيها الترك والفعل اختيارا (تركه) مصدر مضاف لفاعله (ما) اى شيئا اعم من ان يكون قولا او فعلا (لا يعنيه) بفتح اوله قال ابن عبد البر وهذا من جوامع الكلم الذى لم يقله احد قبله والله اعلم واما ما روى فى صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا على تقدير صحته

خاصّ بالكلام واما تركه ما لا يعنيه فهو اعمّ من الكلام مع ان لفظه ابلغ واوجز وما لا يعنيه هو ما لا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف انواعه من اللعب والهزل وكل ما يخلّ بالمروءة والتوسّع فى الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع اخروى فانه ضياع للوقت النفيس الذى لا يمكن ان يعوّض فائته فيما لا يخلق لاجله والذى يعنيه من الامور ما يتعلّق بضرورة حياته فى معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعفّ فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعّم وسلامته فى معاده من الاخلاص وقال الشيخ يوسف ابن عمر ما لا يعنيه هو الذى لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه مما يعود عليه منه منفعة لدينه او لدنياه الموصلة للآخرة وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه منه منفعة لدينه او لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احترز بذلك عن دنيا تقطعه وتفسد آخرته وفى الحديث اشارة الى ان الشئ اما ان يعنى اولا وعلى كل اما ان يتركه او يفعله فالاقسام اربعة فعل ما يعنى وترك ما لا يعنى وهما حسنان وترك ما يعنى وفعل ما لا يعنى وهما قبيحان فان قلت اسناد الاعتناء الى المرء يقتضى ان كل ما لا يعتنى به مطلوب بتركه ولو كان موافقا للشرع فالجواب انه لما كان المرء الكامل لا يعتنى الا بما يعتنى به الشارع اسند الاعتناء اليه نظرا لكماله او ان المراد بقوله ما لا يعنيه ما لا يطلب الشارع الاعتناء به وقد قال مالك بن دينار اذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم بانك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسى القلب ويوهن البدن ويعسّر اسباب الرزق * ووعظ عمر

ابن الخطاب رجلاً فقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في امورك الا الذين يخشون الله عز وجل * وقال رجل للاحنف بن قيس بم سدت قومك واراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركي من امرك ما لا يعنيني كما عناك من امري ما لا يعنيك * وروى ابو عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه * وسئل لقمان الحكيم اي عملك اوثق في نفسك قال ترك ما لا يعنيني * وروي ان رجلاً وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال الست عبد بني فلان وفي رواية الست عبد فلان الراعي قال بلى الا انه كان عبداً حبشياً وما قيل انه وبلال نوبيان لم يثبت وكان يرعى الغنم قال فما الذي بلغ بك الى ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني * وفي الموطأ بلغني انه قيل له ما بلغ بك ما نرى يريد وهو الفضل قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل له كيف اصبحت قال كيف اصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبعضهم

لعمرك ما شيء علمت مكانه * احق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك قوله * بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

وقال انس استشهد منا غلام يوم احد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئاً لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يضره * ومن كلام بعض السلف من سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه * ومر حسان بن ابي سنان بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه

فقال نسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها
وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعنى افضل من الصوم
يوما * وقال بعضهم مر ابراهيم الخليل فرأى عبدا فى الهواء
متعبدا فقال له بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى قال بامر
يسير فطمت نفسى عن الدنيا ولم اتكلم فيما لا يعنينى ونظرت
فيما امرنى فعملت به وفيما نهانى عنه فانتهيت فانا ان سالته
أعطانى وان دعوته اجابنى وان اقسمت عليه ابر قسمى
سألته ان يسكننى الهواء فاسكننى * وعن وهب بن منبه
قال كان فى بنى اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان
مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذ هما برجل يمشى فى
الهواء فقالا له يا عبد الله باى شئ ادركت هذه المنزلة قال
بيسير من الدنيا فطمت نفسى عن الشهوات وكففت لسانى
عما لا يعنينى ورغبت فيما دعانى اليه ولزمت الصمت فان
اقسمت على الله ابر قسمى وان سالته اعطانى وقوله من حسن
اسلام المرء خبر واجب التقديم لما فى المبتدا من ضمير يعود على
متعلق الخبر من باب على التمرة مثلها زبدا وقوله ما لا يعنيه
مبتدا (حديث حسن من طريق وصحيح من اخرى (رواه الترمذى)
فى جامعه (وغيره) كابن ماجه (هكذا) اى موصولا
ورواه غيرهما مرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو
اصل كبير فى تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص
وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع كلمه المختصة به
صلى الله عليه وسلم * (الحديث الثالث عشر) *
(عن ابى حمزة) بمهملة فزاى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم
لما روى عنه انه قال كنانى النبى صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت
اجتنيتها قال الازهرى البقلة التى كنى بها انس كان فى طعمها لذع

فسمي حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة اي فيها حموضة ومنه حديث عمر انه شرب شرابا فيه حمازة اي لذع وحدة او حموضة (انس ابن مالك) ابن النضر بالنون والضاد المعجمة الساكنة ابن ضمضم بفتح المعجمتين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون ابن عدي بن النجار الانصاري الخزرجي وامه ام سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام واختلفوا في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل انيفة تزوجها مالك بن النضر فولدت له انس بن مالك ثم قتل فخطبها ابو طلحة قبل ان يسلم فقالت اما اني فيك لراضية وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وانا امرأة مسلمة فان تسلم فذلك مهري لا اسئلك غيره فاسلم ابو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان اكرم من مهر ام سليم وهو الاسلام (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان امه ذهبت به الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقالت له هذا غلام يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين ويقال ثمان ويقال عشر قال انس خدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته وكنت واقفا اصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بابي وامي انت يا رسول الله فقال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت امه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر ذنبه ويروى بدل الاخيرة وادخله الجنة قال انس فلقد رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان بستاني لتثمر في السنة مرتين وفيه ريحان

يجيء منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا ارجو الرابعة وكان يصلي فيطيل القيام حتى تفطر قدماه دمًا وشكى له قيمه عطش ارضه فتوضأ وخرج الى البريّة وصلّى ركعتين ودعا فسارت سحابة حتى غشيت ارضه ومطرت حتى ملأتها فارسل غلامه وقال انظر اين بلغت هذه فنظر فاذا هي لم تعد ارضه وفي رواية لم تعدها الا يسيرًا وذلك في الصيف وكان اذا ختم القرآن جمع ولده واهل بيته ودعا لهم وكان ابو غالب يقول لم ار احدًا كان اضنّ بكلامه من انس بن مالك وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعدّ من البدريين لانه لم يكن في سنّ من يقاتل وغزى مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستمر في خدمة النبيّ صلى الله عليه وسلم الى ان توفّي وهو عنه راض فاقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات بها سنة تسع او احدى او اثنين او ثلاث وتسعين وجه المؤلف زمن الحجاج وهو ابن تسع وتسعين او مائة وسنة او وثلاث سنين او وعشر سنين او وسبع سنين او وعشرين سنة واوصى ثابت البنانيّ انه يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وغسله محمد بن سيرين ودفن في قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من البصرة وهو آخر من مات من الصحابة بها واما آخر الصحابة موتًا مطلقًا فهو عامر بن واثلة الليثيّ روى لانس الفين ومائتي حديث وستة وثمانين اتفقا منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاريّ بثلاثة وثمانين ومسلم باحد وسبعين

(انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) وفي رواية الاصيليّ لا يؤمن احدكم وفي رواية ابن عساكر لا يؤمن عبد وفي رواية لمسلم والذى نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه او لجاره على الشكّ وفي رواية ابي نعيم لا يؤمن عبد حتى يحبّ لاخيه ولجاره

بلاشكٍّ وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتناء به الخبر ما زال جبريل يوصيني بالجار حتّى ظننت انه سيورثه وعلى كل لايؤمن ايمانًا كاملًا والّا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك لانّ من لم يتصف بهذه الصفة لايكون كافرًا وفي رواية للامام احمد وابن حبّان انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لايبلغ عبد حقيقة الايمان اى كماله وقد مرّ في حديث جبريل انّ الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ولم يذكر حبّ الانسان لاخيه ما يحبّ لنفسه فدلّ على انه من كمال الايمان لامن اجزائه بحيث تختلّ ذاته بعدمه ونفي اسم الشئ على معنى نفي الكمال عنه شائع مستفيض في كلامهم كقولهم فلانٌ ليس بانسان فان قلت اذا كان المراد نفي كمال الايمان يلزم ان يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمنا كاملًا وان لم يأت ببقية الاركان فالجواب انّ هذا ورد مورد المبالغة في تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى كأن تلك المحبّة ركنه الاعظم نحو لاصلاة الّا بطهور وهو مستلزم لها اذ يستفاد من قوله لاخيه المسلم ملاحظة بقيّة صفات المسلم واضاف احد المنفيّ للعموم لضمير المذكور نظرًا للغالب والّا فالاناث كذلك والضمير راجع لامّة الاجابة (حتّى يحبّ) بالنصب لانّ حتى هنا جارّة لاعاطفة ولا ابتدائية وان بعدها مضمرة والرفع بجعلها عاطفة يفسد المعنى اذ عدم الايمان ليس سببًا للمحبّة وقوله يحبّ المحبّة الميل الى ما يوافق المحبّ ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذ بفعله امّا لذاته كالفضل والكمال وامّا لاحسانه كجلب نفع او دفع ضرٍّ (لاخيه) اى كل اخ في الاسلام من غير ان يخصّ بمحبّته احدا دون احد بشهادة انما المؤمنون اخوة والاضافة فانّ اضافة المفرد تفيد العموم ووقع في رواية الاسماعيلي حتى

يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر ان التعبير
بالاخ المسلم جرى على الغالب لانه ينبغي لكل مسلم ان يحب للكافر
الاسلام وما يتفرع عليه من الكمالات وقال ابن العماد الاولى
ان يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر
ما يحب لنفسه من دخوله في الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام
عليه ولذلك ندب الدعاء له بالهداية اهـ (ما يحب لنفسه) من
الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الامور الحسية
كالغنى او المعنوية كالعلم فيكون معه كالنفس الواحدة كما حث
صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله في الحديث الصحيح ايضا المؤمنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما اني لامر على
الاية من كتاب الله تعالى فاود ان الناس علموا منها ما اعلم وكان
عتبة الغلام اذا اراد ان يفطر قال لبعض اخوانه المطلعين
على عمله اخرج لي تمرة فيكون لك مثل اجري قال ابن بطال وغيره
المحبة على ثلاثة اقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة
شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر
الناس اهـ واللام تدل على ان المراد الخير والمنفعة اذ هي للاختصاص
بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير
وقد تقدم التصريح به في رواية الاسماعيلي فاندفع قول بعضهم
هذا عام مخصوص فان الانسان يحب لنفسه وطء حليلته
ولا يجوز ان يحبه لاخيه حال كونها في عصمته لانه محرم عليه
وليس له ان يحب لاخيه فعل محرم عليه وقوله لنفسه اي مثل
ما يحب لنفسه لا عينه مع سلبه عنه ولا مع قيامه بمحله اذ قيام
الجوهر او العرض بمحلين محال وهو مساو لقول بعضهم من جهة
لا يزاحم فيها قال البيضاوي المراد المحبة من جهة الفعل

وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يخاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله لما يعلم ان صلاحه فيه وقال عياض لبعضهم ظاهر الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل لان كل واحد يحب ان يكون افضل الناس فاذا احب لاخيه مثله دخل هو في جملة المفضولين وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب ان يكون افضل من غيره لبرى عليه مزية ويستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فهو مستلزم للمساواة قال الكرماني ومن الايمان ان يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه اهـ ومن ثم قيل للأحنف ممن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيئا من غيري لا افعل باحد مثله وقال السري وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل وقال لي نجا حانوتك فقلت الحمد لله فقد قلتها وانا نادم حيث اردت لنفسي دفع الضر دون المسلمين ولي ثلاثون عاما استغفر الله من ذلك (رواه البخاري ومسلم) وفي مسند الامام احمد عن يزيد بن اسد القرشي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب لنفسك واتى بهذا عقب السابق لان ما قبله وصف للاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيما قبله المطلوب تركه وذكر في هذا المطلوب فعله واما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو امر عظيم مدح الله اهله في كتابه العزيز بقوله ويؤثرون على انفسهم وسبب نزولها ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه

فقالت والذى بعثك بالحق ما عندنا الا الماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك ثم قلن كلهن مثل ذلك ما عندنا الا الماء فقال من يضيف هذا الليلة فقال رجل من الانصار يقال له ابو المتوكل وقيل ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ فقالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فاطفئ السراج ونومى الاطفال وقدمى للضيف ما عندك ففعلت واظهرا له انهما ياكلان معه فنزل قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم المفلحون فلما اصبح غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد عجب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن ثم عندها الا قوت الصبيان وهو يدل على ان الصبيان كانوا جياعا فكيف ساغ تنويمهم طاويين فالجواب ان الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشيا ان الطعام لو جئ به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فيشوشوا على الضيف * وروى الحسن ان رجلا اصبح صائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما امسى لم يجد ما يفطر عليه الا الماء فشرب ثم اصبح صائما فلما كان اليوم الثالث اجهده الجوع ففطن به رجل من الانصار فلما امسى اتى به الى منزله وقال لاهله هل عندكم من طعام فقال اهله عندنا من الطعام ما يشبع الواحد وكانا صائمين ولهما صبية فقال الزوجة اذا دخل الضيف فنومى الصبية قبل العشا واطفى السراج ونظهر للضيف انا نأكل معه حتى يشبع فجاءت بثريد ووضعته ودنت من السراج كأنها تريد ان تصلحه فاطفأته فلما اصبح الضيف غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية * وقال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأس شاة فقال ان اخي فلانًا وعياله احوج الى هذه منّا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبع ابيات حتى رجعت الى الاوّل وتقدّم ذكر قصّة ابن عمر لمّا اشتهى عنقودًا من العنب * وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اخذ اربعمائة دينار فجعلها فى صرّة ثمّ قال للغلام اذهب بها الى ابى عبيدة بن الجرّاح ثمّ تلكّا ساعة فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثمّ قال تعالى يا جارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعدّ مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكّا فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها اليه فقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطّلعت امرأة معاذ وقالت ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق فى الخرقة الّا ديناران فدحى بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فاخبره بذلك فسرّ بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة فى اعطاء معاوية ايّاها كما مرّ فى مناقبها * وقال ابو يزيد البسطامى ما غلبنى احد ما غلبنى شابّ من اهل بلخ قدم علينا حاجًّا فقال لى يا ابا يزيد ما حدّ الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت له ما حدّ الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * وحكى عن الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيّف وثلاثون رجلًا بقرى الرىّ ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلمّا رفع

فاذا هو بحاله لم يأكل احد منهم شيئاً ايثاراً لصاحبه على نفسه * والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال فقد قال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شئ من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه آه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات

(الحديث الرابع عشر)

(عن) عبد الله (ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل) اى لا يجوز ولو بيانا في وجوب القتل باحدى الثلاثة الآتية لان الجائز يصدق بالواجب وفي رواية مسلم زيادة على هذا في اوله ولفظه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى لا اله غيره لا يحل (دم) قال سيبويه اصله دمي على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمي اى بكسر الدال في الاول وضمها في الثاني مثل ظبي وظباء ودلو ودلاء ودلى ولا يجمع على ذلك الا فعل بالتسكين وقيل اصله فعل بالتحريك وعليه فهل الذاهب منه الياء ويدل عليه قولهم في تثنيته دميان وان جاء معه مخالفا لنظائره وهو ما قاله المبرد او الواو لان بعض العرب يقولون في تثنيته دموان وهو ما قاله غيره وعلى كل فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (امرئ) يقال فيه مرء ايضا قال الله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ومؤنثه امرأة ومرأة وحكى بعضهم انه يجوز مرة بفتح الراء من غير همز وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه واصالته وغلبته

دوران الاحكام عليه والا فالانثى والخنثى كذلك جريًا على طريقة الاكتفاء باحد الضدين كما فى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد اولا كما قال الحرانى يشترك فيه الذكر والانثى وقوله دم امرئ كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق دمه كما لو خنقه او سمه او بالنظر للغالب لان الغالب فى القتل اراقة الدم (مسلم) خرج به الكافر وسقط من كلام المص هنا ما رواه الشيخان فى روايتهما بعده يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم ان الاصل فى الدماء العصمة عقلا ونقلا اما عقلا فلان فى القتل افساد الصورة الانسانية المخلوقة فى احسن تقويم والعقل يأباه واما نقلا فلقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقول المصطفى عليه السلام لا يحولن احدكم ان يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم يهريقه بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وقوله من اعان على مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقوله من هدم بنيان ربه فهو ملعون اى من قتل نفسا بغير حق لان الجسم خلقه الله وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله (الا باحدى خصال (ثلاث) فيجب القتل بها لما فيه من المصلحة العامة وهى حفظ الانساب والنفوس والاديان الا ان يعفو مستحق القصاص او يرجع المرتد الى الاسلام وانث احدى ثلاث لان المراد الخصال كما تقرر وفى رواية للبخارى الا ثلاثة نفر (الثيب) اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم البالغ العاقل الواطئ او الموطوءة وطئا مباحا فى عقد نكاح لازم بانتشار وعدم مناكرة وخرج بالثيب البكر فحده جلد مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا ويغرب الذكر الحر عاما والاصح ان الحدود بمجردها كفارة وقيل لا بد من التوبة وجمع بحمل الاول

على ذات الذنب والتوبة على جراءته وقوله الثيب بالجر بدل مما قبله ولابد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الثيب الزاني وقصاص النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال لان الثيب وما بعده ليسوا نفس الخصال اي وهي او المبتدا اي منها والثاني اولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف (الزاني) باثبات الياء وحذفها من باب الكبير المتعال واثباتها كما قال المص اشهر وعن عبد الله بن عمر انه قال اول ما خلق الله عز وجل من الانسان فرجه فقال هذا امانتي عندك فلا تضعها الا في حقها والمراد بحل دم المحصن الزاني انه يجب رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا (والنفس) المكافئة (بالنفس) اي بقتلها عمدا عدوانا لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها اي التورية ان النفس بالنفس ولما في الصحيح انه عليه الصلوة والسلام رضخ رأس اليهودي الذي رضخ رأس المرأة وخرج بالمكافئة ما اذا كان القاتل زائدا بالاسلام او الحرية فان كان زائدا بالاسلام لا يقتل لخبر البخاري لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زائدا بالحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فالتحق بسائر الاموال وخبر من قتل عبده قتلناه منقطع ويقتل الادنى بالاعلى ككافر بعبد مسلم لان زيادة الاسلام اعلى من الحرية بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بحر كافر وخرج بالعمد الخطأ وبالعدوان قتل البغاة ويقتص من الفرع للاصل لا عكسه لانه سبب في ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه الا ان يضجعه ويذبحه او يبقر بطنه فيقتص منه حينئذ والنفس تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث (والتارك لدينه) اي المرتد لان في اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمرأة.

على انه ... المحذوف ... الخبر ... محذوف صح

عند الجمهور وقال ابو حنيفة لا تقتل المراة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء اهل الحرب في الحرب واستثناء القاتل والزاني من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام واما استثناء المرتد فهو باعتبار ما كان قبل ردته سيما وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ويقتل الزاني والقاتل ولو تابا بخلاف المرتد لان التوبة في الاخير تزيل عنه وصف الكفر بخلافهما في الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزنا والقتل * (المفارق الجماعة) تفسير للتارك لدينه فهو صفة مؤكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين فالمراد المفارقة بالقلب والاعتقاد او الفعل المكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا ان ينضم له المفارقة باللسان والظاهر ان اللام في قوله لدينه وفي قوله للجماعة زائدة كما زيدت في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله كما ان القاصر كذلك زيدت في الفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها للتوكيد المعنى قال الطوفي عموم قوله التارك لدينه يقتضي انه اذا تهود نصراني او تنصر يهودي انه يقتل لانه تارك لدينه ولقائل ان يقول ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني والقاتل وحينئذ لا يدل على ما ذكر (رواه البخاري) في الروايات (ومسلم) في الحدود

* (الحديث الخامس عشر) *

(عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله) اي ايمانا كاملا منجيا من عذابه لان المتوقف على هذه الافعال كمال الايمان لا حقيقته او هو على المبالغة في الاستجلاب

الى هذه الافعال كما يقول القائل لولده ان كنت ابني فاطعني ونحوه تحريضًا وتهييجًا له على الطاعة لا على انه بانتفاء طاعته ينتفي انه ابنه وعدل الى المضارع هنا وفيما بعد قصدًا لاستمرار الايمان وتجدده بتجدد امثاله وقتًا فوقتًا (واليوم الآخر) وهو يوم القيمة سمي به لانه لا ليل بعده ولتاخره عن الدنيا وخصه بالذكر هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه في الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها (فليقل) اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخل عليها الفاء او الواو وسكونها اكثر ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي (خيرًا) اى كلامًا يثاب عليه (او ليصمت) ضبطه النووي بفتح الياء وضم الميم وقال الطوفي قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح العين ماضيًا يفعل بكسرها مضارعًا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه دخيل كما في الخصائص لابن جني اهـ والصمت مجرد السكوت عن الكلام اى يسكت عما لا خير فيه وهو شامل للصمت عن الشر وعن المكروه وعن المباح لان المباح ربما جر الى مكروه او محرم وعلى تقدير انه لا يجر اليهما ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني وقد مر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وآثر يصمت على يسكت لانه اخص اذ هو السكوت مع القدرة وهذا هو المأمور به اما السكوت مع العجز لفساد آلة النطق فهو الخرس او لتوقفها فهو العي والصمت قفل الفم كما قال عمر رضي الله عنه ولذا قيل

وكم فاتح ابواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه وفي الحديث من صمت نجا * واعلم ان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم فاما بخير

فهو ربح او شر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فربح واما
عن خير فخسران فله في كلامه وسكوته ربحان ينبغي تحصيلهما وخسرانان
ينبغي التخلص منهما * وذكر بعضهم ان الكلام اربعة اقسام
ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة
فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر
ومنفعة ولا تفي المنفعة بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر
فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران
فلا يبقى الا القسم الرابع فيسقط ثلاثة ارباع الكلام وفيه خطر
اذ كان يجر ما فيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال في
الحديث الا انبئكم بامرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما الصمت
وحسن الخلق وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة
كان السكوت من ذهب وقيل من قول سليمان ومعناه كما قال
ابن المبارك لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت
عن معصية الله من ذهب وما احسن قول بعضهم

اذا ما اضطررت الى كلمة * فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة * لكان سكوتك من عسجد

ولابراهيم العتكي

لو ان سكوتك حرمان فعلت لهم * ما قدر الله يا ابني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين انشره * من اللجين لكان الصمت من ذهب

وهو صريح في ان الكف عن المعصية افضل من عمل الطاعة
وفي ان الصمت افضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف
الى تفضيل الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخير خير
من الصمت والصمت خير من قول الشر * وتكلم قبيصة
ابن ذؤيب عند عمر بن الخطاب فقال يا قبيصة انك فسيح
اللسان فسيح الصدر فاحذر عثرات اللسان * وكان يقال

اذني نفع الصمت السلامة واذني ضرر النطق الندامة وقال
الاصمعي سمعت اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم
بما شئت وقال سفيان الصمت امان من تحريف اللفظ وعصمة
من زيغ النطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه *
وقال بعض الحكماء دبّر كلامك كما تدبّر سهمك وارفق لا تكره
واعلم ان اللسان منهم يخطئ ويصيب واغتنم السكوت فان ادنى
نفعه السلامة وان اشقى الناس من ابتلى بلسان مطلق وقلب مطبق
فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت * وقال آخر من
اطلق لسانه بكل ما يعلم كان اكثر منامه حيث لا يحب * وسئل
ابن المقفع اي شئ انفع للانسان قال عقل يولد به فان فاته ذلك
قال ادب يقومه فان فاته ذلك قال مال يستره قيل فان فاته
ذلك قال صمت يلزمه قيل فان فاته ذلك قال قبر يحبسه * وكان
ابو بكر الصديق يجعل في فمه حجرا ليقل كلامه وكذلك عمر بن الخطاب
وروى ان رجلا سئل في مرض موته فقيل له اوصني فقال ان
شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء في ثلاث
كلمات اما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم واما حكم الحكماء
فاذا كنت جليس قوم فكن اسكتهم فان اصابوا كنت من جملتهم
وان اخطأوا سلمت من خطائهم واما طب الاطباء فاذا اكلت طعاما
فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت
وسئل ابراهيم بن الحسن عن سلامة القلب فقال بالعزلة والصمت
وترك استماع خوض الناس وروى عن ابي بكر بن عباس انه
قال اربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة كأنها رمية من قوس
واحد قال كسرى لا اندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت
وقال ملك الصين ما لم اتكلم بكلمة فانا املكها فاذا تكلمت بها ملكتني
وقال قيصر ملك الروم انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت

اعلم ٢

وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترتفع لا تنفعه * وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم * وقال اكثم بن صيفي رحمه الله

من لا يدع لسانه فيرسله * فبين فكيه يكون مقتله *

وقال بعض الحكماء لسان المرء شفرة يمرها على اوداجه * وقال الحسن البصري من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر ماله كثر اثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه * وعن ثابت البناني رحمه الله انه قال بلغني ان العافية في عشرة تسعة منها في السكوت وواحدة في الفرار من الناس * قال مالك بن دينار وكان الابرار يتواصون بثلاث سجن اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن * وقال يحيى القطان انما ساد ابن عوف الناس بحفظ لسانه * وقال خارجة بن مصعب صحبت ابن عوف ما يزيد على عشرين سنة فلم اعلم ان الملائكة كتبت عليه خطيئة * وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة اريد ان اعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد كلامه كل يوم ويحفظه * وقال الفضيل بن عياض كان بعض اصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة * وقال في الحكمة انما جعل للانسان لسان واحد واذنان ليكون ما تسمع اكثر مما تقول * وعن الاصمعي انه قال بلغني ان رجلا قال لاخر والله لئن قلت لي واحدة لتسمعن عشرا قال لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وانشد ابو بكر بن خلف

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن اني * عييت عن الجواب وما عييت

ولكني اكتسيتُ بثوب حلمٍ * وجنبتُ السفاهة ما بقيتُ

وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فاعاد عليه والح والاحنف ساكت فقال الرجل والهفاه ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه * ونقل البيهقي عن ذي النون المصري انه قال العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفيه عطب السفيه بين وفيه وفيه انشد الاصمعي

وما شيء احب الى لئيمٍ * اذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جوابٍ * اشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفي شر الشرير ورضا المتجني غاية لا تدرك والاستعطاف عون للظفر * وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهن تورث السلامة والصحة * وقال الغزالي لا تبسطن لسانك فيفسدن عليك شانك * وعن علي بن ابي طالب في وصية لابنه الحسين رضي الله عنهما يا بني امسك عليك لسانك فان تلاف المرء في منطقه * وعن بعضهم عفة اللسان صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدا عليك وانشد بعضهم فقال

اغتنم ركعتين في ظلمة الليـ * ـل اذا كنت فارغا مستريحا
واذا هممت في الخوض بالبا * طل فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت افضل من خو * ض وان كنت بالحديث فصيحا

واستثنى العلماء من الصمت اربعة انواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر واما ما تدعو الحاجة اليه من قوله قم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا * وقال سهل

ابن عبد الله التستري انما بالصمت والعزلة وقلة الطعام
صار الابدال ابدالاً ومعنى الابدال انهم ابدلوا من الاقوال
والاخلاق الذميمة افعالاً حميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود
والشره بالعفة والطيش بالتؤدة * وعن ذى النون المصرى
احسن الناس لنفسه املكهم للسانه * وعنه ايضاً انه قال
بينا انا اسير فى نواحى الشام اذ وقفت الى روضة خضراء
وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه
وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانياً فاوجز فى صلاته
ثم كتب فى الارض باصبعه

منع اللسان من الكلام لانه * هدف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكراً * لا تنسه واحمده فى الحالات

قال ذو النون فبكيت طويلاً وكتبت باصبعى فى الارض

وما من كاتب الا سيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها فهممت لآخذ فى
غسله وكفنه واذا بقائل يقول خل عنه فان الله عز وجل وعد
ان لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون فملت الى شجرة
فركعت عندها ركعتين ثم اتيت الموضع الذى مات فيه فلم اجد
له اثراً ولا عرفت له خبراً * وقال الفضيل بن عياض من
عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه * وعن ذى النون
اصون الناس لنفسه املكهم للسانه * وفى صحف ابراهيم عليه
الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه

وانشد بعضهم

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

وقال ابن المبارك

احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله
وان اللسان دليل الفؤاد * يدل الرجال على عقله

وقال بعضهم

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذابح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحيى الفتى والنطق سيع ذابح

واختلف العلماء هل يكتب كل ما يتكلم به المرء حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد او لا يكتب الا ما فيه ثواب او عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الآية مخصوصة او ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى انه يكتب المباح فالذى يكتبه كاتب السيئات (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) ولفظ رواية مسلم فليحسن الى جاره بالبشر وطلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وتحمل الجفا وغير ذلك لخبر الجار آمين على جاره فعليه ان يسدل جناحه عليه ويكف اذاه عنه اذا رأى عورة سترها وان رأى سيئة غفرها وان رأى حسنة افشاها ولخبر من اراد ان يحبه الله فعليه بصدق الحديث واداء الامانة وان لا يؤذى جاره وقال بعضهم حسن الجوار فى اربعة اشياء ان يواسيه بما عنده وان لا يطمع فيما لجاره وان يمنع اذاه عنه وان يصبر على اذيته وقال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ومن اكرامه ان لا يمنعه من غرز خشبة فى جداره لخبر الموطأ والصحيحين لا يمنع احدكم جاره ان يغرز خشبة فى جداره يقول ابو هريرة مالى اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم بالتاء

وروى بالنون يونس بن عبد الاعلى عن ابى وهب سمعته من جماعة خشبة بلفظ الواحد الباجى قال عبد الغنى كل الناس يقولون خشبه على الجمع غير الطحاوى قال على التوحيد وعن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه ومازال يوصينى بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن ومازال يوصينى بالمماليك حتى ظننت انه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا ومازال يوصينى بالسواك حتى حسبت ان يحفى فمى وروى كاد ومازال يوصينى بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتى لا ينامون ليلا وقد كان لمالك بن دينار جار يهودى فحول اليهودى مستحمه الى جدار البيت الذى فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة وكان مالك ينظف البيت فى كل يوم ولم يقل شيأ واقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودى من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك وانت صابر ولم تخبرنى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه فندم اليهودى واسلم وحسن اسلامه * وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كم من جار يتعلق بجاره يوم القيمة يقول يارب هذا اغلق بابه دونى فمنعنى معروفه * وعن ابى شريح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا لقد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يؤمن جاره بوائقه اى غوائله وشروره * وفى البيهقى عنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره * وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كف اذاك عنه واصبر على اذاه

فكفى بالموت مفرقا * وروى عن سفيان الثورى انه قال عشرة اشياء من الجفاء اولها رجل اوامرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والثانى رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه فى كل يوم مائة آية والثالث رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين والرابع شخص يمر على المقابر ولم يسلم على اهلها ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة فى يوم جمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة والسادس رجل اوامرأة نزل فى محلتهم رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شئ من العلم والسابع رجلان توافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل دعاه رجل الى ضيافة فاجابه ثم لم يذهب الى الضيافة والتاسع شاب يضيع شبابه ولم يطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه من طعامه شيأ * وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم انى اسئلك اربعة واعوذبك من اربعة فاما اللواتى اسئلك فانى اسئلك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتى واما اللواتى اعوذبك منهن فانى اعوذ بك من ولد يكون على سيدا ومن امرأة تشيبنى قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لى ووبالا على ومن جار ان رأى منى حسنة كتمها وان رأى سيئة افشاها * وكانت الجاهلية تشدد امر الجار ومراعاته وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره الجار القريب النسيب والجنب الذى لا قرابة بينك وبينه وقيل القربى المسلم والجنب الذمى وقيل القربى القريب المسكن منك والجنب بعيده * وروى البزار عن جابر مرفوعا الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو ادنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو افضل الجيران فاما الذى له حق واحد

فجار مشرك له حق الجوار واما الذى له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم ثم الجار يقع على الساكن مع غيره لقول الاعشى لزوجته اجارتنا بينى فانك طالقه * وعلى الملاصق وعلى اربعين دارا من كل جانب ففى البخارى فى الادب المفرد من قول الحسن البصرى وقد سئل عن الجار فقال اربعون دارا امامه واربعون دارا خلفه واربعون عن يمينه واربعون عن يساره ومثله للاوزاعى اه ويطلق الجار على من بالبلد مع غيره قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا * هنا تنبيه وهو انه اذا امر باكرام الجار مع الحائل بين الانسان وبينه فينبغى له ان يراعى حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذهما بايقاع المخالفات فى مرور الساعات فقد ورد انهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات فينبغى اكرامهما ورعاية جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصى فهم اولى بالاكرام من كثير من الجيران (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) الغنى والفقير بالبشر فى وجهه وبسط شئ تحته واجلاسه فى صدر المجلس وطيب الحديث معه والمبادرة الى احضار ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار باهله وفى كتاب المنتخب من الفردوس عن ابى الدرداء مرفوعا اذا اكل احدكم مع الضيف فليلقمه بيده فاذا فعل ذلك كتب له به عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها * وفى حديث قيس بن سعد من اكرام الضيف انه يضع له ما يغسل به حين يدخل المنزل ومن اكرامه ان يركبه اذا انقلب الى منزله ان كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين والجمع

لانه مصدر قال الله تعالى ان هؤلاء ضيفي * ولابن الجوزي
مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي بخل * لو ابصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا
وروى ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام
كان يكنى ابا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف
وكان لقصره اربعة ابواب واتفق له قضيتان متعارضتان
شكر في واحدة وادب في اخرى اما الاولى فهي انه عليه السلام
نزل به رجل من عبدة الاوثان فاكرمه فضجت الملائكة في السموات
وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم انا اعلم بخليلي منكم
ثم امر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملئكة فبكى وقال يا جبريل
تعلمت من مولاي لاني رأيته يحسن الى من يسيء واما الاخرى
فانه نزل به رجل من عبدة الاوثان فاستضافه فابى عليه الا ان
يترك دينه فانصرف فامر الله جبريل ان ينزل اليه فنزل اليه
وقال له يقول لك ربك استضافك عبدي فابيت الا ان يترك
دينه وانا ارزقه ثمانين سنة على شركه فبكى ابراهيم وقام يقفو
اثر الوثني الى ان لحق به فعرض عليه الرجوع فابى او يخبره بسبب
ذلك فقال له ابراهيم ان الله عاتبني فيك واخبره فبكى الوثني
وقال يا ابراهيم اسلمت لله رب العالمين ثم ان الامر بالاكرام
انما هو منوط بثلاثة ايام كما جاء مصرحا به في عدة اخبار وظاهرها
وجوب الضيافة وبه قال احمد وحملها الجمهور على انه كان في صدر
الاسلام ثم نسخ فانها كانت واجبة حين كانت المواساة واجبة
فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة او على
اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة الا انها تسقط عليهم
بالظلم او في المضطرين او مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض
الزكاة ثم ان الامر الندبي انما هو لمن عنده فاضل عن قوته

وفوت عياله أما غيره فلا ضمان عليه بل ليس له ذلك وأما خبر الانصاري الذي قد سلف في الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه (رواه البخاري) في الادب (ومسلم) في باب الحث على اكرام الجار والضيف من كتاب الايمان *

(الحديث السادس عشر)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا) ابهمه وقد جزم القسطلاني في شرح البخاري بان اسمه جارية بالجيم بن قدامة كما عند احمد وابن حبان اهـ ونازع فيه يحيى القطان والعجلي وغيرهما بانهم يقولون ان جارية تابعي لا صحابي وفي حديث الطبراني انه سفيان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي قولا انتفع به واقلل قال لا تغضب وفي حديث له آخر انه ابو الدرداء قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة * وفي حديث ابي يعلى ان ابن عمر قال قلت يا رسول الله قل لي قولا واقلل لعلي اعقله * وفي حديث احمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني من غضب الله زاد ابو كريب عن ابن عباس عن الترمذي ولا تكثر علي لعلي اعيه والظاهر كما قال الولي العراقي ان السائل عن ذلك تعدد (قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب) يحتمل ان المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب وافعل الاسباب التي تنفيه كالحلم والسخاء والحياء ويحتمل ان المراد لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع في الانسان (فردد) اي كرر السائل السؤال (مرارا) وقع في رواية عثمان بن ابي شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فافصح فيها ببيان عدد المرار وكانه لم يقتنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ منها وانفع فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها واعادها له حيث (قال) له ثانيا وثالثا (لا تغضب)

تنبيهاً له بتكرارها على عموم نفعها لما فيها من جلب المصالح ودرء المفاسد فهو كما قال له العباس علمني دعاءً ادعو به يا رسول الله فقال سل الله العافية فعاوده مراراً فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة أعطيت كل خير وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا فاني اتلو عليكم ثلث القرآن فاجتمعوا فتلا عليهم سورة الاخلاص ثم دخل منزله فاقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القرآن فخرج عليهم فقال ما تنتظرون اما انها تعدل ثلث القرآن يعني سورة الاخلاص قيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية لانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر كل احدٍ بما هو أولى به * وروى انس ان رجلاً قال يا رسول الله ما اشد من كل شئ قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب والغضب فوران دم القلب وغليانه وقيل تغير يتبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام والغيظ اصل الغضب وكثيراً ما يتلازمان وقيل بالفرق بينهما وهو ان الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه يظهر على الجوارح مع فعل ما ولا بد وقد خلق الله الغضب من النار فمهما نوزع في غرضٍ من اغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فوراناً يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعلى البدن ارتفاع الماء في القدر ثم ينصب في الوجه والعينين حتى يحمرا منه اذ البشرة لصفائها كالزجاجة تحكي ما وراءها من لون الدم هذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان كان على من فوقه وآيس من الانتقام منه انقبض الدم الى جوف القلب وكمن فيه وصار حزناً فاصفر اللون فان كان على من يساويه الذي يشك في القدرة عليه

تردد الدم بين انبساط وانقباض فيحمر لونه تارة ويصفر اخرى والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارجه الى داخله ولذلك يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام والحادث عن الحزن المرض والاسقام ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن والرعدة فى الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصورة حتى لو رأى الغضبان نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته * وعن ابن عباس فى قوله عز وجل فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اشدكم من غلب على نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وفى البخارى ان ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى ادفع بالتى هى احسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى اى الحور شاء * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى اجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح الراء المهملتين الذى يكثر صرع الناس * وقال عمر رضى الله من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة

ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك
وقالت ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد وردان اوس
ابن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة في حال غضبه
واجتمع سفيان الثوري وابو خيثمة اليربوعي والفضيل
ابن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان افضل الاعمال
الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع * وقال ابن المبارك
كنت عند المنصور جالسا فامر بقتل رجل فقلت يا امير المؤمنين
اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ بين يدى الله تعالى من كانت
له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفا عن ذنب
فامر باطلاقه * وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول
لا يوجد العجول محمودا ولا المغضوب مسرورا * وعن ابي
الحسن المدائني انه قال لقي رجل حليما فضربه على قدمه ضربة
موجعة فلم ير للغضب فيه اثر فقيل له في ذلك فقال اقمت
ضربته مقام حجر اعثر به * وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ
عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كالارض اذاهم عليها
ومنا فعهم منها * وعن ميمون بن مهران ان جاريته جاءت
ذات يوم بصحفة فيها مرق حار وعنده اضياف فعثرت
فصبت المرق على رأسه فاراد ميمون ان يضربها فقالت الجارية
يا مولاي اعمل بقول الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد
فعلت فقالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت
عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون قد احسنت
فانت حرة لوجه الله تعالى ولك الف درهم * وعن عبد الرزاق
قال صبت جارية لعلي بن الحسين الماء ليتهيأ للصلاة فسقط
الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين
رأسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين

الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى * وحكي عن بعض الملوك انه كتب في ورقة ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ويل لحاكم الارض من حاكم السماء اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الي فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه * وحكي عن بعض الصلحاء انه رأى رجلا حمالا ذا قوة شديدة محمرا وجهه مزبدا شدقاه معربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل انه شتمه شخص فقال الصالح واعجبا هذا الشخص يقدر ان يحمل حملا ثقيلا ولا يطيق ان يحمل كلمة * وكان الشعبي مولعا بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضى * انما الاحلام في حين الغضب

وكان معاوية رضي الله عنه من احلم العرب ومن ثم كان يقول ما غضبي على من اقدر عليه ومن لا اقدر عليه اي ان الغضب تعب محض لا فائدة فيه لان المؤذي لي ان قدرت عليه عاقبته ان شئت بلا غضب والا كان مجرد الغضب محض تعب لانه وحده لا يشفي فلا فائدة فيه على كل تقدير والمراد ما تعاطيت اسبابه ولا دفعته لانه جبلي * وحكي عن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه لما قيل له خذها ولا تخف لف كمه على يده وتناولها فقيل له لو اذن الله عز وجل فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكني عبد ضعيف ومن ضعف خاف * وكان معروف العجلي يقول ما تكلمت في غضبي بما اندم عليه اذا رضيت وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت حرمات الله لا يقوم لغضبه شيء

حتى ينتصر الحق وكان بين عينيه عرق يدره اى يظهره الغضب * وقد كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتغلب فى كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل بعدما رأوا من الآيات العظام فاخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه * ويحكى ان الخضر لما خرق السفينة غضب موسى واخذ برجل الخضر ليلقيه فى البحر حتى ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذى فر بثوبه حياء من ان يرى عريانا لانه كان كثير الحياء ستيرا فآذاه جماعة من بنى اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا التستر الا لعيب فى جسده اما برص او أدرة وهى كبر الانثيين فانطلق ذات يوم يغتسل فى عين حبار من الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى يقول ثوبى حجر حتى انتهى الى ملاء من بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وكانت بنو اسرائيل تغتسل عراة يرى بعضهم سوءة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان الحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا لان الله خلق فيه حياة فصار كدابة نفرت من راكبها ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشرى حتى لف كمه على يده حين اخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه ياء النداء وثوبى منصوب بفعل مضمر التقدير اعطنى ثوبى او اترك ثوبى فحذف الفعل لدلالة الحال عليه فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل اجيب لانه صدر عنه فعل من يعقل واما ما ورد من انه لما جاءه ملك الموت وقال له اجب ربك لطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه فى صورة لا يعرفها وقيل المراد بفقء العين هنا المجاز يعنى انه ناظره وحاجه

فغلبه موسى بالحجة وضعف لقوله فرد الله عليه عينه لانه وقع فى
الرواية ان الملك رجع الى الله وقال انك ارسلتنى الى عبد لك
لا يريد الموت وفقا عينى فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدى
فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع يدك على متن اى ظهر
ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم
ماذا قال الموت قال فالآن من قريب قال رب ادننى من الارض
المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انى عنده
لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وهب
خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا
لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة
والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا
لعبد كريم على ربه فقال ان لهذا العبد عند الله لمنزلة ما رأيت
كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفى الله اتحب ان يكون
لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه ففعل وتوجه الى
ربه ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة
وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه
وكان عمره مائة وعشرين سنة * بعث هارون الرشيد
ليلا الربيع الى الشافعى ليهجم عليه من غير اذن وقال له اجب
فقال الشافعى فى مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك امرت
فخرجت معه فلما صرت بباب الدار قال لى اجلس ودخل فقال
له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال احضرته قال ادخله
فادخلنى فتأملنى ثم قال يا محمد ارعبناك فانصرف راشدا
يا ربيع احمل معه بدرة دراهم فلما خرجت قال للشافعى الربيع
بالذى سخر لك هذا الرجل ما الذى قلت فانى احضرتك وانا ارى
موضع السيف من قفاك فقلت سمعت مالك بن انس يقول

سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يوم الاحزاب فكفي وهو اللهم اني اعوذ بك بنور قدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا يطرق بخير اللهم انت غياثي فبك اغوث وانت عياذي فبك اعوذ وانت ملاذي فبك الوذ يا من ذلت اليه رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة اجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا انت تعظيما لوجهك وتكريما وتشريفا لسبحان عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخير يا ارحم الراحمين * وفي رواية عن الفضيل بن الربيع صاحب هارون ان الشافعي قال له قلت شهد الله انه لا اله الا هو اللهم اني اعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا ارحم الراحمين اللهم بك ملاذي قبل ان الوذ وبك غياثي قبل ان اغوث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري اشهد ان لا اله الا انت اضرب علي سرادقات حفظك وقني وخفني برحمتك يا رحمن قال الفضيل فكتبتها وجعلتها في ردائي وكان الرشيد كثير الغضب علي وكان كلما هم ان يغضب حركتها في وجهه فيرضى * واعلم ان الغضب له دواء مانع ودواء رافع فالمانع بذكر فضيلة الحلم وما جاء في كظم الغيظ من الفضل وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بان يستعيذ من الشيطان ويتوضأ ويغتسل بالماء البارد لانه من الشيطان والشيطان من النار والنار يطفئها الماء وان غضب وهو قائم قعد او اضطجع

واقوى الاشياء في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد انه لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات ووسائط كبرى وهي من له عقل واختيار كالانسان وصغرى وهي ما انتفيا عنه كالعصى المضروب بها ووسطى وهي من فيها الثاني فقط كالدواب ومن ثم قال انس خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى (رواه البخاري) في الادب وهو من جوامع كلمه التي خص بها ولهذا قال ابن السني جمع في هذه اللفظة خير الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر)

(عن ابي يعلى) وقيل ابي عبد الرحمن (شداد) بالتشديد (ابن اوس) بفتح فسكون فمهملة ابن ثابت بن المنذر بن حرام ابن عمرو بن زيد مناه ابن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري وهو ابن اخي حسان بن ثابت قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدري والده وكان شداد اذا دخل الفراش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد اسهرتني واذهبت عني النوم ثم يقوم يصلي حتى يصبح وكان يقول انكم لم تروا من الخير الا اسبابه ولم تروا من الشر الا اسبابه الخير كله بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ولكل بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا وروى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اكنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم اني اسئلك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد

وَاَسْئَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَاَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَاَعُوذُبِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَاسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ وعن ابى الدرداء انه كان يقول ان لكل امة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد بن اوس وان من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وان ابا يعلى قد اوتى علما وحلما قال ابن سعد نزل شداد فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى واربعين وقيل سنة اربع وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة ولما حضرته الوفاة قال ان اخوف ما اخاف على هذه الامة الرياء والشهوة الخفية (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب) اى اوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام اوطلب والاول هو موضوع كتب عند اكثر الفقهاء والاصوليين والثانى اولى لان الاحسان تارة يكون واجبا كقطع الحلقوم والودجين فى الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة (الاحسان) مصدر احسن اذا اتى بالشئ حسنا وهو ما حسنه الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة بان يأتى بها على الوجه المرضى بان يوقع الفعل على سنن الشرع لا مجرد الانعام على الغير لان الاول اعم نفعا واكثر فائدة لان الاحسان فى الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره (على) فعل (كل شئ) الاولى كما قال القرطبى وغيره ان على هنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اى فى ملكه ويقال كان كذا على عهد فلان اى فى عهده ويحتمل ان تكون بمعنى الى والا فظاهره ان كل شئ هو المكتوب عليه الاحسان ويحتمل انها على بابها والتقدير كتب الاحسان فى الولاية على كل شئ او ان المراد بالشئ المكلف اى كتب الاحسان على كل مكلف وقوله على كل شئ قضية كلية مسورة بكل

شاملة لجميع جزئيات الدين فالاحسان الى نفسه ان لا يوردها موارد السوء ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهينها بشفاء غيظ ولذلك الهم سبحانه مخلوقاته بالاستغفار للعلماء فان لهم بمثل فعلهم لقوله عليه السلام ان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وما في التنزيل والملائكة يسبحون بحمد ربهم والى اهله ان يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقول والى خدمه بان لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم والى اخوانه ان لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم ويحمل آذاهم ويكرم مثواهم والى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ان يؤمن بهم وبما جاؤا به عن ربهم وان يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وانهم صفوة الله وخلص عباده والى سائر الناس ان يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وارشاد سبيل الخيرات واجتناب المنكرات والدعاء لعدلتهم بالتوفيق ولكفارهم بالهداية والى الملائكة ان يؤمن بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وان يحسن عشرة الحفظة منهم بان لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون والى الجن ان اتفق ظهورهم بان يدعوهم الى الخير وترك الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم ككفار الانس بالاسلام وقد اكرمهم الشارع واقراهم بان جعل العظم زادهم والروث لدوابهم ولنا فيه اسوة حسنة والى الحيوان بان لا يجيعه وان لا يعطشه ولا يضربه بغير جرم ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة الا لحاجة وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رأى في النار

امرأة حميرية سوداء طويلة تعذب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض حتى ماتت وانه تلك الهرة تنهشها فى قبلها ودبرها اذا اقبلت تنهشها واذا ادبرت تنهشها وخشاش الارض بمعجمات حشراتها وقال ابو سليمان الدارانى ركبت مرة حمارا فضربته مرتين اوثلاثا فرفع رأسه ونظر الى وقال يا ابا سليمان القصاص يوم القيمة فان شئت فاقلل وان شئت فاكثر قال فقلت لا اضرب شيأ بعدهم فمن احسن من ذلك كله فقد اوتى خيرا كثيرا ووقى شرا كبيرا وقوله على كل شئ قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف به القتل والذبح اما لان سبب الحديث الذى هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون فى القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان واما لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففى غيرهما اولى فقال (فاذا قتلتم) قصاصا وحدا اذ لا قتل فى الشرع غير ذلك (فاحسنوا) يستثنى منه قتل قاطع الطريق بالصلب والزانى المحصن بالرجم لورود النص بذلك قيل ونحو حشرات وسباع والفواسق الخمس لانها موذية وقد خرجت بالنص فلا حظ لها فى الاحسان وفيه نظر اذ جواز قتلها او وجوبه لا ينافى احسان كيفيته (القتلة) بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة بكسر الجيم والراء هيئة الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتلة اختيار اسهل الطرق واخفها ايلاما واسرعها ازهاقا واسهل وجوه قتل الآدمى ضربه بالسيف فى العنق ولذا يكره قتل القمل والبق والبراغيث

وسائر الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفي الحديث لا يعذب
بالنار الا رب النار قال الجزولي وابن ناجي وهذا ما لم
يضطر لكثرتها فيجوز حرق ذلك بالنار لان في تتبعها بغير
النار حرجًا ومشقة ويجوز نشرها للشمس قال الاقفهسي
وقتلها بغير النار بالعفص والعرك جائز لقوله صلى الله عليه وسلم
وقد سئل عن حشرات الارض تؤذى احدًا فقال ما يؤذيك
فلك اذيته قبل ان يؤذيك وما خلق للاذاية فابتداؤه للاذاية
جائز (واذا ذبحتم) ما يحل ذبحه من البهائم (فاحسنوا الذبحة)
بالكسر اى هيئة الذبح وجاء في بعض الروايات فاحسنوا الذبح
بفتح الذال وبكسرها وهو المصدر وهي التي في اكثر نسخ صحيح مسلم
فلا تؤكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر
معها واحسان الذبح في البهائم الرفق بها فلا يصرعها بعنف
وايضاح المحل بان يأخذ بيده اليسرى جلد حلقها من لحيها
الاسفل بالصوف او غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة
وضجع ما يراد ذبحه على شقه الايسر لانه اسكن للذابح حيث
كان يفعل باليمين اكثر او كان اضبط وهو الذي يفعل بيديه
جميعًا واما الاعسر فيضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر
وقطع الحلقوم والودجين ويكون ذلك من المقدم لا من القفا
(وليحد) بسكون اللام للامر وبضم الياء من احد وبفتحها من حد
(احدكم شفرته) بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهي السكينة العريضة
واصل الشفرة حد السكين وشفرة السيف حده وشفير جهنم
حرفها وشفير الوادي طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن
وحينئذ فتسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشيء باسم
جزئه والاحداد واجب في الكالة ومندوب في غيرها وينبغي
مواراتها عنها في حال احدادها فقد روى الخلال والطبراني

انه صلى الله عليه وسلم مرّ برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحدّ شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها قال افلا قبل هذا تريد ان تميتها موتات هل لاحد ذت شفرتك قبل ان تضجعها وعن مالك انّ عمر رأى رجلاً يحدّ شفرته وقد اخذ شاةً ليذبحها فضربه بالدرّة وقال اتعذب الروح الا فعلت هذا قبل ان تأخذها وقد نهى عليه السلام عن صبر البهائم ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً (وليرح) بضم المثناة تحت (ذبيحته) بسقيها عند الذبح واضجاعها بمكان سهل غير وعر وتعجيل امرار السكين عليها بقوة ليسرع موتها وبالامهال بسلخها حتى تبرد وان لا يحد السكين بحضرتها كما مرّ ولا يجرّها من موضع لآخر فقد روى ابن ماجه انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يجرّ شاةً باذنها فقال دع اذنها وخذ بسالفتها اى وهو مقدّم العنق * وروى عبد الرزاق عن الوضين بن عطاء انّ جزّاراً فتح باباً على شاةٍ ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبىّ صلى الله عليه وسلم فاتبعها فأخذ يسحبها برجلها فقال لها النبىّ صلى الله عليه وسلم اصبرى لامر الله وانت يا جزّار فسقها الى الموت سوقاً رفيقاً * وروى عن عمر انه رأى رجلاً يجرّ شاةً برجلها ليذبحها فضربه بالدرّة وقال قدها للموت قوداً جميلاً * وعن الامام مالك جواز جرّها الى مذبحها * وعن ابى الحسن انه يكره ذبح شاةٍ واخرى تنظر سيما بنتها او امها فعن نوف البكالى انّ صيدنيقاً ذبح عجلةً بين يدى امه فخبل وفى رواية فيبست يده فبينما هو تحت شجرة وفيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض ففتح فاه وجعل يصى فرحمه واخذه واعاده لوكره فردّ الله اليه عقله او يده كما كانت * ومن الاحسان اليها ان لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب واقفةً الا لحاجة ولا يحلب

منها ما يضر بولدها ولا يشوى السمك والجراد حتى يموت والذبيحة
فعيلة بمعنى مفعولة اى مذبوحة باعتبار ما يؤل اليه وتاؤها
للنقل من الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل
مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل اكتفاء بتأنيث
الموصوف فقالوا امرأة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا
الموصوف اثبتوا التاء فقالوا قتيلة بنى فلان وذبيحتهم لعدم
دال على التأنيث حينئذ ويعرب حينئذ اسما لا صفة فاتضح
ان التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص
على العام لان احداد الشفرة واراحة الذبيحة من جملة الاحسان
اليها الا انه خصه بالذكر لبيان فائدته اذ الذبح بآلة كالة يعذب
الذبيحة وربما ادى ذلك لتحريمها لعدم حصول الذكاة الشرعية
(رواه مسلم) وكذا الامام احمد واصحاب السنن الاربعة وهو
من قواعد الدين العامة

(الحديث الثامن عشر)

(عن ابى ذر) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جندب
ابن جنادة) بضم الجيم فيهما وتثليث دال الاول وقيل اسمه
برير بضم الباء الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب
ابن عبد الله وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن
جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار
ابن مليل بن حمزة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
قاله ابن الكلبى ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو
ابن مليل بن صعير بن حرام بن غفار وتواضعه وزهده
مشبهان فى الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده
وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما

ويتوجّه اينما وجهه الله فانطلق هو واخوه انيس حتى نزلا بحضرة
مكة فذهب اخوه وابطا عليه ثم جاء فقال له ما حبسك قال لقيت
رجلا يزعم انه ارسله الله على دينك فقال له ما تقول الناس فيه
قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان
فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم
والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له ابو ذر هل انت
كافي حتى انطلق فانظر قال نعم وكن من اهل مكة على حذر فانطلق
ابو ذر حتى قدم مكة فلقى رجلا فقال له اين هذا الرجل الذى
تدعونه الصابى فاغرى عليه من عنده فمالوا عليه بكل مدرة
وعظم حتى اذموه وخر مغشيا عليه فلما افاق اتى زمزم فشرب
من مائها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة واستارها ولبث
ثلاثين بين يوم وليلة ماله طعام الا ماء زمزم وسمن حتى
تكسرت عكن بطنه وما وجد جوعا فى تلك المدة فبينما اهل
مكة فى ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امرأتين فاتيا عليه وهما
يدعوان اسافا ونائلة فقال انكحا احدهما الآخر فانطلقا يولولان
ويقولان لو كان ههنا احد من انفارنا فاستقبلهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما
قالت الصابى بين الكعبة واستارها قال ما قال لكما قالتا
قال لنا كلمة تملأ الفم قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه
حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى فاتاه واسلم على يديه وهو
اول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة الله
ممن انت فقال ابن غفار واخبره بمقامه بين الكعبة واستارها
تلك المدة فقال له فمن كان يطعمك فقال له ما كان لى طعام
الا ماء زمزم فقال ابو بكر ائذن لى يا رسول الله فى طعامه الليلة
فاذن له وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهو معهما

حتى

حتى فتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لهما من زبيب الطائف فكان
ذلك اول طعام اكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى وجهت الى ارض ذات نخل فلا احسبها الا يثرب فهل
انت مبلغ عنى قومك لعل الله عز وجل ان ينفعهم بك فيأجرك
فيهم فانطلق حتى اتى اخاه انيسا فقال له ما صنعت فاخبره
بانه اسلم وصدق فاسلم اخوه انيسا وصدق ثم اتيا امهما
فاسلمت وصدقت ثم اتوا قومهم غفار فاسلم بعضهم قبل
ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم
اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسلم بقيتهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ولما امره
صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومه قال والذى نفسى بيده
لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد ونادى
باعلى صوته اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقام القوم وضربوه حتى اضجعوه واتى العباس فاكب عليه
وقال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى
الشام عليها فانقذه منهم ثم عاد من الغد مثلها وثاروا اليه
فضربوه فاكب عليه العباس فانقذه روى عنه انه قال
انا رابع اربعة فى الاسلام ويقال كان خامس خمسة وبعد ما
رجع الى بلاد قومه اقام فيها حتى مضت بدر واحد والخندق
ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة احاديث
بانه اصدق الناس لهجة وفى رواية ما اظلت الخضراء اى السماء
ولا اقلت الغبراء اى حملت الارض اصدق لهجة من ابى ذر
وقال على فى حقه وعاء ملئ علما ثم اوكى عليه فلم يخرج منه
شئ حتى قبض * وروى ان رجلا من اهل البصرة ركب

الى زوجة ابى ذر بعد موته فسالها عن عبادته فقالت كان
نهاره اجمع فى ناحية يتفكر وقام يومًا عند الكعبة فقال يا ايها
الناس انا جندب الغفارى هلموا الى الاخ الناصح الشفوق
فاكتنفه الناس فقال ارايتم لو ان احدكم اراد سفرًا اليس
يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق
القيامة ابعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا
قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يومًا شديدًا حره
لطول يوم النشور وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور
وكلمة خير تقولونها او كلمة سوء تسكتون عنها الوقوف يوم عظيم
تصدق بمالك لعلك تنجو اجعل الدنيا مجلسين مجلسًا فى
طلب الحلال ومجلسًا فى طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك
لا تزده اجعل المال درهمين درهمًا تنفقه على عيالك من حله
ودرهمًا تقدمه لآخرتك والآخر يضرك ولا ينفعك لا تزده
ثم نادى باعلى صوته يا ايها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه
ابدًا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك
ابطأ جمله لما فيه من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش
فاخذ متاعه وحمله على ظهره وسار حتى ادرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم نازلًا بالجيش وكانوا قيل وصوله قالوا يا رسول
الله تخلف ابو ذر وابطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه
خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله
منه فلما اشرف على القوم قالوا يا رسول الله ان هذا الرجل
يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كن ابا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله ابو ذر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشى وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وكان فى صدر الاسلام يجب

على الشخص إنفاق ما فضل عن الحاجة في اليوم والليلة ثم نسخ ذلك
وكان ابو ذر يرى بقاء الوجوب وان ما زاد عن حاجة اليوم والليلة
لا يجوز ادخاره وانه من الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين
يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ينادي به في الاسواق
في الشام لانه خرج اليها بعد موت ابي بكر فنهاه معاوية فلم يمتثل
فشكاه الى عثمان ودس عليه معاوية رجلا بالف دينار وقال
له الامين اي معاوية ارسل لك هذه ففرقها جميعا ولم يبت
عنده منها شيء ثم حضر له ذلك الرجل بامر معاوية وقال اني غلطت
في اعطائي لك الالف دينار وانما ارسلني لغيرك وانا اخشى
ان يعاقبني معاوية على ذلك فقال له يا هذا والله ما امسى
عندنا من دراهمك شيء ولكن اصبر حتى يصير عطاؤنا
ندفع ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له ان يقدم عليه فقدم فقال
له ان شئت تنحيت فكنت قريبا فاجابه ونزل بالربذة ولما حضرته
الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا ابكي
وانت تموت بفلاة من الارض ولا يدان لي بنعشك وليس
معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وابشري فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأتين
مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان
النار ابدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر
انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة
من المؤمنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية
وجماعة واني انا الذي اموت بفلاة من الارض والله ما كذبت
ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت اني وقد ذهب الحاج
وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت اسند الى الكثيب
فاقوم عليه ثم ارجع اليه فامرضه قالت فبينما انا كذلك

اذا انا برجال على رواحلهم كانهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا ما لك يا امة الله فقلت امرأ من المسلمين تكفنونه فانه يموت قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت ففدوه بآبائهم وامهاتهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار ابدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد هلك في قرية وجماعة وانا الذي اموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا او لامرأتي ثوب يسعني كفنا لم اكفن الا في ثوب هو لي او لها واني انشدكم الله لا يكفني منكم رجل كان اميرا او عريفا او بريدا او نقيبا قالوا وليس من القوم احد الا وقد قارف من ذلك شيئا الا فتى من الانصار قال انا اكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين من عيبتي من غزل امي قال فكفني انت فكفنه الانصاري ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه وفي رواية اخرى انه اوصى زوجته وغلامه في مرضه ان يغسلاه ويكفناه ويجعلاه على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكما فقولا له هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك واقبل عبد الله بن مسعود في رهط من اهل الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطأوها فقام اليهم الغلام وقال هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه
وصلوا عليه وواروه روى له مائتا حديث وآحد وثمانون حديثاً
اتفقا منها على اثني عشر وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة
عشر (وابي عبد الرحمن معاذ بن جبل) ابن عمرو بن اوس بن عائذ
ابن عدي بن كعب بن عمرو بن ادي الانصاري المدني اسلم
وعمره ثمان عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وردفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراءه وبعثه الى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج معه
يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي
فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان تلقاني بعد عامي هذا ولعلك
تمر بمسجدي هذا وقبري فبكى معاذ * وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن
جبل * وعن ابي مسلم الخولاني انه قال اتيت مسجد دمشق
فاذا حلقة فيها كهول من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا بشاب فيهم اكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء
ردوه الى الفتى قال فقلت لجليس لي من هذا قال معاذ بن جبل *
وعن شهر بن حوشب ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم في الحديث
الثالث عشر ذكر زهده وفعله في الدنانير التي ارسل بها سيدنا
عمر اليه * وروى ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال يا امير المؤمنين اني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي
حبلى فشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن جبل يا امير
المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل
فاتركها حتى تضع فتركها فولدت غلاما قد خرجت ثنيته فعرف
الرجل الثنية فقال ابني ورب الكعبة فقال عجزت النساء

٢ بن عائذ صح

ان يلدن مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر وكان تحته امرأتان
فاذا كان عند احداهما لم يشرب الماء من بيت الاخرى ثم توفيتا
في السقم الذى اصابهم بالشام والناس في شغل فدفنتا في
حفرة فأسهم بينهما ايتهما تقدم فى القبر وكان اذا تهجد من
الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وانت حى قيوم
اللهم طلبى للجنة بطئ وهربى من النار ضعيف اللهم اجعل
لى عندك عهدا ترده الى يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد *
وقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ انى لاحبك فقال وانا احبك
والله يا رسول الله قال فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم
اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يأتى معاذ يوم
القيمة بين يدى العلماء برتوة اى برمية سهم وقيل بحجر وقيل
ميل وقيل مد البصر * وروى ابن مسعود قال ان معاذا
كان امة قانتا لله حنيفا فقال له فروة بن نوفل يا ابا عبد الرحمن
ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيته هل تدرى
ما الامة وما القانت قال الله اعلم قال الامة الذى يعلم الناس
الخير والقانت المطيع لله عز وجل والرسول وكان معاذ بن
جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله وجاءه رجل
وقال علمنى فقال وهل انت مطيعى قال انى على طاعتك لحريص
قال صم وافطر وصل ونم واكتسب ولا تأثم ولا تموتن الا
وانت مسلم واياك ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بنى
اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن انك تعود اليها ابدا
واعلم يا بنى ان المؤمن من يموت بين حسنتين حسنة قدمها
وحسنة اخرها ولما اصيب ابو عبيدة فى طاعون عمواس استخلف
معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله
ان يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجز ولكنه رحمة ربكم

ودعوة نبيّكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده ايها الناس خافوا ما هو اشدّ من ذلك ان يغدو الرّجل منكم من منزله لايدرى امؤمن هو ام منافق وخافوا امارة الصبيان اللهمّ آتِ آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا ابانا الحقّ من ربك فلا تكوننّ من الممترين وانا ستجدانى ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرآتاه فهلكتا وطعن هو فى ابهامه فجعل يمسّها بفيه ويقول اللهمّ انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك فى الصغير حتى هلك وانما نسب الطاعون الى عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت المقدس لانه اوّل ما بدأ منها (رضى الله عنهما

انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله) الامر لراويه اولكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعمّ كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون آخر (حيثما كنت) حيث ظرف مكان يضمها للجمل والمراد بها هنا التعميم اى فى اىّ مكان واىّ حال كنت فيه وقيل انها ظرف زمان اى بناءً على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة اعمّ منها فى جميع الامكنة لانّ الثانى يصدق على ما اذا حصل منه تقوى ومعصية فى المجلس الواحد بخلاف الاوّل وما زائدة بشهادة رواية حذفها وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فانّ التقوى وان قلّ لفظها كلمة جامعة بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بقدر الامكان ومن ثمّ شملت خير الدارين اذ هى تجنّب كلّ منهىّ عنه وفعل كلّ مأمور به * وسئل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن التقوى فقال هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل * وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرّم الله واداء ما افترضه الله فما رزق الله بعد ذلك

فهو خير الى خير * وقيل تقوى الله ان لا يراك حيث نهاك
ولا يفقدك حيث امرك ولهذا قال بعضهم لشخص اذا اردت
ان تعصى الله فاعصه حيث لا يراك او اخرج من داره او كل
غير رزقه * وقال بعضهم من علامة التحقق بالتقوى ان
يأتى المتقى رزقه من حيث لا يحتسب واذا اتاه من حيث يحتسب
فما تحقق بالتقوى فانه قيل فى تفسير قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اى فمن يتق الله
فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقيل من
يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يجعل له مخرجا
بخروجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار
الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو * وقال
سهل بن عبد الله ومن يتق الله باتباع السنة يجعل له مخرجا من
عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل
ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد * وقال
ابن عباس مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن
شدائد يوم القيمة * وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى عوف
ابن مالك الاشجعى اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة اليه وقال ان العدو اسر
ابنى وجزعت الام فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق
الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرنى واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو
عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة
فنزلت الآية وفى رواية انه اصاب ابلا من العدو خمسين بعيرا

وفي اخرى فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه ليسرح لهم فاستاقها وقال مقاتل انه اصاب غنما ومتاعا * وكتب عمر لابنه اما بعد فانى اوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن اقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك * ولما ولى على رضى الله عنه بعث رجلا على سرية فقال اوصيك بتقوى الله الذى لابد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهو يملك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد اوصني فقال اوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج اوصني قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفي منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية قال اوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين وهى قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله * وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ولبعضهم رضى الله عنهم

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقى

وجاءت فى القرآن لمعان الايمان نحو قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى اى التوحيد والتوبة نحو قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اى تابوا والطاعة نحو قوله تعالى ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وانا ربكم فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اى لا تعصوه والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب والخشية نحو قوله تعالى اعبدوا الله واتقوه اى اخشوه * ولبعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ولابى الدرداء رضى الله عنه

يود المرء لو يعطى مناه * ويأبى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله افضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار فقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يرانى فسمع هاتفا بصوت ملأ الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * وراود شخص اعرابية وقال لا يرانى الا الكواكب فقالت له اين مكوكبها (واتبع) بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة الحق (السيئة) الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الخبر والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ملجأ لقصره على الصغيرة كما فعل الشارح الهيتمى الا انه فر من اعتقاد المرجية من ان كل حسنة تكفر السيئة كبيرة او صغيرة واصل سيئة سيوئة فقلبت الواو ياء وادغمت فى الاخرى (الحسنة) صلاة او صوما او صدقة وان قلت او تسبيحا او تهليلا او استغفارا او غير ذلك (تمحها) اى السيئة المثبتة فى صحف الكاتبين وذلك لان المرض والشئ يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا للامر والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها اى واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد ثبات وجه المطلوبة ان امكن والا فقال ينبغى ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالا وان لم تحصل توبة

والعبادات وان لم تحصل توبة ايضًا وقد ورد ان رجلاً يسمّى بنهان التمار وكنيته ابو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرًا فجاءته امرأة اجنبية حسناء تشتري منه تمرًا فقال لها انّ داخل الحانوت ما هو خير من هذا فلمّا دخلت اصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضمّ والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اصبت حدًّا فاقمه عليّ فاعرض عنه فقال له عمر لقد سترك لو سترت نفسك ثم كرر ذلك بنهان مرارًا وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءًا حسنًا فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتطهر فيحسن الطهر ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة * وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلاً اصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله عز وجل اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل الي هذا قال لجميع امتي كلهم عظة لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة * وروي ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ألممت بذنب عظيم فماذا يكفر عني فقال ذنبك اعظم ام السموات فقال ذنبي اعظم فقال ذنبك اعظم ام الكرسي فقال ذنبي اعظم فقال ذنبك اعظم ام العرش فقال ذنبي اعظم فقال ذنبك اعظم ام الله اي عفوه قال بل عفو الله اعظم فقال عليه الصلاة والسلام

عليكَ بالجهاد فى سبيل الله تعالى فقال يا رسُولَ الله انى لمن اجبن
الناس ولولا انّ اهلى تونسنى اذا خرجتُ ليلاً ماكنتُ افعله قط
فقال عليك بالصّيام فقال والله يا رسُولَ الله ما اشبع من خبز
قطّ فقال له عليك بالصّلاة فى جوف الليل فقال يا رسول الله
لولا انّ اهلى يوقظونى لصلاة الصّبح ما قمتُ لها فتبسّم صلّى الله
عليه وسلّم حتى بدت نواجذه ثم قال عليكَ بكلمتين خفيفتين
على اللسان ثقيلتين فى الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله
وبحمده سبحانَ الله العظيم ففعل فلا تعجز ايّها المسكين اذا
اتيتَ سيّئةً بقلبك اوجوارحك ان تتبعها حسنةً من صلاة (اولسانك ه)
اوصدقة وان قلّت اوذكرٍ ولو بالباقيات الصّالحات سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبحانَ الله وبحمده سبحانَ
الله العظيم فانها احبّ الكلام الى الله وحبيبٌ الى الرحمن وخفيف
على اللسان وثقيل فى الميزان * رُوى عن منصور بن عمّار
انه قال كانَ فتًى من الانصار يقال له ثعلبة وكانَ يخدم
رسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم انه ذاتَ يومٍ مرّ بباب رجلٍ من
الانصار فاطّلع عليه فوجد امرأته تتمثّل فكرّر النظر اليها بعينه
ثم خاف ان ينزل الوحى على رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما اصبح
خرج هاربًا من المدينة استحياءً من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى
اذا القى جبلاً بين مكة والمدينة فنزل جبريل على النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم وقال يا محمّد انّ الهاربَ من امتك بين الجبال يتعوّذ
منَ النار فبعث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عمر بنَ الخطّاب وسلمان
الفارسىّ رضى الله عنهما واتيا بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا
راعٍ من رعاة المدينة فقال يا عمرُ لعلّك تريدُ الهاربَ من جهنّم
فقال عمرُ وما علمك بانه هاربٌ من جهنّم قال لانه اذا كانَ نصف
الليل خرج علينا من هذا الشعب واضعًا يده على ام راسه وهو

يبكي وينادى ليتك قبضت روحى مع الارواح وجسمى مع الاجسام فقال عمر اياه اريد فانطلق بهما حتى اذا كان فى بعض الليل خرج عليهما وهو ينادى ياليتك قبضت روحى مع الارواح وجسمى مع الاجسام فغدا عمر اليه فلما سمع حسه قال الامان الامان متى الخلاص من النار فقال له عمر اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لماذا فقال لا ادرى الا انه ذكرك بالامس فبكى وارسلنى اليك فقال يا عمر لا تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلى او بلال يقول قد قامت الصلاة قال افعل فلما اتى عمر الى المدينة واتى به المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فلما سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن قالا هو ذا يا رسول الله فقال ما الذى غيبك عنى قال ذنبى يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم افلا اعلمك كلمات ان الله يغفر الذنوب والخطايا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال ذنبى اعظم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم بل كلام الله اعظم ثم امره بالانصراف الى منزله فانصرف فلما ان انصرف مرض ثلاثة ايام واتى سلمان الفارسى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ثعلبة يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ رأسه ووضعه فى حجره فازاله عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد قال مثل دبيب النمل بين جلدى وعظمى فنزل جبريل فقال يا رسول الله يقول الله لو لقينى بقراب الارض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة فاعلمه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فصاح صيحة ثم غشى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله وكفنه

وصلى عليه ثم احتمل الى قبره فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على اطراف اناملة فقالوا يا رسول الله رايناك تمشي على اطراف اناملك فقال لم استطع ان امشي على الارض من كثرة اجنحة الملائكة وظاهر قوله تمحها انها تزال حقيقة من الصحيفة وهو المتبادر الى الفهم لان الاصل الحقيقة وجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة مع بقائها في الصحيفة وهو تجوز يحتاج لدليل وظاهره ايضا ان الحسنة وان كانت بعشر امثالها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف لا يمحو شيئا وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيئات لما اخرجه الطبراني عن ابي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان اعطني صحيفتك فيعطيه اياها فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات * وروى وكيع عن ابن مسعود انه قال وددت اني صولحت ان اعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة فاشار الى ان الحسنة تمحو تسع خطيئات ويفضل له واحدة من ضعف ثواب الحسنة ثم ان الحسنة والسيئة لهما اطلاقات فتطلق ويراد بها التوحيد والسيئة يراد بها الشرك كما في قوله تعالى في النمل من جاء بالحسنة يعني التوحيد فله خير منها ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار نظير ما في القصص والانعام وتطلق الحسنة على كثرة المطر والخصب والخير والسيئة على قحط المطر وقلة الخير كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يعني قحط المطر وقلة النبات يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يعني المطر وقلة الخير والحسنة كثرة المطر والخصب وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات يعني كثرة المطر والخصب

والسيئات يعني قلة المطر والجدب وقال في الروم وان تصبهم سيئة يعني قحط المطر بما قدمت ايديهم وتطلق الحسنة على العافية والسيئة على العذاب في الدنيا كقوله في الرعد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والسيئة العذاب في الدنيا والحسنة العافية وتطلق الحسنة على العفو وقول المعروف والسيئة على القول القبيح والاذى كقوله تعالى في القصص ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالقول المعروف والعفو القول السيء والاذى وتطلق الحسنة على النصر والغنيمة والسيئة على القتل والهزيمة كقوله تعالى في آل عمران ان تمسسكم حسنة تسؤهم يعني النصر والغنيمة يوم بدر وان تصبكم سيئة يعني القتل والهزيمة يوم احد (وخالق الناس) اي عامل الناس (بخلق) بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو السجية التي طبع عليها وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال ويصدر وورد عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بفكر فكله لا يسمى خلقا (حسن) والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفي المفهم الخلق اي من حيث هو اوصاف الانسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة مذمومة فالمحمودة اجمالا ان تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنتصف لها وتفصيلا العفو والحلم والجود والصبر والرحمة ولين الجانب وتحمل الاذى وقول الهيتمي في شرح الشمائل في تعريفه ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الافعال وكمال الاحوال تعريف للخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد في تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما انهم اذا اوذوا

صفحوا * ووصف عبد الله بن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى * وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فانشأ يقول

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله

وعن انس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذى ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين جليس قط والاحاديث فى مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شئ يوضع فى الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام خياركم احسنكم اخلاقا ومنها قوله افضل ما أعطى المرء الخلق الحسن * وعن الحسن انه قال من اعطى حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة * وفى الحديث خصلتان لا يكونان فى مؤمن سوء الخلق والبخل * وعن ابن عباس قال موسى عليه السلام يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب آياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن أكافئه وقيل لذى النون المصرى من اكثر الناس هما قال اسوؤهم خلقا * وقال صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن فى الحديث رمز الى انه يمكن

اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسّن خلقك مع الناس اى عاملهم بطلاقة وجه وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤدّى لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر ثم ان الامر به عام خصّه به مستحقه لحرج الكفار والظلمة فاغلظ عليهم (رواه الترمذى) فى السير (وقال حديث حسن) فقط (وفى بعض النسخ حسن صحيح) وهو حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين

(الحديث التاسع عشر)

(عن ابي العبّاس عبد الله بن عبّاس) ابن عبد المطلب ولد فى الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وصححه احمد وقيل ابن عشر ويؤيد الاول ما صح عنه من قوله فى حجة الوداع وانا يومئذ قد ناهزت الاحتلام كان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وكان عمر وعثمان يدعوانه فيشير عليهما مع اهل بدر حتى قال بعضهم لعمر اتدعو هذا الفتى وفى ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم فدعاه يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فقالوا امر الله نبيه اذا فتح الله عليه ان يستغفر وان يتوب اليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح اى فتح مكة ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا

اى فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا فقال كيف تلوموني عليه بعد ما ترونه وقال له
عمر والله انك لاصبح الفتيان وجها واحسنهم عقلا وافقههم
فى كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس يقوم
على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية وكان
عمر اذا ذكره يقول ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول
وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو ادرك
اسناننا ما عاشره منا احد * وقال مسروق ادركت خمسمائة
من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعون
الى قوله قال وكنت اذا رأيته قلت احلم الناس واذا تكلم قلت
افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس * وقال عمرو بن
دينار ما رأيت مجلسا اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس وثبت
انه رأى جبريل مرتين وهذا سبب عماه فى آخر عمره فانه ورد
انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عمن رآه معه ولم يعرفه فقال
له ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك وفى ذلك يقول
ان يأخذ الله من عينيّ نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور
وعنه انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من
الانصار هلمّ فلنسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس اترى الناس
يفتقرون اليك وفى الناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فيهم قال فتركت ذاك واقبلت اسأل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل
فآتي بابه وهو قائل فاتوسد التراب فيخرج فيرانى فيقول
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا ارسلت الىّ

فآتيك فأقول لا أنا احق ان آتيك فأسئلك عن الحديث
فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس
حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان اعقل مني * وعن
ابي صالح قال لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو ان جميع قريش
فخرت به لكان لها فخراً رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق
فما كان احد يقدر ان يجئ ولا يذهب قال فدخلت عليه فاخبرته
بمكانهم على بابه فقال ضع لي وضوءاً قال فتوضأ وجلس وقال
اخرج وقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل
قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما
سألوه عن شئ الا اخبرهم عنه وزاد مثل ما سألوا عنه او اكثر
ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من اراد ان يسأل
عن تفسير القرآن او تأويله فليدخل قال فخرجت فأذنتهم
فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا اخبرهم
به وزادهم مثل ما سألوه او اكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم
قال اخرج فقل من اراد ان يسأل عن الحلال والحرام والفقه
فليدخل فخرجت فقلت لهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة
فما سألوه عن شئ الا اخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخوانكم
فخرجوا وقال اخرج وقل من اراد ان يسأل عن الفرائض
وما اشبهها فليدخل قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى
ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا اخبرهم به وزادهم
مثله ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من اراد ان
يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا
حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا اخبرهم به
وزادهم عليه قال ابو صالح فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس
وعن ابن عمر ان رجلاً أتاه يسأله عن قوله تعالى اولم ير

الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
فقال اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فاخبرني ما قال
فذهب الى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس كانت السموات
رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر
وهذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ان ابن
عباس قد أوتي علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر
قد كنت اقول ما تعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن
فالآن قد علمت انه أوتي علما وشتمه رجل فقال له إنك
تشتمني وفيّ ثلاث خصال اني لآتي على الآية من كتاب الله
تعالى فاودّ ان جميع الناس يعلمون منها ما اعلم واني لأسمع
بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فافرح به ولعلي
لا اقاضي اليه ابدا واني لاسمع بالغيث قد اصاب البلد
من بلاد المسلمين فافرح به ومالي به سائمة وكان يقول
ما بلغني عن اخ لي مكروه قط الا انزلته احد ثلاث منازل
ان كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وان كان نظيري
تفضلت عليه وان كان دوني لم احتفل به هذه سيرتي في
نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعة * وعن طاوس
انه قال ما رأيت احدا كان اشد تعظيما لحرمات الله تعالى
من ابن عباس والله لو اشاء اذا ذكرته ان ابكي لبكيت
وكان ابن عباس يقول لأن اعول اهل بيت من المسلمين
شهرا او جمعة او ما شاء الله احب الي من حجة بعد حجة
ولطبق بدانق اهديه الى اخ لي في الله احب الي من دينار انفقه
في سبيل الله عز وجل وكان يقول ايضا خذ الحكمة ممن
سمعت فان الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرمية
خرجت من غير رام * توفي رضي الله عنه بالطائف سنة

ثمانٍ وستين فی خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال اليوم مات ربانی هذه الامة ولما وضع ليصلی عليه جاء طائر ابيض حتى دخل فی اكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوى عليه سمع قائلاً يقول يا ايتها النفس المطمئنة ارجعی الى ربك راضية مرضية فادخلی فی عبادی وادخلی جنتی * ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاته صفق باحدی يديه على الاخرى وقال مات اعلم الناس واحلم الناس ولقد اصيبت به هذه الامة مصيبة لا ترتق (قال كنت خلف

رسول الله صلى الله عليه وسلم) ای على بغلة لما نقله الواحدی عن ابن عباس رضی الله عنهما انه قال اهدى كسرى للنبی صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفنی خلفه وسار بی مليا ثم التفت فقال يا غلام الخ وفيه جواز الارداف على الدابة ان اطاقته (يوما) ای فی النهار دون الليل (فقال يا غلام) بضم الميم لانه نكرة مقصودة وخاطبه بذلك لان سنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين واصله من الاغتلام وهو شدة السبق ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا ولفظ رواية احمد يا غلام او يا غليم على الشك (انی اعلمك كلمات) ذكر له ذلك قبل ذكر الكلمات ليكون ذلك اوقع فی نفسه اذ حصول الشیء بشوق وتنشيط الذ من الماء البارد على الظمأ لان الوصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب والتعليم تنبيه النفس بتصور المعانی وربما استعمل فی معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان باخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه اثر فی نفس المتعلم

وفي رواية مسلم ينفعك الله بهن او يعلمهن او بالعمل بمقتضاهن او بهما وجاء بها بصيغة القلة ليؤذنه بانها قليلة اللفظ فيسهل حفظها واعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنوينها تنوين التعظيم وتأهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام والحكم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على ان المصطفى علم ما يؤول اليه امر ابن عباس من العلم والمعرفة بكمال الاخلاق والاحوال الباطنة والظاهرة (احفظ الله) اى احفظ دين الله من التضييع والتبديل بان تحفظ اوامره التي اوجبها ونواهيه التي حرمها فتقف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب فلا يراك حيث نهاك فاذا اطعته باحتثال اوامره واجتناب نواهيه احاطك بمعقبات له من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من امره وحقيقة الحفظ صيانة المحفوظ من الضياع او ان يصل اليه اذى (يحفظك) في نفسك واهلك ومالك ومصداق ذلك قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب الانسان من نواكب ونوائب فانما هو بتضييع اوامر الله وتعديه حدوده بشهادة قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعبر بقوله يحفظك دون غيره لان الجزاء من جنس العمل الا ترى الى قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله اذكروني اذكركم وقوله ان تنصروا الله ينصركم فمن حفظ الله بامتثال امره حفظه الله من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته وقد رأى ابراهيم بن ادهم رجلا نائما وعنده حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله

فى كبره ومنعه بحوله وقوته * وجاوز بعض العلماء كالقاضى الحسن الطبرى والبغوى والجوينى مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ووثب الجوينى يوما وثبة شديدة فكلم بسببها فقال هذه جوارح حفظناها من المعاصى فى الصغر فحفظها الله علينا فى الكبر * ونقل عن القاضى ابى الطيب انه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من اعضائه فقيل له فى ذلك فقال لم اعص الله بعضو منها وقد يتعدى الحفظ الى ذريته كما فى قوله تعالى وكان ابوهما صالحا * وكان سعيد بن المسيب يقول لابنه انى لازيد فى صلاتى من اجلك رجاء ان تحفظ ثم يتلو وكان ابوهما صالحا * وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما من مؤمن صالح يموت الا حفظه الله عز وجل فى عقبه وعقب عقبه * وقد يتعدى الحفظ الى جيرانه واهل ناحيته لقول ابن المبارك ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التى حوله وعكس هذا ان بعض السلف رأى شيخا يسأل الله فقال هذا ضيع الله فى صغره فضيعه الله فى كبره (احفظ الله) بما مر (تجده تجاهك) بضم التاء وفتح الهاء اصله وجاهك بضم واوه وكسرها ثم قلبت تاء وهو فى الاصل بمعنى امامك بفتح الهمزة المصرح به فى الرواية الآتية لكنه لاستحالة الجهة عليه تعالى بمعنى معك حفظا واحاطة وتأييدا واعانة فالمعية معنوية لا ظرفية

وانشد بعضهم

اذا نحن ادلجنا وانت امامنا * كفى لمطايانا بذكرك هاديا

وهو تأكيد لما قبله ومن ثم اورده بلا عاطف لكمال الاتصال بينهما وخص الامام من بين بقية الجهات الست اشعارا بشرف المقصد وبان الانسان مسافر الى الآخرة غير قار

في الدنيا والمسافر انما يطلب امامه لاغير فكان المعنى تجده حيثما توجهت وقصدت من امر الدنيا والدين وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل سفينة مولاه في امر فانكسرت بهم السفينة فخرج الى البر فجاءه الاسد فقال انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الاسد يمشي معه حتى دله على الطريق فلما وقفه عليها جعل يهمهم كانه يودعه * وروى ان ابن عمر كان في سفر فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوفا من السبع فقال انما يسلط على ابن آدم ما يخاف ولو انه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شيء * وقال المزني قصدت السلام على ابي الخير النيسابوري فلما صلينا المغرب خرجت لاتطهر فقصدني السبع فعدت اليه واخبرته فخرج وصاح على الاسد وقال له الم اقل لك لا تتعرض لاضيافي فتنحى عني وتطهرت فلما رجعت قال لي الشيخ اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الاسد (اذا سألت) اى اردت ان تسأل شيئا (فاسأل الله) دون غيره ان يعطيك اياه من فضله فانه الغني على التحقيق والمولى لكل خير وتوفيق وخزائن الجود بيده وامرها اليه لا معطي ولا مانع سواه وانشد بعضهم

سلم الامر الى مالكه * فله العلم المحيط الواسع
واطلب المعروف منه دائما * فهو معطي ذاك وهو المانع

وقال طاوس لعطاء اياك ان تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيمة امرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك * وقال عامر ابن قيس قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو

فلم اسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى وان يردك بخير فلا
راد لفضله فلم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم اطلب الرزق من غيره
فاغناني الله عن الناس بهذه الآيات * وقال الفضيل
ابن عياض احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس
وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم
واحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره
وابغض الناس اليه من استغنى عنه وسأل غيره * وقال
ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من اخيه فتنة ان
هو اعطاه حمد غير الذي اعطاه وان منعه ذم غير الذي
منعه اي لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله تعالى *
وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل
احوج الناس اليه ومن دعاء الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسئلة
غيرك * وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل احدا يناوله
اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار * وكان بعضهم يقول
من احتجت اليه هنت عليه * وقال بعض العارفين
قيل لي في نوم كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبدين فاقة لغيري
فاضاعفها عليك مكافأة بسوء ادبك انما ابتليتك بالفاقة
وحكمت لنفسي بالغنى لتفزع منها الي وتتضرع منها لدي
فان وصلتها بي وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت
عنك مواد معونتي * وسأل رجل الامام احمد ان يعظه
فقال الامام ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان
كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله
فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت

النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا * وقال حاتم الاصم لزوجته لما اراد ان يخرج للغزو كم اعطيك لنفقتك فقالت على قدر حياتي قال حاتم ليس هذا بيدي قالت امر الرزق ايضا ليس بيدك ثم بعد ما خرج سألتها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم ابقى من النفقة لك فقالت لها حاتم كان مرزوقا والرزاق ما غاب عني (واذا استعنت) اى طلبت الاعانة على امر من امور الدنيا والدين ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم (فاستعن بالله) لانه القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة واما من هو كل على مولاه لا قدرة له على انفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به او يتمسك بسببه ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن غيره اعجز ليت الفحل يهضم نفسه فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك في اخراك واولاك كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من ابناء جنسه فلا تنتصر الا به فهو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه العزيز القادر * وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه * وما احسن قول الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له الك حاجة حين وضع في المنجنيق اما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي * وقال بعض العارفين لا تخدشه معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها

وعليك بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار امر من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء * وقال بعضهم لا تكن عبداً الا لمن يقوم بمصالحك يعينك في مآربك وما يقوم بأمورك الا الله فلا تستعن الا به ولا يستعبدك سواه فهو المسخر لك عباده ثم اكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم وحث على التوكل والاعتماد على الله تعالى بقوله (واعلم ان الامة) خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما اكد الامر بان حث على تيقن انه لا نفع ولا ضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في رواية احمد واما مدلولها وضعاً فالجماعة كقوله تعالى امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد *

والدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة * وقول بعضهم وهل يستوي ذو امة وكفور * وقول الآخر

كنا على امة آبائنا * ويقتدي الآخر بالاول

والزمان كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله تعالى وادكر بعد امة اي بعد حين وزمان والقامة كقولك فلان حسن الامة اي القامة والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه احد كقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة واحدة والام كهذه امة زيد اي ام زيد واما الامة بالكسر فهي النعمة كما قال الجوهري واما الامة بالفتح فهي شجة في الرأس افضت للدماغ (لو اجتمعت) انثه باعتبار اللفظ وذكر ما بعده باعتبار المعنى ولفظ لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم

ونكتة العدول هو ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم على الايذاء فانه ممكن من غير المعصومين ولذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعله لا يظلم

(على ان ينفعوك بشيء) من خير الدنيا والآخرة (لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله) تعالى (لك) في الازل (وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء) زاد احمد لم يكتبه الله عليك (لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله) تعالى (عليك) كما يشهد بذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب وبيانه ان أزمة الموجودات بيده منعا واطلاقا فاذا اراد لحد ان يضرك بما لم يكتب عليك دفعه الله تعالى عنك بصرف ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من اصله كمرض او شغل او نسيان او صرف قلب او من تأثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمي ومن تيقن ذلك لم يشهد نفعه وضره الا منه وما احسن ما قيل

افوض الامر الى خالقي * فحسبي الحي ونعم الوكيل

ولا ارجعن الى غيره * فان الاله تعالى كفيل

ولا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فاخاف ان يقتلون اننا نخاف ان يفرط لان الانسان مأمور بالفرار من اسباب العطب الى اسباب السلامة وان لم يسلم بدليل خذوا حذركم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * وقول عمر انما نفر من قدر الله الى قدر الله ولهذا قيل في المعنى

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(رفعت الاقلام) اى تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم القيمة كما جاء فى جامع الترمذى ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون فان قلت فما التوفيق بينه وبين ما اشتهر من قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله جوهرة او درة فنظر اليها فذابت واول ما خلق الله تعالى نورى او روحى واول ما خلق الله تعالى اللوح واول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف اول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبى فالجواب ما افاده بعض العارفين من ان الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدى لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار وفور علمه تسمى عقلا اذ قال له اقبل على الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا احب الى منك بك اعرف وبك آخذ يعنى عباده من اخذ منك الشريعة وبك اى بشفاعتك اعطى الدرجات العالية وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور وفق متابعته والاقتداء به تسمى قلما وباعتبار مظهريته للعلوم تسمى لوحا وباعتبار غلبة الصفات الملكية ملكا كروبيا (وجفت) بالجيم اى يبست (الصحف) جمع صحيفة وفيه حذف اى كتابة الصحف اى فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حين كتابتها لا بد ان تكون رطبة المداد او بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها وهذا من احسن الكنايات وارشق العبارات فهو كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير ولا ينافى هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لان المحو والاثبات مما جفت به الصحف ايضا كما

في تفسير القاضي لان القضاء قسمان مبرم ومعلق * وحكى ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له اشكل علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها في قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وقد صح ان الصحف جفت بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة اذ ذاك وان كان توبة لنا لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركها فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤن يبديها لا يبتديها واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا وله ان يجازيه على الواحدة الفا فضلا فقام عبد الله وقبل راسه ووسع خراجه اه * وقال ابن عباس قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم الآية وقيل هي خاصة بقوم موسى وابراهيم لانه وقع حكاية في صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وقيل اريد بالانسان الكافر فله ما سعى اخوه وقيل اللام في الانسان بمعنى على كقوله تعالى وان اساتم فلها اي عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة اي عليهم * وقام رجل الى بعض العلماء وهو على كرسيه للوعظ بقرر تفسير كل يوم هو في شان فقال يا هذا فما يفعل ربك الآن فافحم وبات مهموما فراى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فقال له ان الخضر وانه سيعود فقل له شؤن يبديها لا يبتديها يخفض اقواما ويرفع آخرين فاصبح مسرورا فاتاه فاعاد السؤال

فأجابه بذلك فقال له الخضر صل على من علمك وانصرف مسرعًا
قيل وأول من كتب العربي وغيره آدم وقيل اسماعيل هو أول
من كتب العربي وقيل غيرهما ولم يصح في ذلك شئ وقول
الكلبي أول من وضع الخط نفر من طي فساروا الى مكة
فتعلمه منهم جماعة ثم اتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم ثم اتوا
الحيرة وعلموه جماعة مردود بانه لا يوثق بنقله نعم يمكن
أن يقال انهم اول من تعلم الخط لا انهم اول من وضعوه
(رواه الترمذي) في جامعه (وقال حسن صحيح) وهو حديث
عظيم واصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لأمره
والتوكل عليه (وفي رواية غير الترمذي) وهو عبد بن حميد
في مسنده والامام احمد (احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده أمامك) بفتح الهمزة بالمعنى المقرر فيما قبله فان قيل
لم خص الأمام دون باقي الجهات الست فالجواب أن
الانسان سائر ومسافر الى الآخرة والمسافر انما يطلب امامه
لا غير (تعرف) بتشديد الراء المفتوحة اي تحبب وتقرب
(الى الله) بلزوم الطاعات والانفاق في القربات والشكر
على ما والاك (في الرخاء) اي سعة الرزق وصحة البدن (يعرفك
في الشدة) بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجًا
ومن كل ضيق مخرجا بما سلف من ذلك التعريف كما وقع للثلاثة
الذين خرجوا يرتادون لاهلهم فبينما هم يمشون اذ اصابهم
المطر فأووا الى غار في جبل فانحدرت عليهم صخرة من الجبل
فسدت عليهم فقال انظروا اذا عملتم من الاعمال الصالحة
فاسألوا الله بها فانه ينجيكم فقال احدهم اللهم انك تعلم
انه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار
وكنت ارعى غنمًا لي فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدي

فاستقيتهما قبل ولدى وابنة نأى بي الشجر وفي رواية فاصابني غيث فحبسني فما اتيت حتى امسيت فحلبت كما كنت احلب وجئت بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رأسيهما اكره ان اوقظهما من نومهما واكره ان ابدأ بالصبية وهم يتضاغون اى يصيحون عند قدمى ومحلبى على يدى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر فانبهتهما فسقيتهما فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء * وقال الثاني اللهم انه كان لى ابنة عم احبها اشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فاعطيتها لها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله تعالى ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها وهي احب النساء الى وفي رواية اخرى انه قال فراودتها عن نفسها فابت فاصابتها حاجة شديدة فاتتني فقلت لها حتى تمكنني من نفسك فابت وذهبت ثم رجعت وقد اصابتها شدة وفي رواية اخرى ان زوجها كان مريضا وكان بينهما اولاد صغار قد اصابهم القحط فاتت له وهو يأبى عليها حتى تمكنه من نفسها فذكرت ذلك لزوجها فقال مكنيه من نفسك واغيثي عيالك فاتته المرة الرابعة فقالت له دونك فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت من تحته فتركها ودفع لها ما احتاجت اليه ثم قال فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فالفرج منها فرجة اخرى * وقال الثالث اللهم انك تعلم انى استاجرت عمالا يعملون كل رجل منهم بمدين من طعام الارز فعملوا فوفيتهم اجورهم فقال رجل كان عملى افضل منهم فابيت ان ازيده

فغضب وفى رواية أخرى انه جاء احد الاجراء فى نصف النهار فعمل فى بقية نهاره مثل ما عمل غيره فى يومه كله فرأيت ان لا انقص من اجره شيأ فقال رجل منهم انه جاء فى نصف النهار وانا جئت فى اوله فساويت بيننا فى الاجر فقلت له هل نقصتك من شرطك فغضب وترك اجره وذهب فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ولم ازل ازرعه له حتى جمعت له من ذلك ابلا وبقرا وغنما فمر بى بعد حين شيخ ضعيف لا اعرفه فقال ان لى عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت له اياك ابغى وهذا حقك فعرضته عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تتصدق على فاعطنى حقى قلت والله ما اسخر انه لحقك مالى فيه شئ فدفعت ذلك اليه جميعا فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقى ففرج الله عنهم انتهى وقوله فافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثى وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعى * وعن بكر بن عبد الله المزنى ان قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم فى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وانا اشد حبالك منك لى ولكن اخاف الله فقال انت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ان يقع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بنى اسرائيل فاخبره بما حصل له من العطش فقال تعال حتى ندعو قال مالى من عمل قال فانا ادعو وامن انت قال فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة عليه فرجع اليه الرسول وقال زعمت ان ليس لك عمل وانا الذى دعوت وانت امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى ما امرك فاخبره فقال التائب من الله بمكان ليس

احدٌ من الناس بمكانه * وعن ابي ادريس الاودي انه قال
كان رجلان في بني اسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها سوسن
عابدة وكانوا يأتون بستانا فيتقربون فيه فاشتغف بها العابدان
وكتم كل واحدٍ ذلك عن صاحبه واختبأ كل واحدٍ منهما
تحت شجرةٍ ينظران اليها فنظر كل واحدٍ منهما صاحبه وهو مختبي
فسأل كل منهما الآخر عن سبب اختبائه فاظهر كل واحدٍ منهما
ما عنده من حب سوسن واتفقا على ان يراوداها فلما جاءت
لتتقرب قالا لها قد عرفت طوع بني اسرائيل لنا وان لم تطيعنا
قلنا اذا اصبحنا انا اصبنا معها رجلاً وان الرجل أفلت فقالت
لهما ما كنت لاطيعكما فاخذاها واخرجاها وذكرا انهما اصابا
معها رجلاً فجاء دانيال وهو ابن ثلاثة عشر سنة فوضعوا له
كرسيا فجلس عليه وقال قدموهما اليّ فجاء كالمستهزئين
وقال لا اقضي بيننا ففرّق بينهما وقال لاحدهما خلف اي شجرة
رأيتها قال وراء تفاحةٍ واحضر الآخر فقال وراء غيرها واختلفا
فنزلت نارٌ من السماء فاحرقتهما ونجت سوسن * وعن
ابي عبد الله البلخي ان شابا كان في بني اسرائيل لم ير احسن
منه وكان يبيع القفاف فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه
خرجت امرأة من دار ملكٍ من ملوك بني اسرائيل فلما رأته رجعت
مبادرةً فقالت لابنة الملك يا فلانة اني رأيت شابا بالباب
يبيع القفاف لم ار شابا قط احسن منه قالت لها ادخليه
فخرجت اليه فقالت يا فتى ادخل نشتري منك فدخل فاغلقت
دونه الابواب ثم استقبلته ابنة الملك كاشفة عن وجهها
ونحرها فقال لها استتري عافاك الله فراودته عن نفسه
فأبى وقال لها اتقي الله فقالت له ان لم تطاوعني والا اخبرت
الملك انك دخلت لتراودني عن نفسي فأبى ووعظها

ثمّ قال ضعوا الى وَضوءًا بفتح الواو اى ماءً فوضعوه له فى مكان لا يستطيع ان يفرّ منه بينه وبين الارض اربعون ذراعًا فلمّا صار فيه التى نفسه منه فاهبط الله له ملكًا حتى اخذ بضبعه ووقع قائمًا على رجليه* وكان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج يصلّى جاءته امّه فدعته فقال اجيبها او اصلّى وتمادى فى صلاته ولم يجبها فقالت اللهمّ لا تمته حتى تريه وجوه المومسات اى الزانيات وكان جريج فى صومعته فتعرّضت له امرأة فراودته فابى فاتت راعيًا ومكّنته من نفسها فولدت غلامًا وقالت من جريج فاتوه فهدموا صومعته وانزلوه وسبّوه فتوضّأ وصلّى ثم اتى بالغلام فقال له من ابوك يا غلام وفى رواية يا بابوس بباءين موحّدتين بينهما الف وهو ولد الزانية فقال الراعى فقالوا دعنا نبنى صومعتك من ذهب فقال لا الّا من طين وعن وهب بن منبّه انه قال بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبىّ لها يدبّ بين يديها اذ جاء سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان اسرع من ان جاء ذئب فالتقم الصبىّ فجعلت تعدو خلفه وهى تقول يا ذئب يا ذئب ابنى فبعث الله اليها ملكًا انتزع الصبىّ من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة* وتقدّم ذكر قصّة عوف بن مالك الاشجعى عند قوله فى الحديث السابق اتق الله حيث ما كنت بخلاف فرعون فانه لمّا تنكّر الى ربّه فى حال رخائه لم ينفعه اللجأ عند بلائه بل قال له الآن وقد عصيت قبل وقيل يجوز ان يكون على حذف مضاف اى تعرّف الى ملائكة الله فى الرخاء بالتزام الطاعات واظهار العبادات يعرفك فى الشدّة بواسطة شفاعتهم عنده فى تفريج غمّك وكربك والاوّل اولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيّد الثانى ما روى ان العبد اذا كان له دعاء

فى الرخاء ودعا حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لم نعرفه واذا لم يكن له دعاء فى حال الرخاء ودعا فى حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد فى الحديث ان يونس عليه السلام لما دعا فى بطن الحوت قالت الملائكة يارب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل اما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدى يونس قالوا عبدك الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا افلا ترحم من كان يصنع فى حالة الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فامر الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء (واعلم ان ما اخطاك) اى جاوزك فلم يصل اليك (لم يكن ليصيبك) لانه بان بكونه اخطاك انه غير مقدر عليك واستعمال الخطا فيه مجاز لان حقيقته العدول عن الجهة او الوقوع على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة للنفى على الخبر وتسليط النفى على الكونية وسرايته للخبر (وما اصابك لم يكن) قدر (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفى الحول والقوة عنه قيل علامة التوكل ثلاث لا يسال ولا يرد ولا يحبس قيل اول مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف اراد اذ لا يكون له حركة ولا تدبير واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى فى كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وقيل هو الاكتفاء بالله تعالى

مع الاعتماد عليه (واعلم) تنبيه على ان الانسان في هذه الدار معرض للمحن والبلاء سيما الصلحاء قال الله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآيات فينبغي للانسان ان يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر (ان النصر) من الله للعبد اي اعانته له يقال نصر الغيث البلد اذا اعانه على النبات والنصير والناصر في اللغة المعين والاول منهما ابلغ في الاعانة من الثاني (مع الصبر) لانه سبب النصر ومن ثم كان الغالب على المنتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي بحكم التأييد والظفر * وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد * ومن كلام وهب ثلاث من كن فيه اصاب البر سخاوة النفس والصبر على الأذى وطيب الكلام * وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب * وقيل هو الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج ** قيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم فقالوا احبابك جئنا زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم على بلائي واعلم ان الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار واهل البدع والفسوق والعدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان لان جهاد ذلك اعظم من جهاد العدو ويدل له ما جاء في حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه (وان الفرج) بفتحتين وهو كشف الغم

القض
كان
مع

مع الكرب بمعنى انه يعقبه لا محالة لعدم دوامه * فائدة من الانس الجليل روى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا يأمن عليه احدا فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه فاستعان بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجلس حزينا كئيبا فظن ان ربه قد منعه فتحه فبينما هو كذلك اذ اقبل شيخ متكئ على عصا له وقد طعن في السن وكان من جلساء داود عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبي الله مالي اراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر علي فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا اعلمك كلمات كان ابوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك اصبحت وامسيت ذنوبي بين يديك استغفرك واتوب اليك فلما قالها فتح الباب اهـ * وذكر ابو نعيم في الحلية عن مسعر ان رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة ايام لم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال

اذا شاب الغراب اتيت اهلي * وصار القار كاللبن الحليب

فاجابه مجيب لم يره فقال

عسى الكرب الذي امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

قال فجاءت سفينة فحملته واصاب خيرا كثيرا * واخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال امر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما احضر امر بضرب عنقه فقال ايها الامير أخرني الى غد قال ويحك واي فرج في تأخير يوم ثم امر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما اخذه الا من القرآن كل يوم هو في شأن

وأمر باطلاقه * وأخرج ابن النجار عن معروف الكرخي من قال ثلاث مرار وكان في غم فرج الله عنه غمه اللهم احفظ امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم عاف امة محمد اللهم أصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد * وأخرج البيهقي عن حماد بن سلمة ان عاصم ابن اسحاق شيخ القراء في زمانه قال اصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فرفعت رأسي فاذا بحدأة طرحت كيسا احمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرا ملفوفا في قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك * وفي الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * على انه من ظلمة الكفر نجاني

فسألتها عائشة رضي الله تعالى عنها عن ذلك فقالت شهدت عروسا تجلى ودخلت مغتسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحدأة فأخذته ففقدوه فاتهموني به ففتشوني حتى قبلي فدعوت الله تعالى ان يبرئني فجاءت الحدأة بالوشاح فالقته بينهم وفي رواية فرفعت رأسي وقلت يا غياث المستغيثين (وان مع العسر يسرا) لقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا * وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسرا للتعظيم

مبالغة مع ما في مع من المصاحبة في معاقبته واتصاله به
اتصال المتقاربين واليسر السهولة ومنه اليسار للغنى لانه تتسهل
به الامور واليد اليسرى لان الامور تتسهل بمعاونتها لليمنى
فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر وما لا يريد تعالى لا يكون ولا يقع اجماعا من اهل
السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله
تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا يدل قطعا على وقوعه
فالجواب ان المراد بالعسر في الآية الاولى العسر في الاحكام
فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت
بالحنيفية السمحة مع ان صدر الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى
ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر واما الآية
الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر في الارزاق والاكتساب
دون الاحكام * وروى الحاكم عن الحسن البصري مرسلا
ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين اي كما
دل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
لان النكرة المعادة غير الأولى والمعرفة المعادة عين الأولى
غالبا فيهما وما احسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعدا ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله في اعطافها الطاف

وقال الشاعر ايضا

اذا اشتدت بك البلوى * ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح

قال ابن ابي جمرة كان علي رضي الله تعالى عنه اذا كان في شدة
استبشر وفرح واذا كان في رخاء قلق فقيل له في ذلك فقال

ما من ترحة الا وتتبعها فرحة وما من فرحة الا وتتبعها ترحة ثم تلى الآية وما احسن حكاية العتبي قال كنت ذات يوم في بادية وانا بحالة من الغم فالقي في روعي بيت من الشعر

ارى الموت لمن اصبح * مغموما له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا في الهواء يقول

الا يا ايها المرء الذى الهم به ابرح *
وانشد بيتا لم * يزل في فكره يسبح
اذا اشتدت بك العسرى * ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح
فان العسر مقرون * بيسرين فلا تبرح

فحفظتها ففرج الهم عني

(الحديث الموفي عشرين)

(عن ابي مسعود عقبة بن عمرو) ابن ثعلبة بن اسيرة قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين ابن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج كذا نسبه الكلبي وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر وقال فيما حكاه عن الرشاطي اسيرة بن عسيرة بضم اولهما وفتح ثانيهما قال ويقال في اسيرة يسيرة بياء مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخاء مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال ايضا جدارة بجيم مكسورة (الانصاري) الخزرجي (البدري) نسبة الى بدر نزولا ومسكنا لانه لم يشهد وقعتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذى قال به الجمهور ولكن الذى ذهب اليه البخاري ومسلم وغيرهما انه شهدها نعم شهد العقبة الثالثة مع السبعين وكان اصغرهم وشهد احدا وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا توفي

بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى او اثنين واربعين قيل في خلافة علي وقيل آخر خلافة معاوية وقيل توفي بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين والقولان الاخيران ضعيفان روى له مائة حديث وحديثان اتفقا على تسعة وانفرد البخاري بواحد ومسلم بسبعة (قال قال صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس) بالرفع في جميع الطرق والعائد على ما محذوف والتقدير مما ادركه الناس ويجوز النصب والعائد ضمير الفاعل وادرك بمعنى بلغ اي مما بلغ الناس ثم ان الجار والمجرور في قوله مما خبر ان واسمها قوله الآتي اذا لم تستح الخ اي على تقدير القول اي قولهم اذا لم تستح كما قاله الطيبي وهو غير متعين بل يصح ان تجعل الجملة هي الاسم على ارادة اللفظ اي هذا اللفظ ويجعل الجار هو الاسم فتكون من تبعيضية اي ان بعض ما ادرك وجملة اذا لم تستح هي الخبر (من كلام النبوة الاولى) اي مما اتفقت عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه جاء في شريعة آدم واتفقت عليه بقيتها فما من نبي من الانبياء الا وندب اليه وحث عليه ولم ينسخ في شريعة من الشرائع لانه امر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بان ذلك من نتائج الوحي وقوله الاولى ليست في رواية البخاري وان كان ظاهر كلام المؤلف خلافه لانه نسبه كله لرواية البخاري وهي ثابتة في رواية احمد وابي داود وابن ماجه عن الصحابي المذكور (اذا لم تستح) بحذف الياء واثباتها ويكون الجازم حذف الياء الثانية لانه من استحيي والاول من استحى (فاصنع) وفي رواية فافعل والصنع اخص من العمل (ما شئت) الامر للتهديد والتوبيخ اي اذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه

فاصنع ما شئت اى ما تهواه نفسك من الرذائل فان الله مجازيك عليه ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى وانشد بعضهم فى هذا المعنى قوله

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال آخر

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

او هو للاباحة اى انظر الى ما تريد ان تفعله فان كان مما لا يستحى من الله ومن الناس فى فعله فافعله وان كان مما يستحى من الله ومن الناس فى فعله فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما ان يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الاولى واجتنابها مشروع اولا يستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب والثالث جائز وهو بمعنى الخبر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار اى صنعت ما شئت لان ترك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك فى هتك الاستار او المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله اى لما لم يجز صنع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء والاول اولى واظهر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح واصطلاحا خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق وحده ابو القاسم الجنيد بانه رؤية الآلاء اى النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء واما الحيا بالقصر

فيطلق على المطر وعلى فرج الناقة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال الحياء خير كله لا يأتى الا بخير * وحكى ان رجلا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انت قلت الحياء خير كله بالقصر فقال لا ثم رآه ثانيا فسأله مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلماء فقال له الحيا بالقصر فرج الناقة والذى فى الحديث بالمد فرآه الثالثة وسأله وقال انت قلت الحياء خير كله فقال نعم وينبغى ان يراعى فيه القانون الشرعى فان منه ما يذم كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع وجود شروطه فان هذا جبن لا حياء ومثله الحياء فى العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل فى الدين اذا اشكلت عليه ومن ثمه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لا يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن ولذا جاءت ام سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان الله لا يستحيى من الحق هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت قال نعم اذا رأت الماء * وروى البيهقى عن الاصمعى انه قال من لم يتحمل ذل التعليم ساعة بقى فى ذل الجهل ابدا * وروى ايضا عن عمر قال لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم العلم لتمارى به ولا تراءى به ولا تباهى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بجهالة * وعن عمر ايضا من رق وجهه رق علمه * وقال على رضى الله عنه من كسى بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه * وقيل لابى سفيان ما اول الحياء قال ان تستحى منه ان يراك حيث نهاك * قيل فما غايته قال ان تستحى منه ان يعلم انك تريد بقلبك سواه * وقال بعض السلف لابنه يا بنى اذا دعتك نفسك الى معصية فارم ببصرك الى السماء

واستح

واستحي ممن فيها وان مريبصرك الى الارض واستحي ممن فيها وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحياء * وكان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها * وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء وردد ذلك مرارا قالوا انا لنستحيي والحمد لله فقال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء وما زال يكرر ذلك حتى ابكاهم وقال للذي رآه يعاتب اخاه في الحياء دعه فان الحياء من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم * وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الامل * وقيل في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ان البرهان انها القت ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ما الذي تفعلين قالت استحيي منه فقال يوسف عليه الصلاة والسلام انا اولى ان استحيي من الله * وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به اخاك والا فاستحيي من سيدك فانه يراك قال الحليمي ويدخل في جملة الحياء من الله تعالى ثم من الناس ستر العورة فقد روى البيهقي عن انس رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى غنم له فيها اجير له يرعاها واذا بالاجير متجرد فيها فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم لك عندنا من اجرك

فقال يا رسول الله الى احسن الرعاية والولاية قال انى لا احب ان يكون فيهما من لا يستحى من الله عز وجل اذا خلا * ودخل محمد بن عبد الرحمن الحمام فرأى بعض اخوانه عريانا فغمض عينيه فقال له العريان مذكم عميت قال منذ هتك الله سترك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت مكارم الاخلاق عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى الاب وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن يريد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء اهـ ومعنى صدق البأس اى الصدق فى مقابلة العدو ومعنى التذمم ان تحفظ ذمامه اى حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس ومن علامات الحياء ان لا يخاف غير الله كما حكى عن بعضهم انه قال خرجنا ليلة فمررنا بأجمة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له الا تخاف ان تنام فى هذا الموضع الشنيع المخوف فرفع رأسه وقال استحى منه ان اخاف غيره ووضع رأسه ونام * وروى عن عمر رضى الله انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال اخبرنى جبريل عليه السلام ان الله يستحيى من عبد يشيب فى الاسلام ان يعذبه افلا يستحيى الشيخ من الله تعالى ان يذنب وقد شاب فى الاسلام * وفى الحديث ايضا انه يؤتى بشيخ يوم القيمة بين يدى الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يا رب انه كذاب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه

ان اكذب شيبته (رواه البخاري) في ذكر بني اسرائيل تنبيه
حكي ان بعضهم وافي البصرة نحو شعبة يسمع منه ركبه
فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزل له فحمله
الشرف الى ان سال عن منزل شعبة فارشد اليه فجاء فوجد
الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا
على البالوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قدمت من
بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم
شعبة ذلك فقال يا هذا دخلت منزلي بغير اذني وتكلمني
على مثل هذا الحال فقال اني خشيت الفوت فقال تاخر عني
حتى اصلح من شاني فلم يفعل واستمر في الالحاح قال وشعبة
يخاطبه ويذكره في بدن يستبرئ فلما اكثر قال اكتب حدثنا
منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن ابي مسعود عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما ادرك الناس من كلام
النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ثم قال والله لا احدثك
بعد هذا الحديث ولا حدثت قوما تكون فيهم *

(الحديث الحادي والعشرون)

(عن ابي عمرو) بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمرو المفتوح العين
يكتب في حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم
العين ولا تكتب فيه في النصب لحصول الفرق بالالف وانما
جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة اشياء فتح اوله
وسكون ثانيه وصرفه (وقيل) ابي (عمرة) بالهاء (سفيان)
بتثليث اوله (ابن عبد الله) ابن ابي ربيعة وقيل ابن حطيط
ابن الحارث الثقفي يعد ودمن اهل الطائف وكان عاملا لعمر
عليها حين عزل عنه عثمان بن ابي العاصي روى مسلم عنه هذا
الحديث فقط (قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام)

اى في دينه وشريعته (قولاً) جامعاً لامورِه اكتفي به بحيث (لا) احتاج الى ان (اسأل عنه احداً غيرك) لكونه واضحاً في نفسه مبيناً لغيره وفي رواية بدل غيرك بعدك اى بعد سؤالك كقوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى من بعد امساكه وقوله في الرواية الأولى غيرك غير ملزوم لهذا اللفظ فانه اذا لم يسأل بعد سؤاله احداً يلزم منه انه لا يسأل غيره ذكره الطيبي (قال قل آمنت بالله) لفظ الترمذي قل ربي الله (ثم استقم) على عمل المأمورات عقداً بالجنان وقولاً باللسان وفعلاً بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية والسين فيها سين الموافاة والمطاوعة كما يقال ارضيته فاسترضى * وقال ابن فورك هي سين الطلب والمعنى انهم طلبوا من الله تعالى ان يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة لغة ضد الاعوجاج اى الاستواء في جهة الانتصاب واصطلاحاً قال بعضهم لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله على حقيقة الصدق * وقال البيضاوي اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن اشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وايده الله من عنده وقليل ما هم اهـ وقيل ان لا يختار العبد على الله شيئاً وقيل هي لزوم طاعة الله تعالى وقيل هي الاخلاص في الطاعة وقيل هي ان تشهد الوقت الذى انت فيه قيامة قامت بان تستشعر قيامك بين يدى مولاك فتحسن استقامتك له في دنياك * وقال ابن فورك هي سؤال الله

٢ بحيث لا

تعالى ان يثبتهم على الدين * وقال بعض العارفين هى توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا وهم وهذا مقام عزيز لا يحكمه الا من تصفى كالابريز وقيل هى المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق المرضية وقيل هى الاتباع مع ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة اصعب المقامات مطلقا وهى كمقام الشكر اذ هو صرف العبد فى كل ذرة ونفس جميع ما انعم الله به عليه الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يطيق من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثمه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فاستقم كما امرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا له قد اسرع اليك الشيب شيبتنى هود واخواتها * واخرج ابن ابى حاتم لما نزلت هذه الآية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رؤى ضاحكا * وقال الشبلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك يا رسول الله انك قلت شيبتنى هود واخواتها فما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن انما شيبنى منها قوله تعالى فاستقم كما امرت الخ لان قوله كما امرت يدل على ان الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده امره ونهيه فاذا سمع كما امرت علم انه طولب باستقامة تليق بمعرفته لكن قال فى فيض الجود على حديث شيبتنى هود ما نصه عدة السور الواردة فى جملة الروايات ثمانية هود والواقعة والحاقة وسأل سائل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والقارعة * ولا تعارض بين الروايات لان رواية شيبتنى هود واخواتها

تعم الجميع وتعيين البعض في بعض الروايات دون بعض يحمل على اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماعه له او على انه صلى الله عليه وسلم عينه لبعض دون بعض فتكون الواقعة متعددة فظهر ايضا ان القول بان المراد من سورة هود آية فاستقم غير مستقيم لان الاستقامة لم توجد في جميع السور الواردة في الطرق الصحيحة ولم يذكر شورى في رواية من الروايات مع اشتمالها على ما في هود اي وهو قوله تعالى فادع واستقم كما امرت وليس للقائل بهذا القول حجة يستند اليها اه وقد يقال ان شورى متأخرة في النزول عن هذا الاخبار فلا يرد ما ذكر قال ابو علي الدقاق الاستقامة لها ثلاث مدارج اولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم يكون من حيث تأديب النفوس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء لتسلم من النهايات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة تكون من حيث تهذيب القلوب اي تطهيرها من الآفات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من القلوب بان تكون افعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة فالمعنى الاول تمحيص والثاني تحقيق والثالث توفيق قال بعضهم وعلامة المستقيم ان يكون مثل الجبل لان للجبل اربعة اوصاف الاول لا يذيبه الحر الثاني لا يضره البرد الثالث لا يحركه الريح الرابع لا يذهب به السيل فكذلك المستقيم اذا احسن اليه انسان لا يحمله الاحسان ان يميل اليه بغير الحق والثاني اذا اساء عليه شخص لا يتشوش منه بل يتجاوز عنه ويعد ذلك كالعدم والثالث هوى نفسه لا يحوله عن امر الله والرابع ان متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله تعالى

وقال القشيرى الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده * وقال بعضهم انه لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله على حقيقة الصدق ولعزتها اخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لم يطيقوها فقد اخرج احمد استقيموا ولن تحصوا اى لن تطيقوا الاستقامة ولن تبلغوا كنهها (رواه مسلم) وهو من بديع جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع انواعها فى ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة امتثال كل مامور واجتناب كل منهى واعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا زاد الترمذى فى هذا الحديث قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف على امتك فاخذ بلسان نفسه وقال هذا * وفى مسند احمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه * وعن ابى سعيد الخدرى مرفوعا اذا اصبح ابن آدم قالت الاعضاء للسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا *

(الحديث الثانى والعشرون)

(عن ابى عبد الله) وقيل كنيته ابو محمد وقيل ابو عبد الرحمن (جابر بن عبد الله) ابن عمرو بن حرام بمهملتين مفتوحتين ابن عمرو بن سواد بتخفيف الواو ابن مسلمة بكسر اللام ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن جابر بن حرام بن كعب بن غنم

ابن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة ابن تزيد بالمثناة فوق بن خيثم بن الخزرج (الانصاري) السلمي بفتح السين واللام وامه انيسة بنية عقبة بن عدي ابن سنان اسلمت وبايعت (رضي الله عنهما) فابوه صحابي شهد العقبة مع السبعين وهو احد النقباء الاثني عشر وبدرا واحدا وقتل يومئذ ولما بلغ ابنه موته اقبل فاذا هو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مسجى قال جابر فتنا ولت الثوب عن وجهه واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني كراهية ان ارى ما به من المثلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فلما رفع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالت الملائكة حافة باجنحتها حتى رفع ثم لقيني بعد ايام فقال لي اي بني الا ابشرك ان الله عز وجل احيا اباك فقال تمن فقال اتمنى يا رب ان تعيد روحي وتردني الى الدنيا حتى اقتل مرة اخرى قال اني قضيت انهم اليها لا يرجعون * ولما قتل اي ابوه كان عليه دين وترك حائطا فبذل جابر لغرماء ابيه اصل ماله وهو الحائط فلم يقبلوه ولا رضوا بالامهال ولم يكن في ثمرها سنتان كفاف دينهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامره بجذها وجعل كل صنف على حدة ثم طاف صلى الله عليه وسلم بها وامر ان يكيل من كل واحد منها فوفى الدين وفضل بعد آصع كثيرة وفي رواية وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك * وشهد جابر العقبة الثانية مع السبعين قيل وكان اصغرهم واستغفر له المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة * وروي انه قال اقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفتل

النّاسُ فلم يبقَ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الّا اثنى عشر رجلاً انا فيهم فانزل الله تعالى واذا راوا تجارةً او لهواً انفضّوا اليها وتركوك قائماً * واراد شهود بدر فخلّفه ابوه على اخواته وكنّ تسعًا وخلّفه ايضًا يوم احد ثم شهد ما بعد ذلك لكن في البخاري انه كان ينقل الماء يوم بدر * ومات بالمدينة بعد ان ذهب بصره سنة ثلاث او ثمان وسبعين عن اربع وتسعين سنة وصلّى عليه ابان بن عثمان بن عفان وهو يومئذٍ اميرها يقال انه آخر من مات من الصّحابة بها رُوي له الفٌ وخمسمائة حديث واربعون حديثا اتفقا منها على ثمانية وخمسين وانفرد البخاريّ بستّةٍ وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين (انّ رجلاً) هو النعمانُ بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واوٌ ساكنة وآخره لامٌ الخزاعيّ شهد النعمان بدرًا وقتل يومَ أحدٍ شهيدًا وهو القائلُ يوم احدٍ اقسمتُ عليك ربَّ العزّة لا تغيب الشمس حتى اطأ بعرجتي هذه خضراء الجنّة فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم انّ النعمان ظنّ بالله عزّ وجلّ خيرًا فوجده عند ظنّه فلقد رايته يطأ في خضراها ما به عرج (سال رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال ارأيت) بهمزة الاستفهام اذ خلت على رأيت وهي بمعنى ترى اي تفتي بأنّي (اذا صلّيت المكتوبة) الصّلوات الخمس من كتب بمعنى فرض * واتّفق انّ الشبليّ جاءه رجلٌ وقال يا سيّدي انا محبّ مهجور فقال له الشّبليّ الزم باب الحبيب فمضى الرّجل ولزم المسجد فكان يصلّي الليل كلّه فاذا صلّى الفجر عفّر وجهه بالتراب وقال الهي الهجر وهو يطلب الوصال قال فما كان بعد ايّام حتى سمع من جانب المسجد يا هذا قد غفرنا لك واوصلناك (وصمت) شهر (رمضان) وهو على اربعة اقسام

صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات سواء جعل الكف عن المحرمات ابدا لا وصوم العوام وهو الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبهات واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وانشد بعضهم

صمت عن غيره فلما تجلى * كان لي شاغلا عن الافطار
وتشوقت مرة ثم لما * زارني جل عن مدى الانظار

(واحللت الحلال) اى اعتقدت حله وفعلت واجبه بقرينة السياق (وحرمت الحرام) اى اجتنبته والظاهر كما قال ابن الصلاح انه قصد به اعتقاد حرمته وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي فيه مجرد اعتقاد كونه حلالا وان لم يفعله اه ويوجه بانا لسنا مكلفين بفعل الحلال من حيث ذاته بل المصالح تترتب على فعله فلم يكن فعله شرطا في دخول الجنة بخلاف الحرام فانا مكلفون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته (ولم ازد على ذلك شيئا) من الطاعات المندوبة ولم يذكر الزكاة والحج اما لعدم فرضهما حينئذ واما لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة واما لان قوله وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات (أادخل الجنة) همزة الاستفهام فيه مقدرة والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها انما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب اهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيفما كان فان كان سالما من المعاصي كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما الم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار اصلا لكنهم يردونها على الخلاف

في الورود والصحيح ان المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم واما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو في المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد في النار احد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصي كما انه لا يدخل الجنة احد مات كافرا ولو عمل من اعمال البر ما عمل هذا مذهب اهل الحق الذي تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به عليه (قال نعم) تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضي ان الاعمال الصالحة اسباب لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحيح انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ليس الا واما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد ان يستند لفضله وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات في الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيئا منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شئ من السنن كان ذلك نقصا في دينه وان قصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها كفر وانما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا وتسهيلا عليه وتأليفا له لقرب عهده بالاسلام وخشية من نفرته لو اكثر عليه مع العلم بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغب فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على الفرائض اغتناما لما جاء من تعظيم ثوابها (رواه مسلم) في كتاب الايمان

(ومعنى) قوله (حرمت الحرام اجتنبته) اي تركته (ومعنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله) فيه نظر يعلم من كلام

ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان اولى لان
كل حلال لا يلزم فعله واوله المؤلف لامتناع ابقائه على ظاهره
لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم وانما ذلك للشارع فهو
مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (والله اعلم) بالصواب

(الحديث الثالث والعشرون)

(عن ابى مالك) وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب
(ابن عاصم) وقيل عامر وقيل عمرو (رضى الله عنه) مات فى
طاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ
وابو عبيدة وشرحبيل بن عتبة فى يوم واحد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطهور) بالفتح اسم للماء الذى يتطهر
به كسحور وفطور ووقود لما يتسحر او يفطر او يوقد به وبالضم
للفعل وهو المراد هنا اذ لا دخل لغيره فى الشطرية الآتية
الا بتكلف بان يقال استعمال الطهور الخ وزعم ان الرواية
بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين
اذ المراد الفعل كما قال المؤلف وغاية ما فيه انهم جوزوا الفتح
ثم ان الطهور عند مالك ما يتكرر منه الطهارة كالصبور
فتجوز الطهارة بالماء المستعمل وعند الشافعى هو الماء الطاهر
فى نفسه المطهر لغيره ماء كان او ترابا وقال ابو حنيفة
انه الطاهر فجوز ازالة النجاسات بالمائعات (شطر) بتقديم
الشين المعجمة على الطاء اى نصف (الايمان) الكامل بالمعنى
الأعم المركب من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال
كثيرة واحكام متعددة الا انها منحصرة فيما يطلب التنزه
عنه وهو كل منهى عنه وهو ما يطلب التلبس به وهو كل
مأمور وقيل المراد بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس واطلق الايمان

عليه لانها اعظم اثاره واشرف نتايجه وانما جعل الطهور شطرها
لان صحتها باجتماع امرين الاركان والشروط واظهر الشروط
واقواها الطهارة فجعلت كانها الشروط كلها ونوزع بان فيه تجوزا
فى قصر الايمان على الصلاة واخراج الشرط عن حقيقته الى معنى
المماثل له وهو الشرط والمجاز لابد له من قرينة واما حمل المصنف
الطهور على معناه الشرعى وهو الوضوء فنظر فيه من وجهين
احدهما انه لا يتضح معنى الشطرية الا بادعاء انه ينتهى تضعيف
الاجر فيه الى نصف الايمان وهذا وان قيل به الا انه يحتاج
الى دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر فى الوضوء بل يعم الغسل
والتيمم والطهارة من الخبث وليس واحدا من هذين النظرين
فى محله كشف ورواية ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه
اسباغ الوضوء شطر الايمان والمراد انما هو رواية الترمذى
والوضوء شطر الايمان وحينئذ فيقال يحتمل ان معناه انه
تمام الشطر لا انه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوى
وهو يرجع لمعنى الطهارة الذى قررناه اولا لكن يعكر عليه
رواية اسباغ الوضوء فانها نص فى ان المراد الوضوء الشرعى
فانه حمل الطهور على الوضوء والوضوء على معناه الشرعى
والشطر على مطلق الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال
واما قول من قال ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والوضوء
يطهر نجاسة الظاهر منه ففيه بحث لانه حينئذ ليس شطر الايمان
بل هو مماثل له فى التطهير * تنبيه خص الله الاعضاء
بالوضوء قيل لان آدم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم توجه
الى الشجرة بالوجه ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه
فامره الله بغسلها لتكفير الخطايا * ثم ان الطهور ورد فى
القرآن لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى فى البقرة

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ اى مِنَ الاوثان فلا تدع حوله وثنا يُعْبَدُ من دون الله وقال تعالى فى المفصل فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعنى من الشرك والكفر والثانى طهور القلب من الريبة كقوله تعالى ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال فى الاحزاب واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اى من الريبة الثالث الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى فى هود هؤلاء بناتى هن اطهر لكم يعنى احل لكم * والرابع الطهور من الذنب كقوله تعالى فى براءة خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اى من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله تعالى فى البقرة لهم فيها ازواج مطهرة اى من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال فى الادبار كقوله تعالى فى الاعراف اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اى يتناهون عن اتيان الرجال فى ادبارهم السابع الطهور من جميع الاحداث كقوله تعالى فى الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الاحداث والجنابة الثامن الاغتسال كقوله تعالى فى البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن اى اغتسلن التاسع بمعنى الاستنجاء كقوله تعالى فى براءة فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعنى يغسلوا اثر البول والغائط (والحمد لله) يحتمل هذا اللفظ وحده لانه افضل صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة ويحتمل هذا اللفظ وكلما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعمه (تملأ) بمثناة فوقية او تحتية والاول ارجح ولفظ ابن ماجة ملء (الميزان) اى ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والاذعان له يملأ كفة الميزان التى هى مثل طباق السموات والارض وفيه كالآيات

والاحاديث الشهيرة اثبات الميزان ذى الكفتين واللسان ووزن الاعمال بها بعد ان تجسم وتكون الحسنات جواهر بيض مشرقة والسيئات جواهر سود مظلمة او توزن صحائفها المشتملة عليها وميزان مفعال من الوزن واصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد قيل ولكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح انه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل امة ميزان ولكل انسان ميزان والجمع اما باعتبار الموزونات او لكونه ذا اجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع انه ليس للانسان الا مفرق واحد وجمل ذا عثانين مع انه ليس له الا عثنون واحد وهو شعيرات طوال تحت حنكه لكنهم سموا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العثنون عثنونا او لتعظيم شانه وتفخيمه اولان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا والكافر كالمؤمن فى وزن الاعمال لكن يؤتى باعماله فى اقبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اى نافعا او قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال ورجحت او خفت ماذا يفعل بها بعد ذلك فالجواب ان من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب داره فى الجنة فيكون ذلك زيادة فى نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره فى النار ليكون ذلك زيادة فى عذابه * تنبيه قال بعض الشافعية افضل المحامد ان يقال الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده واحتج على ذلك بما فى بعض الاخبار ان الله تعالى لما اهبط آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض قال يا رب علمنى المكاسب وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد فاوحى الله تعالى اليه ان قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا

توافى نعمك ويكافئ مزيدك فقد جمعت لك فيها جميع المحامد
وقيل افضل المحامد أن يقال الحمد لله بجميع محامده كلها
ما علمت منها وما لم اعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت
منهم وما لم اعلم واحتج له بما روى ان رجلا قال هذه الكلمة
بعرفات فلما كان من العام المقبل حج واراد ان يقولها فسمع
قائلا يقول يا عبد الله اتعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب
هذه الكلمة من العام الماضى الى الآن وينبنى على ذلك مسئلة
فقهية وهى من حلف بالطلاق ليحمدن الله بافضل المحامد
فقال كل فريق لا يبرأ الا بما قاله من تلك المحامد وقيل لا يبرأ
حتى يقول اللهم لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقيل لا يبرأ حتى يقول ليس كمثله شئ (وسبحان الله والحمد لله
تملآن) بالفوقية باعتبار انهما جملتان او بالتحتية باعتبار
انهما لفظان او ذكران او نوعان (او) شك من الراوى
(تملأ) بالفوقية اى هذه الكلمة لانها يطلق عليها كلمة
لغة كما يقال فى الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة وبالتحتية
اى هذا اللفظ او هذا الذكر (ما بين السموات والارض)
وذلك لان الحمد وحده يملأ الميزان فاذا اضاف اليه سبحان الله
ملأ زيادة على ذلك ما بين السماء والارض اذ الميزان مملوء
بثواب التحميد * وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال
سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون
حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة وانما كان كذلك
لان الحمد فى ضمنه التوحيد الذى هو لا اله الا الله ففى قوله
الحمد لله توحيد وحمد وقوله لا اله الا الله توحيد فقط واورد
على هذا قوله عليه الصلاة والسلام افضل ما قلته انا والنبيون
من قبلى لا اله الا الله واجيب بانه محمول على من اراد الخروج

من الكفر الى الاسلام بكلمة التوحيد والاول لمن استقر الايمان في قلبه * وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر * وعنه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه * وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهي في المسجد ورجع بعد ما تعالى النهار فقال مازلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلث مرات لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته * قال الامام فخر الدين الحمد لله ثمانية احرف وابواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية ابواب الجنة * وقال بعضهم اول كلمة ذكرها ابونا آدم الحمد لله رب العالمين وآخر كلمة ذكرها اهل الجنة الحمد لله رب العالمين اما الاول فلان آدم لما بلغ الروح الى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فاجابه الله تعالى برحمك الله واما الثاني فلقوله تعالى في حق اهل الجنة وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين (والصلوة) الجامعة لشرائطها المصححة والمكملة (نور) من باب قولهم زيد عدل وفي ذلك ثلاثة اوجه اما ان يكون جعله نفس العدل مبالغة في التشبيه واما ان يكون معناه ذو عدل على حذف المضاف واما ان

يكون بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلوة نفس النور مبالغة في التشبيه من حيث انها تمنع عن المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدى الى الصواب كما ان النور يستضاء به اولانها سبب في استنارة القلب واشراقه بانوار المعارف ومكاشفات الحقائق اولانها تكون نورا لصاحبها بالبهاء في الدنيا وبالاثر في القبر لقول ابي ذر صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وفي عرصات القيمة لخبر بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيمة * وفي صحيح ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلوة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة * وفي الحديث ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله في جباه المؤمنين والتحجيل نور يخلقه الله في اقدامهم وعلى الثاني يكون المعنى الصلوة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني وصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله تعالى لتشفع لصاحبها وعلى الثالث منورة لوجه صاحبها لما جاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وان لم يثبت حديثا فهو اثر عن شريك قاله لثابت لما دخل عليه * وفي روض الرياحين لليافعي عن شقيق البلخي قال طلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلوة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة (والصدقة) اى الزكاة كما في رواية ابن حبان ويصح حملها على المعنى الاعم الشامل للواجبة والمندوبة وهو اتم (برهان)

هو لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده ولها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها واصطلاحا الدليل والمرشد فهى مفزوع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيمة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين على صدق جوابه ويجوز ان يوسم المتصدق فى بسيما يعرف بها فيكون برهانا له على حاله ولا يسئل عن مصرف ماله او هى حجة ودليل على ايمان المتصدق فمن تصدق استدل بصدقته على صدق ايمانه وعلى صحة محبته لمولاه ولما لديه من الثواب لبذله محبوبه بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل واما المنافق فيمتنع منها لكونه لم يعتقدها كقضية ثعلبة الانصارى فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى مالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاود ثانيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مثل نبى الله لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة وترك ما سواها ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو حتى ترك الجمعة ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث عليه الصلوة والسلام رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فاتيا ثعلبة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه

الا انفت الجرية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا فعادا اليه فامتنع فنزل قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات وكان شخص من اقاربه حاضرا فذهب اليه واخبره فجمع زكاة ماله وأتى بها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ثم اتى بها لابي بكر في خلافته فلم يقبلها ثم لعمر ثم لعثمان وهلك في خلافة عثمان وتقدم ما فيه من رده والذى عليه المفسرون انه من المنافقين * وحكى عن بعض المذكرين انه قال في مجلسه ان الرجل اذا اراد ان يتصدق فانه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال انى اقاتل هؤلاء السبعين وخرج من المسجد واتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة واراد ان يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خرج ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا الى المسجد فقال له المذكر ماذا عملت فقال هزمت السبعين فجاءت امهم فهزمتنى (والصبر) وهو لغة الحبس ومنه المصبورة التى نهى عنها وهى الدجاجة ونحوها تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل وسمى شهر رمضان شهر الصبر لانه شهر تحبس فيه النفس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمى الصابر في المصيبة صابرا لانه حبس نفسه عن الجزع وقيل انما سمى الصبر صبرا لان تمرره في القلب وازعاجه للنفس كتمرره في الفم * وشرعا الثبات على الكتاب والسنة * وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب * وقال الاستاذ ابو على الدقاق هو ان لا ينفر من المقدور واما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافى الصبر * وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس بمشاق التكاليف وهو مساو لقول بعضهم

هو حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصايب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وافضل انواعه الاخير * فالاول لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين * قال بعضهم الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح ان يكون صاحبه قوى الجسد على الكد والكد كما هو من صفات البهائم بل ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا وبجاشه عند الحفاظ مرتبطا والفرق بين المتصبر والصابر والصبار ان الاول هو الذى يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يمنعه من التسخط خوف الله والثانى هو من تعود تحمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذى عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كلفة فى ذلك دون المرارة * تنبيهات الاول عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة * الثانى عن عكرمة انه قال طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يا رسول الله امصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة * وقيل فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو (ضياء)

فيه ما مر في نور واصله ضوء فقلبت الواو ياء كما قلبت في الصيام والقيام والضياء هو النور الذى فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض اشراق قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ونحوه للزمخشرى وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضياء لانه اخص منها لاشتمالها عليها وعلى غيرها من الطاعات لما مر فكان الضياء الاخص من النور الذى هو كالوصف الزائد عليه اولى به واورد على هذا قوله تعالى الله نور السموات والارض واشرقت الارض بنور ربها واجيب بان معنى قوله تعالى نور اى منور فاورد بقاء السؤال ولم يقل مضئ واجيب بان النور اعم واشمل لانه يكون ليلا ونهارا والضياء لا يكون الا للنهار بالشمس على ان المراد بالنور الهدى اى هادى اهلهما ثم ان جعل الضوء ابلغ من النور انكره ابن السكيت فى الفلك الدائر وقال ليس له فى اللغة شاهد ولا فى الاستعمال مساعد ولا دليل فى الآية لجواز ان يكون من التدبيج وتجنب التكرير واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس * تنبيه ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل صبر على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب عليه الصلاة والسلام على بلائه وايما امرأة صبرت على خلق زوجها اعطاها الله من الاجر مثل ما اعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون * وروى ان رجلا جاء الى عمر رضى الله عنه يشكى اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال امير المؤمنين فكيف حالى

فخرج عمر فرآه مولياً فناداه ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين جئت اشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر يا اخي اني احتملها لحقوق لها عليّ انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام فانا احتملها لذلك فقال الرجل يا امير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فاحتملها يا اخي فانها مدة يسيرة * وكان لبعض الصالحين اخ صالح يزوره كل سنة مرة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال اخو زوجك في الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب ليحتطب لاردّه الله وبالغت في شتمه وسبّه فبينما هو كذلك واذا باخيه قد حمّل الاسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل اخاه سلّم عليه ورحّب به ثم انزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم ادخل اخاه وهي تسبّه فلا يجيبها فاطعمه ثم ودّعه فانصرف على غاية من التعجب من صبره ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت امرأته من قال اخو زوجك في الله جاء يزوره قالت مرحباً وبالغت في الثناء عليه وامرته بانتظاره فجاء اخوه والحطب على ظهره فادخله واطعمه وهي تبالغ في الثناء فلما اراد مفارقته سأله عما رأى من تلك ومن هذه ومن حمل الاسد وحمله هو لها على ظهره فقال يا اخي توفيت تلك الشريسة وكنت صابراً على اذيتها وبغيها فسخر الله الاسد الذي رأيته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن احمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه * وذكر بعض المفسرين ان ابا بكر كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبّه وابو بكر لا يجيبه

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يتبسم فأجابه ابو بكر رضي الله عنه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب فتبعه ابو بكر فقال يا رسول الله ما دام يسبني كنت ساكتا جالسا فلما اجبته قمت وذهبت فقال ان ملكا كان يجيبه فلما اجبته ذهب الملك وجاء الشيطان وانا لا اكون في مجلس يكون فيه شيطان فنزل قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله * وعن بشر الحافي رحمه الله قال كان بعبادان رجل قد قطعه البلاء وسالت حدقتاه على وجهه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من جنته فوضعت رأسه على حجري وجعلت اسأل الله تعالى ان يكشف ما به فأفاق فسمع دعاءي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض علي في نفسي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعقدت مع الله عقدا ان لا أعترض احدا في نعمة اراها عليه (والقرآن) قيل تسميته بذلك توقيفية وقيل لجمعه والقرآن على وزن فعلان بمعنى مفعول بمعنى الامر والنهي والاستخبار والوعد والوعيد والقصص والمواعظ من قرأ الماء في الحوض اذا جمعه وقرأت الناقة لبنها في الضرع جمعته اي امتثلت امره واجتنبت نهيه واتعظت بمواعظه وقيل من قرأت الكتاب قراءة وقرآنا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو * فائدة عن عبد الاعلى بن النجم قال بت ليلة في ايام ابن حريش وابن خلف المغافري بمصر وكانت ليلة جمعة وانا اقول في نفسي لا ادري من اتبع هل ابن حريش واصحابه وهو يقول بخلق القرآن او ابن خلف واصحابه وهو يقول ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق قال فلما آويت الى فراشي رايت شخصا جاءني وقال قم فقمت وقال لي قل قلت وما اقول قال قل

سبحان من رفع السما * ء بلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر
ما قال خلق بالقرآن * من خلقه الا كفر
لكن كلام منزل * من عند خالق البشر

وقال اكتبه فمددت يدى فكتبته فيه فلما استيقظت رأيته مكتوبا * وقوله فى الحديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح * وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب لما مسته النار قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيمة (حجة لك) فى المواطن التى تسأل فيها كالقبر والميزان والصراط (او) حجة (عليك) فى تلك المواطن ان اعرضت عنه ولم تعمل به * وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يمثل القرآن رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف امره فيمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقول شأنك فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه فى النار قال ويؤتى بالرجل الصالح يوم القيمة قد حمله وحفظ امره فيمثل خصما فيقول يا رب قد حملته اياى فخير حامل حفظ حدودى وعمل بفرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى فما زال يقذف بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر * وفى الحديث القرآن شافع مشفع اى لمن عمل به وماحل مصدق اى لمن لم يعمل به من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه فى قفاه الى النار وماحل من المماحلة وهى المكابرة والمكايدة

ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها ومحل بفلان اذا مكر به وكاده وكأن القرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره * وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجيء القرآن يوم القيمة فيشفع لصاحبه فيكون قائدًا لصاحبه الى الجنة او يشهد عليه فيكون سائقًا له الى النار * وجاء في بعض الاحاديث من حفظ القرآن اعطي ثلث النبوة اي أعطي علم ثلث النبوة * وقال بعض السلف ما جالس احدٌ القرآن فقام عنه خاليًا بل اما ان يربح واما ان يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقيل لك اوعليك في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجع عند التنازع فتستند به على صحة دعواك او يستند به خصمك عليك * فائدة كان بعض المتصدرين للقراءة في الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث انه لا يجيز احدًا يقرأ عليه القرآن فيستحق الاجازة الا بعشرة دنانير فاتفق انه قرأ عليه رجل فقير فلما اكمل سأله الاجازة فاخبره بيمينه فتالم خاطره فاخبر اصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها الشيخ فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به فقال والله لا انفقت هذه الا في الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل الى المدينة الشريفة فلما وصل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يا رسول الله ثم قرأ عشرًا جمع فيه الايمة السبعة وقال هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سألت شيخي الاجازة فابى علي وقد استعنت بك يا رسول الله في تحصيلها ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول لك اجزني بلا شئ فان لم يصدقك فقل له بامارة زمرا زمرا فلما وصل الفقير الى مصر اخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير امارة فلم يصدقه فقال بامارة زمرا زمرا فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما افاق سأله اصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا ما اتلو القرآن فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون فحلفت لا اقرأ القرآن الا متدبرا فهما فاقمت لا اتجاوز من القرآن الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يمينى وشرعت فى حفظه فحفظته فبينما انا اتلو ذات يوم فمررت على قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقلت ليت شعرى من اى الاقسام انا ثم قلت لست من الثانى ولا من الثالث بيقين فتعين ان اكون من القسم الاول فنمت تلك الليلة حزينا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى بشر قراء القرآن انهم يدخلون الجنة زمرا زمرا ثم اقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه وقال اشهدكم على انى قد اجزته ليقرأ ويقرئ من شاء وكل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل الناس) اى كل انسان (يغدو) ويقال غدا يغدو اذا بكر اى كل انسان يصبح فى اول النهار ساعيا فى تحصيل اغراضه والغدو سير اول النهار ضد الرواح مأخوذ من الغدوة بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس (فبائع نفسه) خبر مبتدأ محذوف اى فهو بائع نفسه والمبتدأ يكثر حذفه بعد فاء الجزاء (فمعتقها) من عذاب النار (او موبقها) قوله فمعتقها خبر آخر او بدل من قوله فبائع نفسه واراد بالبيع المبادلة فان عمل خيرا وجد خيرا فيكون معتقها من النار وان عمل شرا استحق شرا فيكون

موبقها او اراد بالبيع الشراء بقرينة قوله فمعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشترى اى فمن ترك الدنيا وآثر الآخرة اشترى نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك الآخرة وآثر الدنيا اشترى نفسه بالآخرة فيكون مهلكها فجعل مرور الازمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بمقابلة ما اختاره من المثمن من خير او من شر ولبعضهم

نفسى الى ما ضرنى داعى * يكثر اسقامى واوجاعى
كيف احتيالى من عدوى اذا * كان عدوى بين اضلاعى

وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم انى اصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك مرة اعتق الله ربعه من النار او مرتين فنصفه او ثلاثة فثلاثة ارباعه او اربعا فكله وكذا ان امسى لان بتكرير هذه الكلمات اربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فاعتق الله بكل حرف عضوا فان قلت من اعتق بعض عبده كمل عليه فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة او مرتين او ثلاثا فالجواب ان التكميل يقع قهرا والله تعالى منزه عن ذلك اولان ملك الله لعباده حقيقى وملك العبد لمن فى رقه مجازى فيزال بأدنى الامور اولان العتق بالسراية انما يكون عتق يحصل به الخروج من ملك المالك لا فى العتق من النار اولان العتق بالسراية رفق بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا لا يتأتى مثله فى حق الله (رواه مسلم) وكذا احمد والترمذى باللفظ المذكور

عن صحابيه المذكور قال ابن القطان اكتفوا بكونه في مسلم فلم يبحثوا عنه وقد بين الدارقطني وغيره ان فيه انقطاعا

(الحديث الرابع والعشرون)

(عن ابى ذر) جندب بن جنادة المتخلي عن الدنيا المتشمر للعقبى (الغفاري) بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء المخففة نسبة الى غفار (رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى) بصيغة المضارع اصله يرويه بحذف عائد الموصول وفي رواية فيما روى (عن ربه عز وجل) فهو من جملة الاحاديث القدسية وكان ابو ادريس راويه عن ابي ذر اذا حدث بهذا الحديث جثى على ركبتيه (انه قال يا عبادى) جمع عبد وهو لغة الانسان ليتناول الذكر والانثى والحر والعبد لكن المراد هنا بدلالة قوله الآتي انسكم وجنكم جميع الثقلين لتساويهم في التكليف وتعاقب التقوى والفجور وقال البيضاوي يجوز ان يكون عاما شاملا لذوى العلم كلهم من الثقلين والملائكة ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله وجنكم وتوجه الخطاب نحوهم لا يتوقف على الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اه وفيه بحث لانه صرح فيما يأتي بالانس والجن دون الملك فدل على ارادتهم دونه خصوصا والملائكة ليسوا من اهل الضلال والطعام وتقدير ذلك فيهم بعيد * ويا حرف نداء وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة او للاعتناء بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه كما في يا ايها الناس اعبدوا ربكم (اني حرمت) من التحريم وهو لغة المنع فشبه تعالى تنزهه عن الظلم

بتحرز المكلف عما نهى عنه شرعاً فى الامتناع عنه واستعار له التحريم ثم اشتق منه الفعل ويكون استعارة تبعية (الظلم) وهو لغة وضع الشئ فى غير محله وشرعاً التصرف فى ملك الغير بغير حق او مجاوزة الحد وكلاهما محال اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين واملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم واحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً (على نفسى) اى تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئاً فالظلم مستحيل فى حق الله عز وجل * وذهب المعتزلة الى ان الله تعالى قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلاً منه وتنزهاً واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفى الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه فلو قال شخص انى منعت نفسى من صعود السماء لسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز ان يكون مقدوراً له لجاز ان يكون موصوفا به تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يمتدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذى هو جبلة فيه وغريزة له فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم ان المنفى المبالغة فى الظلم وكثرته لا هو من اصله فالجواب من عدة اوجه ان هذه الصيغة وهى صيغة فعال قد تأتى للنسبة كتمار فقوله بظلام اى منسوب للظلم وذلك نفى له من اصله وبانه وان كان للكثرة لكن جئ به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل فى الاول المبالغة بالجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد وبان صيغة المبالغة وغيرها

في صفاته تعالى سواء في الاثبات نجري النفي على ذلك وبانه
تعريض بانه ثم ظلام للعبيد من ولاة الجور * وقال بعضهم
صفات الله تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان
عظيما بقاؤه على حد عظمته لو كان ثابتا او اراد نفي اصل الظلم
لكن القليل منه بالنسبة الى رحمة العامة الذاتية كثير وقضية
هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى على غير وجه
المشاكلة وهو الصحيح كما قال امام الحرمين بدليل كتب ربكم
على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة
تقديرية تكلف وقول اهل المعاني انها لا تطلق عليه الا مشاكلة
كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك غير صحيح
كما قال السبكي * وجمع بعض المحققين بين القولين فقال
النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة
والجسم وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشري
في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار النهي
يتناول الانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي
بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل
قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير الى الظالمين وحكي
ان الواثق صلى خلف الامام فقرأ الامام هذه الآية فغشي عليه
فلما افاق قال هذا فيمن ركن فكيف بالظالم * وعن الحسن
جعل الله الدين بين لاءين ولا تركنوا ولا تطغوا * ولما خالط الزهري
السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك من
الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك
اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت

انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اذناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا منك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك مما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية وانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء * وروى ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف قال رعاة الشاء هذا العبد الصالح الذى قام على الناس قبل لهم وما علمكم بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شائنا (وجعلته) اى الظلم (بينكم محرما) اى حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه سواء كان كاخذ مال غيره اولى كظلم النفس وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيمة * وروى ايضا ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة * وروى البخارى من كانت منه مظلمة لاخيه فليستحله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه وفى الحديث الصحيح اتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا دينار له ولا متاع قال المفلس من امتى من اتى يوم القيمة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا

وضرب هذا واخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من سيئاتهم فتطرح عليه ثم طرح في النار * وقال عليه الصلاة والسلام من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه * ولما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد بن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه واخذ منها الرقعة وقراها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم ورددت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها واكباد جوعتموها واجساد عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا لله مستجيرون واظلموا فانا لله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته وهذا وما قبله توطئة لقوله (فلا تظالموا) بتخفيف الظاء اصله تتظالموا حذفت احدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظاء بادغام الاخرى فيها * وزعم بعضهم انه الرواية اى لا يظلم بعضكم بعضا فان الله يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته * وفي الحديث ينادى مناد يوم القيمة اين الظلمة واشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشي مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشي مع ظالم ليعينه على ظلمه ازل الله قدميه على الصراط

يوم تدحض فيه الاقدام * وبعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطاء اهل بخارى وقال اعطهم فقال اعفنى فلم يزل يستعفيه حتى اعفاه فقال ما عليك ان تعطيهم انت ولا ترزأهم شيأ فقال انى لا احب ان اعين الظلمة على شئ من امرهم * (فائدة) * ان قيل اى آية فى كتاب الله اخوف فالجواب قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل من يعمل سوءا يجز به وقيل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل ام حسب الذين اجترحوا السيئات قال الطيبى ولما ذكر ما اوجبه من العدل وحرمة الظلم على نفسه وعلى عباده اتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم الا ان يكون هو الميسر لذلك مشيرا الى ان ذلك الجلب والدفع اما فى الدين او الدنيا فصارت اربعة اقسام وهى الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة فى الدين والاطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة فى الدنيا واهم هذه الاقسام طلب الهداية ولذا افتتح بها فقال (يا عبادى) كرر النداء زيادة لشرفهم وتعظيمهم (كلكم ضال) اصل الضلال فى اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذى قال لبنيه اذا مت فاحرقونى ثم ذرونى فى الريح لعلى اضل ربى اى يخفى موضعى عليه وضل الكافر اذا غاب عن الحجة ومن هذا قوله ائذا ضللنا فى الارض اى غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله تعالى فى الانعام لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعنى غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال فى الانعام وضل عنهم ما كانوا يفترون

يعني غاب عنهم ذكر الآلهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان
ومنه قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
ومعنى تضل تغفل وتسهو وضل اى لم يهتد يقال رجل ضال
اذا اخطأ الطريق ورجل مضلل اذا لم يتوجه لخير قال الشاعر
المرتسال فتخبرك الديار * عن الحي المضلل اين ساروا
وليس المراد بالضلال المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن اخوة
سيدنا يوسف انك لفي ضلالك القديم اى في محبتك القديمة
ليوسف وكما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى اى محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم
بتفصيل الامور وعليه حمل اكثر المفسرين قوله تعا ووجدك
ضالا فهدى اى غير عالم تفصيل شريعتك وقوله كلكم ضال
اى فاقد طريق الهداية او سالك طريق غيرها من الضلالة
وهي فقدان طريق لا يوصل الى المطلوب وقيل سلوك طريق
لا توصل اليه وضلال الطريق العدول عن سمته (الا من هديته)
الهداية هي لغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير
الا تهكما كقوله تعا فاهدوهم الى صراط الجحيم وفي عرف
اهل الحق الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل او لم
يحصل * وعند المعتزلة الدلالة الموصلة اليه قال بعضهم
ولا نزاع بينهم في الحقيقة لان الهداية تجيء تارة بمعنى خلق
الاهتداء نحو يهدى من يشاء فلهذا نفى الهداية من قوله تعالى
انك لا تهدى من احببت * وتارة بمعنى بيان طريق الحق
فلهذا نسبت الهداية اليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعا وانك
لتهدى الى صراط مستقيم * وذكر الخازن في تفسير
قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
ما نصه وقيل ما الفرق بين البيان والهدى والموعظة

لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين (فاستهدوني) اي اطلبوا مني الهداية اي الدلالة الموصلة الى طريق الحق (اهدكم) بفتح الهمزة وكسر الدال اي الطريق المستقيم وفي هذا اشارة الى انه تعالى لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته) لان الخلق ملكه ولا ملك لهم بالحقيقة وهو الرازق وخزائن الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيئا فمن لم يطعمه بفضله بقي جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام احد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فالجواب ان هذا الالتزام منه تفضلا لا ان عليه للدابة حقا بالاصالة اذ لا يجب عليه شئ وشبه هذا قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولا يمنع من نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على اسبابها الظاهرة كالصنائع لانه المقدر لها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا عكسه بل يعطي كل مقام وحال حقه واعلم ان المقرر في علم الكلام ان من اعتقد ان شيئا من الاسباب العادية يؤثر بطبعه اي بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد ان الله تعالى خلق فيها قوة تؤثر فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان وان من اعتقد انها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها وانما المؤثر هو الله

عز وجل ولكن التلازم بينها وبين مقارنها عقلى لا يمكن تخلفه
فهذا جاهل بحقيقة الحكم العادى وربما جره ذلك الى الكفر
وان من اعتقد حدوث الاسباب وانها لا تؤثر بطبعها ولا
بقوة جعلها الله فيها ويعتقد صحة التخلف بان يوجد السبب
ولا يوجد المسبب وان المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى
فهو الموحد الناجى ﴿فائدتان﴾ الاولى ورد فى
الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان
وهو يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد
وهو يسأل الله عز وجل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور
وهو يسأل الله عز وجل الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر
وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير * واخرج الشيخان وغيرهما
المسلم يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء *
واخرج مسلم اضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا كافرا
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها
ثم اخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه
اصبح فاسلم فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت
فشرب حلابها ثم اخرى فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم
ان المسلم يشرب فى معاء واحد والكافر فى سبعة امعاء *
واخرج البزار بسندين احدهما رجاله ثقات اكثر الناس
شبعا فى الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيمة قاله لابى جحيفة لما
تجشى قال فما ملأت بطنى منذ ثلاثين سنة * الثانية
اخرج البيهقى بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة رضى الله عنها
قالت رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اكلت فى اليوم مرتين
اما تحبين ان يكون لك شغل الا جوفك الاكل فى اليوم مرتين
من الاسراف والله لا يحب المسرفين * وصح خبر من الاسراف

ان تاكل كلما اشتهيت (فاستطعمونى) اى سلونى الطعام ولا يغرنه ذا الكثرة ما فى يده فانه ليس بحوله ولا قوته بل الله تعالى هو المتفضل عليه (تنبيه) * ورد الطعام فى القرآن على وجوه الاول الطعام الذى ياكله الناس كقوله تعالى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقال فى الانعام وهو يطعم ولا يطعم الثانى الذبائح كقوله تعالى فى المائدة وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم بمعنى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم * الثالث الطعام بمعنى السمك كقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه بمعنى السمك الرابع بمعنى الشرب كما فى قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى فى البقرة ومن لم يطعمه فانه منى يعنى ومن لم يشربه فانه منى فينبغى له مع ذلك ان لا يغفل عن سؤال ادامة الله نعمته عليه لانه قلما نفرت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت عليهم (اطعمكم) اى اليسر لكم اسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله فيسخر السحاب يسعى فى بعض الامكنة ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويحوج فلانا الى فلان لينال عنه نفعا والانسان وان صبر على الجوع لا بد له من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن ابى نعيم لا ياكل فى الشهر الا مرة فادخله الحجاج بيتا واغلقه ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا انه مات فوجده قائما يصلى فقال تصلى بغير وضوء فقال انما يحتاج الى الوضوء من ياكل ويشرب وانا على الطهارة التى ادخلتنى عليها * واسر الروم امراة فى زمن سيف الدولة فهربت ومشت مائتى فرسخ لم تاكل شيئا فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشى فقالت كلما جعت قرأت قل هو الله احد

ثلاث مرات فاشبع ففي الحديث لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه * وقال لعائشة اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع والظما * وقال ايضا ما من عمل احب الى الله من الجوع والظما * (فائدة) * قال الزمخشري لو سئل اهل القبور ما سبب قصر آجالكم لقالوا التخمة * ولقد احسن القائل فيمن كثر اكله فقال

يميت الطعام القلب ان زاد كثرة * كزرع اذا بالماء قد زاد سقيه
واي لبيب يرتضي نقص عقله * باكل لقيمات لقد ضل سعيه

(يا عبادي كلكم عار) كما نزل من بطن امه محتاج الى الكسوة (الا من كسوته فاستكسوني) اي اسألوني الكسوة وهي اللباس (اكسكم) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها اي ايسر لكم الاسباب المحصلة لها * ومما نقل عن حكم عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ابن آدم انت اسوء بربك ظنا حين كنت اكمل الناس عقلا لانك تركت الحرص حين كنت صبيا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا قد اصبت رشدك وبلغت اشدك * وذكر اللباس والطعام لشدة الحاجة اليهما اذ لا مندوحة عنهما بل هما اصل من امور الدين وتكمل بهما منافعه (يا عبادي انكم تخطؤن) بضم التاء وكسر الطاء على الاشهر اي تفعلون الخطيئة عمدا وروي بفتح التاء والطاء على وزن تقرؤن ويقال خطأ اذا فعل ما يأثم به فهو خاطئ ومنه انا كنا خاطئين ويقال في الاثم ايضا اخطأ فهما صحيحان قاله المؤلف وزعم بعضهم انه لا يجوز ان يكون هذا من الرباعي لان الفعل عن غير عمد وهو لا يؤاخذ به لحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل فاستغفروني بخلافه من الثلاثي فانه يكون عن عمد

ونوزع بانا لا نسلم ان الخطأ منحصر في الفعل من غير قصد بل يأتي بمعنى الثلاثي ايضا اي فعل الخطيئة عمدا (بالليل والنهار) قدم الليل لشرفه واصالته لانه وقت العبادة والخلوة ولان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها يسترها ولان الشهور غررها الليالي وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع اي يصدر منكم الخطأ لا دائما بل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب ان العبد لا يستغرق الدهر كله في الخطايا (وانا اغفر الذنوب جميعا) هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاء الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وسبب نزول الآيتين ما روي عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان اراك على غير جواري فلما اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله فانزل الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فلعلي ممن لا يشاء الله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فقال نعم الآن لا ارى شرطا فاسلم وقوله وانا اغفر الذنوب جميعا اورد الخبر مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وعرف الذنو

بلام الاستغراق واكدها بقوله جميعًا المفيد كل منهما للعموم ليقوى الرجاء فلا يقنط احد (فاستغفروني) اى اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم واصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفرة وقاية تستر الرأس في الحرب وغفران الذنب ستره (اغفر لكم) لقوله صلى الله عليه وسلم لولا تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قيل ومن لازم على هذه الاشياء السبعة عاش سعيدًا ومات شهيدا احدها ان يقول عند ابتداء كل شئ بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا اذنب ذنبًا قال استغفر الله واذا اراد ان يفعل فعلًا قال ان شاء الله فينبغي للانسان ان يعود لسانه عليها * وذكر عن وهب بن منبه ان ابليس لعنه الله لقى يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام فقال له يحيى اخبرني عن طبائع بني آدم عندكم فقال ابليس اما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ وصنف ثان فهم في ايدينا كالكرة في ايدي الصبيان وقد كفونا انفسهم والصنف الثالث فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا ما ادركنا منه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك حاجتنا منه (يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري) بضم الضاد وفتحها (فتضروني) بحذف نون الاعراب في جواب النفي (ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) اى لا يلحقني ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وما قتضاه ظاهر الحديث من ان لضره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد

غير مراد بل عومؤ قل بما ذكر من باب قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر *
وقوله * على لاحب اى طريق لا يهتدى لمناره * اى لاضب فلا انجحار
ولا منار فلا اهتدا والمعنى هنا لا يتعلق بى ضر ولا نفع فتضرونى
او تنفعونى قال بعض الكاملين وفى قوله لن تبلغوا ضرى الخ
اشعار بان ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران
ليس لدفع ضر ولا لجلب نفع بل بمحض فضل (يا عبادى لو ان
اولكم وآخركم وانسكم وجنكم) سمى الانس انسا لظهورهم
وانهم يونسون اى يبصرون وسمى الجن جنا لاجتنانهم
قال فى شرح المقاصد والجن اجسام لطيفة هوائية تتشكل
باشكال مختلفة ويظهر منها احوال عجيبة والشياطين اجسام
نارية شأنها القاء الناس فى الفساد والغواية اه والظاهر
ان المراد كل منهما كما يدل عليه السياق (تتمة * قال المؤلف
الجن موجودون وقد يراهم بعض الآدميين واما قوله تعالى
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو
كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم فى الشيطان
الذى تفلت عليه فى صلاته لقد هممت ان اربطه حتى تصبحوا
تنظرون اليه كلكم وتلعب به غلمان المدينة * وقال القاضى
عياض قيل رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة
لظاهر الآية الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له
العادة وانما يراهم بنو آدم فى غير صورهم كما جاء فى الآثار
قلت هذه دعوى مجردة فان لم يصح لها مستند فهى مردودة
اه كلام المؤلف وبجزم شيخ الاسلام بما جزم به المؤلف *
وقوله انسكم وجنكم بيان وتفصيل بعد اجمال (كانوا) كلهم
ثقاة بررة (على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى
بضم الميم (شيئا) لفظ الترمذى ما زاد ذلك فى ملكى

جناح بعوضة ولفظ ابن ماجة لم يزد فى ملكى جناح بعوضة
قيل اراد باتقى قلب رجل واحد محمدًا صلى الله عليه وسلم (يا عبادى
لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا) كلهم عصاة فجرة
(على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا) ولفظ
ابن ماجة ولو اجتمعوا وكانوا على اشقى قلب عبد من عبادى
لم ينقص من ملكى جناح بعوضة اى لا ينقص ملكه بكفر
الكافرين ولا بمعصية العاصين بل ملكه كامل لا نقص فيه
بوجه من الوجوه واراد بافجر قلب رجل الشيطان وهو من الجن
عند اكثر المتكلمين (يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم
وجنكم قاموا) وللترمذى وابن ماجة اجتمعوا (فى صعيد
واحد) الصعيد وجه الارض وظاهرها اى ارض واحد
ومقام واحد (فسألونى فاعطيت كل انسان) منهم
(مسئلته ما نقص ذلك) الذى اعطيته (مما عندى) ولفظ
الترمذى وابن ماجة من ملكى اى لان امره بين الكاف والنون
اذا اراد شيئا قال له كن فيكون * وفى مسند البزار عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خزائن الله الكلام اذا اراد
شيئا قال له كن فكان وليس المراد ان هناك قولا يتوقف عليه
الايجاد وانما هو كناية عن وجوده فى اسرع وقت عقب
تعلق الارادة به فعبر عن تلك السرعة بزمن كن اذ لا يمكن
اقل منه فى القول ولا يستنكر العطاء الكثير مع عدم النقص
فالنار والعلم يقتبس منهما ولا ينقص منهما شيئا بل يزيد العلم
بالعطاء * وقال القاضى قيد السؤال بالاجتماع فى مقام
واحد لان تزاحم السؤال مما يضجر عنه المسؤل ويدهشه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (الا كما ينقص المخيط) بكسر الميم
وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية اى الابرة آلة الخياط

(اذا دخل البحر) المحيط بالدنيا اى بالنسبة الى رأى العين
اذ هو فى رأى العين لا ينقص من البحر شيئا فكذلك الاعطاء
من الخزائن الالهية لا ينقصها شيئا البتة وهذا بظاهره
يخالف قول الخضر لموسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله عز وجل
الا كما ينقص هذا العصفور الذى رأياه يشرب من هذا البحر
فان شرب العصفور من البحر لا بد وان ينقصه شيأ وان قل
والابرة يتعلق بها ما تبتل به الا انه بحسب الرؤية لا تنقص شيأ
ويحكى ان رجلا سأل ابن الجوزى عن شرب العصفور من
البحر فقال افعه شئ يضعه فيه وهذا جواب على جهة التحقيق
وقول الخضر لموسى على جهة التقريب واما لو فرضنا الوجود مملوأ
حبا واخذ العصفور منه واحدة لنقصه بالضرورة لكن ليس ثم
ما ينقصه * ولفظ الترمذى الا كما لو مر احدكم بالبحر فغمس فيه
ابرة ثم رفعها اليه ولفظ ابن ماجة الا كما لو ان احدكم مر بشفة
البحر فغمس فيها ابرة ثم نزعها ونقص يستعمل لازما كنقص
المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان
محل اذا دخل البحر نصب به (يا عبادى انما هى) الضمير راجع
الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب رجل وهى الاعمال
الصالحة والقبيحة او هى ضمير الشان يفسره (اعمالكم احصيها)
اى اضبطها واحفظها (لكم) بعلمى وملائكتى الحفظة لا لاحتياج
لهم بل ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه ولهذا يقال يوم القيمة لبعض
الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين
شهودا (ثم اوفيكم اياها) اى اعطيكم جزاءها وافيا تاما
خيرا كان او شرا فحذف المفعول الثانى وهو المضاف فانقلب
الضمير المخفوض المتصل بالاضافة معنويا منفصلا والتوفية
اعطاء الحق على التمام والكمال والتوفية تكون فى الآخرة لقوله تعالى

وانما توفون اجوركم يوم القيمة او في الدنيا ايضا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيئاته (فمن وجد خيرا) اى ثوابا ونعيما او حياة طيبة هنيئة (فليحمد الله) تعالى على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما في انا اعطيناك الكوثر فصل لربك تجديدا لنشاط السامع واهتماما بذكر اسم الله دون الضمير وتفخيما لشانه وايقاظا للاصغاء (ومن وجد غير ذلك) اى شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يؤذى او يستهجن او يستحيي منه او اشارة الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف فعله (فلا يلومن) بالنون للتحذير (الا نفسه) لتفريطه بكسبه القبيح المترتب عليه ذلك لان للعبد جزأ اختياريا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا فلا يلومن الا نفسه مؤذن بان العبد هو الخالق لافعاله القبيحة ورد بما ورد شاهدا باسناد جميع الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث آثرت شهواتها على رضى خالقها فكفرت بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها جزاءها بجوده وفضله (رواه مسلم) في كتاب الادب ورواه ايضا احمد والترمذى وابن ماجه عن صحابيه المذكور ولجلالته وعظم فوائده كان ابو ادريس راويه عن ابى ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له

(الحديث الخامس والعشرون)

(عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه ان ناسا) هم فقراء المهاجرين كما بينه في رواية البخارى من حديث ابى هريرة وسمى منهم

فى رواية ابى داود ابابكر وفى رواية النسائى ابا الدرداء قال فى الفتح والظاهر ان اباهريرة منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافى بين رواية فقراء المهاجرين وعد زيد معهم انه انصارى لاحتمال التغليب (من اصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من بينك وبينه مواصلة وان قلت وعرفا قال الحافظ ابن حجر من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك والمراد باللقاء ما هو اعم من المجالسة والمماشاة ووصول احدهما الى الاخر وان لم يكالمه ويدخل فيه رواية احدهما للآخر وهو اولى من قول بعضهم من رأى لانه يخرج ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مؤمنا به يخرج من لقيه كافرا ثم اسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مؤمنا بغيره فقط من الانبياء * ونقل شيخ الاسلام ان فى كلام ابن حجر ما يدل على انه لقيه فى حال نبوته وحينئذ فيخرج من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة كزيد ابن عمرو بن نفيل وعن ابن منده فى الصحابة قال شيخ الاسلام ولابد ان يكون اللقى قبل وفاته ليخرج من لقيه بعدها كما وقع لابى ذويب خويلد بن خالد الهذلى واشترط شيخ الاسلام ايضا فى الملاقى ان يكون مميزا فيخرج عبد الله بن عدى ابن الخيار الذى احضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طلحة الانصارى او مسح وجهه كعبد الله بن ثعلبة بن صعير * فهؤلاء لهم رؤية وليس لهم صحبة وهو ظاهر كلام ابن ابى زرعة الرازى وابى حاتم وابى داود * وجزم ابن قاسم تلميذ المحلى فى شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السنهورى مصرحا بان فيه خلافا واما من ارتد بعد صحبته ففضيته

مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقى النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم كما في الاشعث بن قيس فانه ارتد وأتى به اسيرا لابي بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوجه اخته • والظ اشتراط رؤيته في عالم الشهادة فلا يطلق اسم الصحبة على من رآه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير ذكر مؤمني الجن في الصحابة دون مؤمني الملائكة وهم اولى بالذكر من هؤلاء واجيب بان الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه ممن رآه حسنا بخلاف الملائكة والظ ان عيسى يطلق عليه اسم الصحبة ايضا لانه رآه في الارض (قالوا النبي) بالهمز من النبأ وهو الخبر وعليه ففعيل يحتمل ان يكون بمعنى مفعول اذ هو منبأ بالغيوب او بمعنى فاعل او مفعل اذ هو منبئ بما اطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز في هذين الوجهين تسهيلا وانما في لغة من لا يهمز فهو مأخوذ من النبوة بفتح النون وهي ما ارتفع من الارض يقال نبا الشيء اذا ارتفع فالمعنى على هذا ان النبي مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تنقولوا يا نبيء الله بالهمز بل قولوا يا نبي الله اي بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريق فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي اسلامهم

وتواترت به القراءات نسخ النهي عنه لزوال سببه (صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب اهل الدثور) الذهاب المضي ويستعمل في المعاني والاعيان يقال ذهب في الارض ذهابا مضى

وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهبا رأى فيه رأيا واحدث فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير قال الخطابي وقع في رواية البخاري اهل الدور وجرى عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور وهكذا رواه الناس كلهم (بالاجور) جمع اجر وهو ما يعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوي او الاخروي والمراد هنا الثاني ولا يقال الا في النفع دون الضر بخلاف الجزاء ورواية البخاري بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز بالمقيم عن العاجل فانه قل ما يصفو وان صفا قليلا اعقبه الكدر والزوال وزاد البخاري في الدعوات قال وكيف ذلك قالوا (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم) زاد في حديث ابي الدردا ويذكرون كما نذكر (ويتصدقون بفضول اموالهم) اي باموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة بل قد تحرم لحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقول ولفظ البخاري في الدعوات وانفقوا من فضول اموالهم وليس لنا اموال ولمسلم في الصلاة ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق وقولهم ذلك ليس حسدا بل تحسرا على ما فاتهم من الصدقة والبر مما لا يقدرون عليه وتعذر عليهم فعله لفرط حرصهم وفوق رغبتهم في العمل الصالح ظنا منهم ان الصدقة لا تكون الا بالمال فارشدهم المصطفى الى ان بكل نوع صدقة حيث (قال) لهم جوابا عن ذلك تطمينا لخاطرهم وتقريرا لكونهم ربما ساووا الاغنياء (اوليس) الهمزة للانكار وليس بمعنى لا اي لا تقولوا ذلك فانه (قد جعل الله لكم ما تصدقون) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية

لتمكن المصلوب به في ولاصلبنكم في جذوع النخل استعارة مكنية واثبت لها ما هو من خواصه تخييلاً وقوله صدقة بالنصب اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور هو الخبر المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة (وكل تكبيرة) اى قول الله اكبر (صدقة) فيه وما بعده وجهان كما قال ابن فرج الرفع على الاستئناف والنصب عطفاً على صدقة وهو الاجود (وكل تحميدة) اى قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله واحمد الله ونحمد الله وحمدت الله ونحو ذلك (صدقة) وتسمية هذا وما قبله وما بعده صدقة من مجاز المشابهة اى اجراً كاجر الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف اجراً فبقي اجر صدقة ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه وقيل معناه انها صدقة على نفسه (وكل تهليلة) اى قول لا اله الا الله (صدقة) قالت ام هانئ بنت ابي طالب كنت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني شيئاً اقوله وانا جالسة فقال قولي الله اكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة متقبلة قولي سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله قولي الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسمعيل تعتقيهم وقولي لا اله الا الله مائة مرة لا يدركها شئ ولا يسبقها وفي رواية احمد والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملي عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة ولا احسبه الا قال تملأ ما بين السماء والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا ان يأتي بمثل ما اتيت به + وفي الحديث ايضاً

مَن كبّر مائة وسبّح مائة وهلّل مائة كان له خير من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها * وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مؤمن يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن حتى يجئ بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (وامر) نكره ايذانا بان كل فرد من افراده صدقة وكذا نهي ولو عرفا لاحتمل ان ال استغراقية او عهدية فلا يفيد النص على ذلك وهو اما مجرور او مرفوع لما سلف وعلى الثاني سوغ الابتداء به لكونه عاملا في الجار والمجرور وكذا نهي (بالمعروف) عرفه اشارة لتعظيمه ولتقرره وثبوته وانه مألوف معهود في عرف الشرع (صدقة) بشروطه الآتية (ونهي عن منكر) نكره لتحقيره ولانه في حيز المعدوم والمجهول الذي لا الف للنفس فيه (صدقة) بشروطه الآتية ويدخل في الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع السنة ويدخل في النهي عن المنكر النهي عن الكفر وعن البدعة واخرهما عما قبلهما رعاية للترقي لوجوبهما بخلاف ما قبلهما والواجب افضل من غيره بل نقل امام الحرمين ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين ضعفا لحديث ورد فيه (وفي بضع) بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع واراده كل منهما صحيح هنا وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفي وطئ بضع (احدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه او زوجته عن نظر او فكر محرم او قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به او طلب ولد يوحد الله او يكثر به المسلمون

او يكون له فرطاً اذا مات لصبر عليه * وقد كان عمر رضى الله عنه يتزوج المرأة لا قصد له فيها الا ارادة الولد للمكاثرة ؛ وليموت فيكون له اجر فعلم ان المباح يصير طاعة بالنية الصالحة * وانما اعاد فى هنا لان هذا النوع من الصدقة اغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته * عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا زيد تزوج تزدد عفة الى عفتك ولا تتزوج خمسا لا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا * اما الشهبرة فهى الزرقاء البذية واللهبرة الطويلة المهزولة والنهبرة القصيرة الذميمة والهيدرة العجوز المدبرة واللفوت ذات الولد من غيرك رواه الديلمى فى مسند الفردوس (قالوا) متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يفعل ما للنفس فيه حظ وفيه ثواب (ايأتى احدنا شهوته فيكون له فيها اجر) اى بسببها كما فى حديث فى النفس المؤمنة مائة من الابل او هى باقية على ظرفيتها مجازا جعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها منشأ ٥ وهو مرتب عليها كما فى لاصلبنكم فى جذوع النخل (قال ارأيتم لو وضعها) اى شهوته (فى حرام كان) قال الطيبى انجم همزة الاستفهام على سبيل التقرير بين لو وجوابها تأكيدا للاستخبار فى قوله ارأيتم (عليه وزر) اى اثم وجوابه محذوف كأنهم قالوا نعم فقال (فكذلك) اى فمثل حصول الوزر له بوضعها فى الحرام حصول الاجر (اذا وضعها فى الحلال كان له اجر) بالرفع والنصب كما فى شرح مسلم والرفع ظاهر لان اجر اسم كان وله خبرها واما النصب فتقديره كان ذلك الوضع اجرا

(رواه مسلم) وفي رواية له فرجع الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا مشعر بتفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلاني والسيوطي وهو الاصح لان الغني يؤجر من وجوه منها الشكر ومنها الصبر على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير يؤجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضى والشكر والثاني تصرفه فيما لا بد منه من نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو اوائل احواله صلى الله عليه وسلم والغنى مع الشكر هو آخرها وعادة الله الجارية مع انبيائه ورسله انهم لا يختم لهم الا بافضل الاحوال فختمه لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على انه افضل من الفقر مع الصبر * ولحديث سعد في الوصاية انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة * ولحديث كعب بن مالك حيث استشار في الخروج عن ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك * وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر افضل واليه ذهب جمهور الصوفية لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى * وقال الداودي ان الذي اعطي الكفاف افضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وان الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا وانما الحديث الذي اخرجه الترمذي

اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا الحديث فهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لا يجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بأن كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والاحسان والمواساة واداء حقوق المال وشكر المالك الديان واذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضى والصبر والقناعة واما من يصلح حاله بالغنى فقط بان يؤدي حق الله في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر فالغنى افضل اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى فالفقر افضل اتفاقا فان قلت ما حقيقة الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغنى ما زاد على المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشتكي فقره اه فقد بين ان الغنى ما زاد على الحاجة وبين الغني الشاكر بانه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل الواجب كان اولى وقوله ما زاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج اليه في كل يوم كان غنيا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني الشاكر هو الذي لا يبغي مما يدخل عليه من المال الحلال الا ما يحتاج اليه حالا او ما يرصد لاحوج ونحوه

* (الحديث السادس والعشرون) عن ابي هريرة رضي الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الالف وهي في الاصل عظم يكون في فرسن البعير كما قال ابو عبيدة قال الجوهري والفرسن من البعير بمنزلة الحافر للدابة وقال بعضهم السلامى اسم لاصغر ما في البعير من العظام ثم عبر بها عن مطلق العظم من الآدمي وغيره * وفي حديث عائشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل ففي كل مفصل

صدقة . وقال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة وستون
عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن
او سكن المتحرك لم ينم وسلامى واحد وجمعه سواء عند الاكثر
وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء (من الناس) اى
من كل واحد من الناس (عليه) ظاهره الوجوب وليس كذلك بل
هو مندوب وندبه كما قال ابن ابي جمرة بالاستقراء من خارج لا
بالصيغة وذكر الضمير وان كانت سلامى مؤنثة باعتبار العظم
والمفصل لا لرجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ما تضاف اليه
كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان كل نفس لما عليها حافظ
وكل شيء فعلوه في الزبر وهي في الحديث هنا اضيفت لمؤنث فلو
رجع اليها لانث (صدقة) شكرا لله تعالى عليها لان تركيب هذه
العظام وسلامتها من اعظم نعم الله تعالى على عبده فيحتاج
كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير
واحد منها عما هو عليه لاختل نظمه وتعطلت احواله وتكدر
عيشه وضاق ذرعه كما لو قصر الطويل او طال القصير او رق
الغليظ او غلظ الرقيق وخصت السلامى بالذكر لما في التصرف
بها من دقائق الصنائع التي اختص بها الانسان وتحيرت
فيها الاوهام ولذا قال الله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه
اى نجعل اصابع يديه ورجليه مستوية شيئا واحدا كخف البعير
وحافر الحمار فلا يمكن ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة
ذات المفاصل من فنون الاعمال دقها وجلها ولهذا السر غلبت
الصغار من العظام على الكبار وايضا فالصدقة تدفع البلاء
فبوجودها عن اعضائك يرجى اندفاع البلاء عنها فقد حكي
انه كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله
عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب

قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فاكل احدهما وتصدق بالآخر
واحتطب ثم جاء بحطبه سالماً فلم يصبه شيء قال فدعاه صالح
وقال اى شيء صنعت اليوم قال خرجت ومعى قرصان فتصدقت
باحدهما واكلت الآخر فقال صالح عليه السلام حل حطبك فحله
فاذا فيه اسود مثل الجذع عاض على جذر من حطب قال بهذا دفع
عنك يعنى بالصدقة * وروى ان قصاراً كان فى زمن عيسى
السلام وكان يفسد على الناس اقمشتهم فسألوا عيسى ان يدعو عليه
بالهلاك فاقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه
فعجبوا من ذلك واخبروا عيسى فطلبه فحضر برزمته فقال له
افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد الجم بلجام من حديد
فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام ما صنعت اليوم من الخير
فقال ما صنعت شيئاً الا ان رجلاً نزل الى من صومعته فشكى
الى جوعاً فدفعت له رغيفاً كان معى فقال له عيسى ان الله قد
بعث لك هذا العدو فلما تصدقت امر الله ملكاً فالجمه بهذا اللجام
قال الطيبى وكل سلامى جمعنا ومن الناس صفته وعليه صدقة

الجملة خبر والراجع الى المبتدا الضمير المجرور فى الخبر (كل يوم)
منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد
يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال فى
يوم صفين وهو مدة ايام وعن مطلق الزمان قليلاً كان او كثيراً
ليلاً كان او نهاراً كما فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان وقوله وآتوا
حقه يوم حصاده وقوله يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة
ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعن مقابل
الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام ولما
كان الاخير هو المراد بينها بقوله (تطلع) بضم اللام (فيه الشمس)
حتى يصبح سليماً من الآفات باقياً على الهيئة التى تتم بها منافعه

وافعاله فالصدقة في مقابل ما في تلك السلامى من النعم* وفي بعض الآثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن واذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام * وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية الملك الخفي اي في النعيم المسؤل عنه يوم القيمة المعني بقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم * وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا * وشكى شخص الى يوسف بن عبيد ضيق حاله فقال له يوسف ايسرك ان لك ببصرك مائة الف درهم فقال الشخص لا قال فبيديك قال لا قال فبرجليك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال ارى عندك الوفا وانت تشكو الحاجة * واخرج ابن ابي الدنيا بسند فيه ضعف يؤتى بالنعيم يوم القيمة وبالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فلم تترك حسنة الا ذهبت بها ولما كان المتبادر من الصدقة صدقة المال بين انها لا تنحصر فيه بقوله (تعدل) اي ان تعدل لانه في محل رفع مبتدا وخبره صدقة فحذفت ان فارتفع الفعل كما في قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق فالاصل ان يريكم لانه في موضع رفع مبتدا خبره من آياته او اوقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان ونظيره تسمع بالمعيدي خير من ان تراه * اي سماعك (بين الاثنين) المتحاكمين او المتخاصمين او المتهاجرين اذا كان حاكما او مصلحا اذ انوي به رفع المنافرة بينهما ساعة وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري بين الناس اخرج الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال يا اباهريرة

عدل ساعة خير وافضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا ابا هريرة جور ساعة في حكم اشد واعظم عند الله من معاصي ستين سنة * وفي الحديث الا انبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين اذا تقاطعوا * وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس عند الله يوم القيمة المصلحون بين الناس * وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين * وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال من اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس * وعن انس ابن مالك رضي الله عنه انه قال من اصلح بين اثنين اعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما احسن قول القائل

ان الفضائل كلها لو جمعت * رجعت باجمعها الى شيئين
تعظيم امر الله جل جلاله * والسعي في اصلاح ذات البين

(صدقة) عليهما لوقايتهما ما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما اشار الله تعالى بقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وجاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة لئلا تدوم العداوة (وتعين) فيه وما بعده مامر في تعدل (الرجل) وصف طردي (في دابته) وفي معناها السفينة (فيحمل عليها او يرفع له متاعه) اصله ما يتبلغ به المسافر (صدقة) منك عليه قال الحافظ ابن حجر قوله فيحمل عليها اعم من انه يريد يحمل عليها المتاع او الراكب وحمل الراكب اعم من ان يحمله كما هو او يعينه في الركوب وقوله او يرفع اما شك من الراوي او تنويع (والكلمة الطيبة) من نحو ذكر ودعاء للنفس والغير وثناء بحق وسلام عليه ورد

وتشميت عاطس وشفاعة عند حاكم ونصح وارشاد على الطريق
نحو سلام عليكم حياك الله وانك لمحسن وانت رجل مبارك وقد
احسنت جوارنا وغير ذلك لانه مما يسر السامع ويؤلف القلوب
او غير ذلك (صدقة) منه على نفسه لما فيه من سرور السامع واجتماع
القلوب وقد ورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة
تسعون لاكثرهما بشرا وعشر لاقلهما رواه فى العوارف مرفوعا
(وبكل خطوة) بفتح الخاء المرة الواحدة من المشى واما بالضم فما
بين القدمين وهو مبتدا والباء زائدة (تمشيها) وفى رواية
تخطوها (الى الصلاة) والظ ان مثلها الاعتكاف والطواف
وعيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات (صدقة) وفى
الحديث اذا تطهر الرجل ثم اتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه
او كاتبيه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات والقاعد
يرعى الصلاة كالقانت اى القائم فى الصلاة ويكتب من المصلين
من حين يخرج من بيته حتى يرجع اليه وفيه ايضا اعظم الناس
اجرا فى الصلاة ابعدهم اليها ممشى اى وانما كان اعظم اجرا
لما يحصل فى بعد الدار عن المسجد من كثرة الخطايا فان قيل
روى احمد عن حذيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت
القريب من المسجد كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد فالجواب
ان هذا فى نفس البقعة وذاك فى الفعل فلا يبعد دارا مشيه
اكثر وثوابه اعظم والبيت القريب افضل من البيت البعيد
واختلف فيمن قارب الخطا بحيث يساوى الخطا من داره
بعيدة والى التساوى جنح الطبرى والراجح عدم المساواة لكثرة
المشقة فى البعيد دون القريب (وتميط) بضم اوله وفتحه اى
تنحى وتزيل يقال ماط الشئ واماطه بمعنى ازاله حقيقة او حكما
بان يترك القاءه فى الطريق لما رواه البيهقى فى الشعب عن ابى

ابن قريظة بن عبد الله بن ابى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن عمرو الكلابى العامرى (رضى الله عنه) كان ينبغى عنهما لان لابيه وفادة والنواس من اهل الصفة ووقع فى مسلم انه انصارى وحمل على انه حليف لهم قال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعنى من الهجرة اى العود الى الوطن الا الاسئلة التى ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعض اصحابه فاقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود الى وطنه لكنه احب ان يتفقه فى الدين تلك المدة بسماع تلك الاسئلة التى ترد عليه صلى الله عليه وسلم واجوبتها روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البر) بكسر الموحدة وهو كما قال الزمخشرى اسم جامع للخير وكل فعل مرضى وهو فى تزكية النفس كالبر بالضم فى تغذية البدن والفعل منه بر يبر على فعل يفعل كعلم يعلم (حسن الخلق) بضم اللام وسكونها اى التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وقلة الغضب وان يحب الناس ما يحب لنفسه وهذا يرجع الى تفسير بعضهم له بانه الانصاف فى المعاملة والرفق فى المجادلة والعدل فى الاحكام والبذل والاحسان فى اليسر والايثار فى العسر وغير ذلك من الصفات الحسنة وضده الجور والاثم ولذلك قابله به وقوله البر اى معظمه فالحصر مجازى كالحج عرفة والدين النصيحة وان اريد بحسن الخلق التخلق بالاخلاق الشريفة والتأدب بآداب الله التى شرعها لعباده من امتثال امره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر فى مقابلة العقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة ويطلق على الصلة ومنه بررت والدى بالكسر

وخير من ابر الناس بي قال امك قال ثم من قال ابوك قال ثم من قال الاقرب فالاقرب * وفي المثل ابر من فلحس وهو رجل من شيبان ذكروا انه حمل اباه وكان كبيرا على ظهره فحج به * وفيه ايضا ابر به من العملس وهو ايضا رجل كان بارا بامه وكان يحملها على عاتقه الى حيث ارادت كما قال السدي * وبمعنى الصدق ومنه بر في يمينه اي صدق فيها * وبمعنى القبول ومنه بر الله حجك وابره اي قبله * وبمعنى اللطف وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى ومنه قول عمر رضي الله عنه

بني ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

ويقال بدل قوله وجه طليق الخ فعل جميل وكلام لين * وبمعنى الطاعة بسائر انواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهذه الامور كلها مجامع حسن الخلق واذا قرن البر بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخلق بالاحسان والتقوى بمعاملة الحق بطاعته او البر بفعل الواجبات والتقوى باجتناب المحرمات وقد روى الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن ان احسن الحسن الخلق الحسن رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد والخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل * وقال معاذ بن جبل آخر ما اوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلي في الغرز يعني الركاب ان قال حسن خلقك مع الناس يا معاذ * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار ولو كان القوم

وبمعنى الجنة ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر اي الجنة

بجار * وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الايمان علم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس * وقال عاصم ابن المصطلق دخلت المدينة فرأيت الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فاعجبنى سمته وحسن رؤيته فاثار منى الحسد ماكان يجنه اى يخفيه صدرى لابيه من البغض فقلت انت ابن على بن ابى طالب قال نعم فبالغت فى شتمه وشتم ابيه فنظر الى نظر عاطف رؤف فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف فقرأ الى قوله فاذاهم مبصرون ثم قال خفض عليك استغفر الله لى ولك انك لو استعنتنا لاعناك ولو استرشدتنا لارشدناك قال فندمت على مافرط منى فقال لاتثريب اى لاعتب عليك اليوم يغفر الله لك وهو ارحم الراحمين أمن اهل الشام انت قلت نعم فقال حياك الله وبياك وعافاك انبسط لنا فى حوائجك ومايعرض لك تجد عندنا افضل ظنك ان شاء الله تعالى قال عاصم فضاقت على الارض بمارحبت ووددت انها قد ساخت بى ثم انسللت منه لواذا اى مختبئا مستترا بشئ وماعلى الارض احب الى منه ومن ابيه (والاثم) يطلق ويراد به الذنب بسائر انواعه وهو المراد هنا ويطلق ويراد به خصوص الخمر ومنه قوله

شربت الخمر حتى ضل عقلى * كذاك الاثم تذهب بالعقول

(ماحاك) بحاء مهملة وتخفيف الكاف من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف اى اثر وما يحيك كلامك فى فلان اى مايؤثر فيه وما تحيك الفاس فى هذه الشجرة وفى بعض النسخ ماحك بتشديد الكاف وفى بعضها ماحاك بالتشديد من المحاكة

(في النفس) وفي رواية في نفسك وفي رواية في صدرك
والمعنى اثر في القلب اضطرابًا وقلقًا فلم ينشرح له ولم يطمئن
اليه والحائك الراسخ في قلبك الذي يهمك وجاء في بعض الروايات
والاثم حزاز القلوب بتشديد الزاى اى مؤثر فيها كما يؤثر
الحز في الشئ فهو بمعنى قوله هنا ما حاك في النفس وفي اخرى
حواز بتشديد الواو من حاز يحوز اى غلاب على القلوب
وكرهت ان يطلع عليه الناس لان النفس بطبعها تحب اطلاع
الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ لها شعور من اصل
الفطرة بما تحمد او تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى
اوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزانى
مثلا فاوجبت لهما الحد والمراد بالكراهة هنا الدينية الجازمة
لا العادية كمن يكره ان يرى آكلا لحياء او بخل وغير الجازمة
كمن يكره ان يركب بين المشاة تواضعًا ونحو ذلك فانه لو رأى
كذلك لم يبال والمراد بالناس وجوههم وامثالهم لا رعاعهم
ولذا نقل الشارح الاشبيلي لصاحب الايضاح الناس معرف
باللام فينصرف الى وجوههم وامائلهم لا العوام وهل علامة
الاثم مركبة من مجموع الامرين او كل واحد منهما علامة مستقلة
ومقتضى العطف بالواو الاول ومقتضى الرواية الآتية الثانى
وعلى الاول فالفعل ان وجد فيه الامران كالزنى والربا فهو اثم
قطعًا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعًا وان وجد فيه احدهما
احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه والذى يتجه انهما متلازمان
لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وعكسه وعموم الحديث
يقتضى ان الهم بالمعصية الغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر
ان الله تجاوز لامتى عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم
فقوله ما لم تعمل به مثل ان توسوس له نفسه بالزنى مثلا فيزنى

فقوله او تتكلم مثل ان توسوس له بالقذف فيقذف او بالكذب فيكذب او بالنميمة فينم (رواه مسلم) فى كتاب البر والصلة من صحيحه (وعن وابصة) بالصاد (بن معبد) بفتح الميم والموحدة ابن عتبة بن الحارث بن بشير بن كعب بن سعد بن الحارث بن ثعلبة بن داود بن اسد بن خزيمة الاسدى يكنى اباسالم ويقال اباالشعثاء ويقال ابوسعيد (رضى الله عنه) قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة من قومه بنى اسد بن خزيمة سنة تسع فاسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الراء ودمشق وعمر الى قرب التسعين واعقب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها (قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال) استفهام تقريرى حذفت همزته اى أجئت تسال (عن البر) اى الحلال (قلت نعم) فيه معجزة كبرى له حيث اخبره بما فى نفسه قبل ان يتكلم به وفى رواية احمد وانا اريد ان لا ادع شيئا من البر والاثم الا سالته عنه واذا عنده جمع فذهبت اتخطى الناس فقالوا اليك ياوابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعونى ادنو منه فقال لى ادن ياوابصة فدنوت حتى مست ركبتى ركبتيه فقال ياوابصة اخبرك بما جئت تسال عنه او تسالنى قلت يارسول الله اخبرنى قال جئت تسال عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها فى صدرى ويقول ياوابصة استفت نفسك (قال) المصطفى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك) اى اطلب الفتوى من قلبك وعول على مافيه (البر ما) اى شئ او الذى (اطمأنت) اى سكنت (عليه) وفى رواية اليه (النفس واطمأن اليه القلب) لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركز فى الطباع

محبته والجمع بينه وبين النفس للتاكيد وهذا مطابق لقوله السابق
البر حسن الخلق لان حسنه تطمئن اليه النفس والقلب وقد
حكى ان ابا الحسين النوري لما وشى به وبجماعته الى الخليفة
ببغداد وقيل له انهم زنادقة واحضرهم وامر بقتلهم فجاء
السياف فبادر اليه النوري فسئل عن مبادرته فقال اوثر
اصحابي بحياة لحظة فسال القاضي الخليفة ان ينظر في امرهم
ويبحث عن حالهم فاذن فطلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه
فتقدم اليه النوري فساله عن مسائل فقهية فنظر عن
يمينه ثم عن يساره ثم اطرق ساعة ثم رفع رأسه فاجاب
بجواب صحيح فساله القاضي عن الفائت واطراقه فقال سألتني
عن تلك المسائل ولا علم لي بها فسألت ملك اليمين فلم يجبني
ثم ملك الشمال فلم يجبني فسألت قلبي فاخبرني بما اجبت به
فاخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على
وجه الارض مسلم (والاثم ما) اى شئ او الذي (حاك في النفس)
اى اثر فيها اضطرابا وفي الحديث الآخر اياكم والمحاكاة فانها
المأثم (وتردد في الصدر) اى لم ينشرح له القلب والجمع بينهما
للتاكيد ايضا (وان) وفي رواية ولو وهو غاية لمقدر دل عليه
ما قبله اى فالتزم العمل بها في قلبك وان (افتاك الناس)
اى علماؤهم كما في رواية وان افتاك المفتون اى قد اعطيتك
علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من افتاك بمقاربته
(وافتوك) بخلافه فرخصوا لك فيه لانهم انما يطلعون على
الظواهر لا السرائر والجمع للتاكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين
امهلهم فاتى بالثاني تاكيدا للاول لزيادة التنكير قال الطيبي
هذا الشرط قطع عن الجزاء تتميما للكلام السابق وتقريرا له
على سبيل المبالغة وقال غيره ان وصلته معطوف على مقدر

اى ان لم يفتيك الناس وإن افتوك وقوله وان افتوك تأكيد وحكى عن بعض العارفين انه اتاه رجل مريد السلوك فادخله الخلوة وتركه اياما ثم دخل عليه فقال له كيف ترى صورتى عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه فى الخلوة مدة ودخل عليه فسأله كذلك فقال صورة كلب ثم كذلك الى ان قال ارى صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الآن كمل حالك وصلحت ان ترجع الى قلبك وان تستفتى نفسك وان افتاك المفتون واخرجه من الخلوة وما ذاك الا لان النفس اذا كانت فى رعونتها وشهواتها كانت كالمرآة المصدى فاذا قابلها الاشياء وقع المثال فيها مفسودا فاذا صقلت بالمجاهدة وزال عنها الصدا ظهر مثال الاشياء مستويا من غير زيادة ولا نقص وجعلت تميز كل خاطر يقع فيها لصفائها وقوله وافتوك توكيد لما قبله ولا يعارض قوله فى الحديث السابق فمن اتقى الشبهات الخ فان مقتضاه انها ليست اثما واجيب بان هذا على ما اذا قويت الشبهة ويكون من باب ترك الاصل الظاهر يعنى اصل الحلال لاجل الشبهة وتمكنها وما سلف محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبقى على اصل الحل ويجتنب محلها ورعا وانما وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثانى لاسناده الى ضمير الاصل فيه ان الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع ايصال ضمير بالفعل لئلا يتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو افتوك الناس واما واسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير منهم فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه الا فى لغة اكلونى البراغيث وهى لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل عن الفاعل وهو غير جائز (حديث صحيح) وفى

نسخة حسن (رويناه) بالسند المتصل حال كونه (في مسند الامامين) الجليلين ابي عبد الله (احمد بن) محمد بن (حنبل) ابن هلال بن راشد المروزي قدمت به امه من مرو وهي حاملة به الى بغداد فولدته بها سنة مائة واربعة وستين وكان يحفظ الف الف حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده فيه اربعون الف حديث وقيل ثلاثون يتكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة الف حديث وخمسين الفا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى * وقال ابو زرعة كان احمد يحفظ الف الف حديث قيل ومايدريك قال ذاكرته فاخذت عليه الابواب * وقال الحارث بن عباس قلت لابن منهور هل تحفظ احدا يحفظ على هذه الامة امر دينها قال الا شاب في ناحية المشرق يعني الامام احمد وقال ابو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث الى الامام احمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وابي بكر قال عبد الرزاق اما يحيى بن معين فما رأيت مثله ولا اعلم بالحديث منه من غير سرد واما ابن المديني فحافظ سراد واما احمد فما رأيت افقه منه ولا اورع * وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها افقه ولا ازهد ولا اورع ولا اعلم منه * (فائدة) * قال المناوي في طبقاته وارتجت الدنيا لموت احمد بن حنبل واغلقت بغداد المشاهد ومسحت الارض المبسوطة التي وقف الناس للصلوة عليها في ستر مقادير الناس بالمساحة ستمائة الف * وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز واسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة الاف اهـ * وفي حياة الحيوان

حزر قدر من حضر جنازة احمد بن حنبل من الرجال فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس اهـ * وقال النووى فى تهذيب الاسماء واللغات امر المتوكل ان يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلوة على احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسين الفا * (و) ابى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمى (الدارمى) نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة ابن زيد بن مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين (باسناد جيد) وفى نسخة حسن فان قلت ما معنى قول المصنف اولا حديث صحيح وقوله هنا باسناد جيد فالجواب انه لا تلازم بين الاسناد والمتن فقد يصح السند او يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون المتن لشذوذ فيه او علة فنص المصنف اولا على صحة المتن بقوله هنا حديث صحيح وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد

(الحديث الثامن والعشرون)

(عن ابى نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة (العرباض) بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة وآخره معجمة واصله الطويل من الناس وغيرهم الجلد المخاصم (ابن سارية) بسين مهملة ومثناة تحتية السلمى بضم ففتح من بنى سليم بن منصور صحابى من اهل الصفة وهم كما قال النووى زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وكانت لهم فى آخره صفة وهى مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون ففى وقت كانوا سبعين وفى وقت غير ذلك (رضى الله عنه) نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين

الذين نزل فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه الآية * وكان من المشتاقين الى الله تعالى يحب ان يقبض اليه يقول فى دعائه اللهم كبر سنى ووهن عظمى فاقبضنى اليك * روى ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال له العرباض ما كان لك ان تأخذه وما كان له ان يعطيك وكانى بك فى النار تحمله على عنقك فرده المقداد مات العرباض فى فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين فى خلافة عبد الملك بن مروان (قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته فاتعظ اى قبل الموعظة (موعظة) مصدر ميمى وتنوينها للتعظيم اى موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة بعد صلاة الصبح لما فى رواية الترمذى وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة اى بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيق القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يعظ اصحابه فى غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا وفيه ندب المبالغة فيها لان لها وقعا فى النفس وتأثيرا فى القلب اذا صدرت من قلب ناصح سليم من الادناس والقبائح فالواعظ ما لم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ منزلة الطبيب من المريض فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تأكلوا كذا فانه مضر ثم رأوه يأكله عد سخرية فكذا الواعظ اذا امر بما لم يعمله فالواعظ من الموعوظ يجرى مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل الطبع بما ليس منتقشا فى الطابع يستحيل ان يحصل فى نفس الموعوظ ما ليس فى الواعظ وقد حكى ان العارف الكبير ابا مدين المغربى مكث فى بيته

عاماً لا يخرج منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا اخرج تكلم على الناس وانفعهم والزموه فخرج ففرّ منه عصافير على صدره بباب داره فرجع وقال لو سلطت الكلام عليكم ما فرّ مني الطير فقعد في بيته عاماً آخر فأتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظه يضرب بأجنحته ويضطرب حتى مات منه كثير ومات رجل من الحاضرين اهـ * وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه * وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل (وجلت) بكسر الجيم اى خافت منه وقلوبهم وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله (منها) اى من اجلها ويصح كونها لابتداء الغاية (القلوب) وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتأثير الرقة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة واهوالها والنار وعذابها يشهد لذلك قول جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم (وذرفت) بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة (منها) فيها مامر (العيون) اى سالت دموعها وانصبت وكثر جريانها واخر هذا عما قبله لانه انما ينشأ عنه غالباً والعيون جمع كثرة وفيه اشارة الى ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت بمجامعهم ظاهراً وباطناً وذلك دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم وفيه دليل على ان البكاء من خوف الله وعذابه محمود وقد قال عليه السلام ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفناً اجريت فيها لجرت . وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن

فى الضرع * وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة احب
الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت فى سبيل
الله * وقال كعب الاحبار والذى نفسى بيده لان ابكى من
خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على وجهى احب الى من ان
اتصدق بجبل من ذهب * وقيل لعطاء السلمى ما تشتهى قال
اشتهى ان ابكى حتى لا اقدر ان ابكى وفيه انه ينبغى للعالم
ان يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر بهم على مجرد
معرفة الاحكام والحدود (قلنا يا رسول الله كانها موعظة
مودع) لعلهم فهموا ذلك من مبالغته فى الموعظة واستقصائه
فيها فوق العادة فظنوا ان ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم
وفيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا ذلك من توديعه
اياهم بابلاغه فى الموعظة اكثر من العادة واحتمال انه عرض
فيها بالتوديع كما عرض فى خطبة حجة الوداع بقوله فيها لعلى
لا القاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس بعيد بدليل قولهم
كانها قال بعض الشراح لكن فى بعض طرق الحديث ان هذه
موعظة مودع وهى شاهدة بذلك الاحتمال (فاوصنا) بفتح الهمزة
اى وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب
استدعاء الوصية والوعظ من اهلها واغتنام اوقات اهل الخير
والدين قبل فوتها (قال اوصيكم بتقوى الله) لانها زاد الآخرة
وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين لما مر من انها امتثال
الاوامر واجتناب النواهى وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك
ولذلك اوصى الله تعالى بها الاولين والآخرين لقوله تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا
الله واصلها وقيا بكسر اوله وقد تفتح من الوقاية قلبت الواو ياء
كتراث ثم ابدلت الياء واوا والوقاية ما يستر الرأس فالتقى

قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها وانشد بعضهم

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(والسمع) ان حمل على ان المراد به الاصغاء الى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تأسيسا لمغايرته له وان حمل على قبول المسموع وعبر عنه بالسمع لانه فائدته كان ما بعده تاكيدا واليه جنح الدلجي والهيتمي (والطاعة) بالفعل والاعتقاد وهي الموافقة في الظاهر والباطن فيما يؤمر به وينهى عنه فان اطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الاثم لحديث لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام نحو فاكهة ونخل ورمان لاشتمال الوصية بتقوى الله على السمع والطاعة لولاة امور المسلمين وحكمة ذلك ترتب المبالغة الآتية عليه وبعكس نحو اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وسأل مسلم بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ارأيت ان قامت علينا امراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فقال اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم (وان تأمر) وفي رواية وان استعمل (عليكم عبد) ولاحمد حبشي مجدع وللبخاري حبشي وان راسه زبيبة ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وهذا لاينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان الائمة من قريش الناس تبع لقريش لان ولاية العبد قد تكون ناشئة عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم الائمة من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء فجارها ولكل حق

فأتوا كل ذي حق حقه وان أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا واطيعوا وقوله وان تأمر عليكم عبد اما من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا تصح ولايته ونظيره من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة واما من باب الاخبار بالغيب وان نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات فى غير اهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثار لاهون الضررين اذ الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته اهون من ايثار الفتنة التى لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد الى هذا تعقيبه ذلك بقوله (فانه) اى الشان (من يعش منكم بعدى (فسيرى اختلافا كثيرا) بين الناس فى ظهور الفتن وفى ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحى اوحى اليه فانه عليه السلام كشف له عما يكون الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار كما صح فى حديث ابى سعيد وغيره ويجوز ان يكون بنظر واستدلال ولفظ ابن ماجة اختلافا شديدا وقد كان ذلك فهو من معجزاته حيث اخبر عن غيب وقع واتيانه بالسين دون سوف يدل على قرب الرؤية وكان الامر كذلك فظهر فتنة عثمان وواقعة الجمل ومحاربة معاوية لعلى على الامارة ومحاربته للحسن عليها فسلم الامر اليه لاجل اطفاء نار الفتنة وظهر اعظم الفتن وهى قتل الحسين وظهر يوم موته من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم بالنهار واشتد الظلام حتى ظن ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام فظهرت فى السماء حمرة وقيل احمرت ثلاثة اشهر وقيل ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك بها

وعن ابن سيرين ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حين قتل الحسين * وفى الحديث النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت اصحابى اتى امتى ما يوعدون * ومعناه ان النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فاذا انكدرت وتناثرت فى القيمة ذهبت السماء فانفطرت وانشقت واذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت اصحابى اتى امتى ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث فى الدين (فعليكم بسنتى) اى الزموا التمسك بطريقتى وسيرتى القويمة التى انا عليها مما اصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة والمباحة وما تقرر من ان معنى السنة الطريقة القويمة هو ما توافق فيه اللغة والشرع وتخصيصها بما طلب طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصدوا به التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن بن زيد لقى ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على بهذا اية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه (وسنة) اى طريقة (الخلفاء) جمع خليفة وهو كل من قام مقام غيره وانما اطلق على الصحابة ذلك لانهم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاحكام (الراشدين) جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوى من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة (المهديين) جمع مهدى وهو من هداه الله لاقوم طريق والراشدين المهديين لفظان مترادفان معناهما واحد يحتمل انهما اسما مفعول اى الذين ارشدهم الله وهداهم ويحتمل انهما اسما فاعل اى

المرشدين الهادين لغيرهم وعام اريد به الخاص واللام للعهد والمعهود ابوبكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله تعالى عنهم فان ما عرف عن هؤلاء او عن بعضهم اولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه * وقد ورد ان رجلا حلف لا يطأ زوجته حينا فافتاه ابوبكر بان الحين الابد وعمر اربعون سنة وعثمان بانه سنة واحدة وعلي بانه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال لابي بكر ما دليلك على ان الحين الابد قال قوله تعالى في حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمر ما دليلك على ان الحين اربعون سنة قال قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الانسان آدم القيت طينته على باب الجنة اربعين عاما وقال لعثمان ما دليلك على انه عام قال قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين وقال لعلي ما دليلك على انه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وامر الرجل ان يأخذ بقول علي تخفيفا له ومذهبنا موافق لما افتى به عثمان * وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقد تمت بولاية الحسن ستة اشهر * وقال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر فخص مما تقدم اثنين * وقال للمرأة التي سألته وامرها ان ترجع اليه فقالت فان لم اجدك تريد الموت فقال ائت ابا بكر فخص ابا بكر قال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجونه ويستنبطونه من سنته بالاجتهاد ولانه عرف ان بعض سنته لا تشتهر الا في زمانهم فاضاف اليهم لبيان ان من ذهب الى رد تلك السنة مخطئ فاطلق القول باتباع سنتهم سدا للباب اهـ وقد ورد ان العقول لم يكن

في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن ابي بكر الصديق واول من نزل به ذلك عمر فقال لا ادري من اخر الكتاب فاوخره ولا من قدمه فاقدمه ولكن رايت رايا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمن عمر وهو ان يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول ويقال ان الذي اشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه احد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا بعد موت عمر اجلالا له وهذا في حق المقلد الصرف في تلك الازمنة القريبة في زمن الصحابة اما فيما بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح تقليد غير الائمة الاربعة مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد رضي الله تعالى عنهم لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها وخدمها تابعوهم وحرروها فرعا فرعا وحكما حكما (عضوا عليها) وحد الضمير لان سنتهم كسنته في وجوب الاتباع (بالنواجذ) بذال معجمة الانياب وقيل الاضراس اي عضوا عليها بجميع الفم لا بمشا باطراف الاسنان وهو كناية عن شدة التمسك بها لان النواجذ محددة اذا عضت شيئا نشبت فيه فلا يكاد يتخلص من قولهم نشبت في الامر بمعضل اي متمسك (واياكم ومحدثات) بفتح الدال جمع محدثة (الامور) اي اتقوا الامور المخترعة في الدين المخالفة لسنن الخلفاء الراشدين واحذروها وكثيرا ما كان يتمثل الامام مالك بهذا البيت كما سلف * وخير امور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع (فان) ذلك بدعة وان (كل بدعة ضلالة) وجاء في بعض روايات هذا الحديث فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار * وقال بعض المفسرين المغضوب عليهم اهل البدع * وعن عطاء الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ

ابليس

ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض
قائلين ماهذه الصرخة التى افزعتنا قال امر نزل بى لم ينزل
قط اعظم منه قالوا وما هو فتلى عليهم الآية وقال لهم هل عندكم
من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب
قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه
الصرخة التى لم يسمع منك مثلها الا التى قبلها قال وهل وجدتم
شيأ قالوا لا قال لكنى قد وجدت قالوا وما وجدت قال ازين
لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اى لان صاحب
البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر
الله * وقد جاء فى الحديث ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة
حتى يدع بدعته اى لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة
وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة اذ البدعة تعتريها الاحكام
الخمسة كما سبق فالمراد الكلية الاغلبية وفى بعض الروايات
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار *
واخرج ابو نعيم اهل البدع شر الخلق والخليقة والخلق والخليقة
مترادفان وقيل المراد بالاول البهائم وبالثانى غيرهم * واخرج
غيره اصحاب البدع كلاب النار * واخرج البيهقى وابن عاصم
فى السنة ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته
قال بعضهم واعلم ان اهل البدع ثمانية المعتزلة القائلون
بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفى الرؤية ووجوب الثواب والعقاب
وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون فى محبة على وهم اثنان
وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة لمؤمن اذنب ذنبا
كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلون بانه لا يضر مع
الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والبخارية
الموافقة لاهل السنة فى خلق الافعال وللمعتزلة فى نفى الصفات

وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة ايضاً فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم فى النار والفرقة الناجية هم اهل السنة * وقد ورد فى الحديث ستفترق امتى على بضع وسبعين فرقة كلهم فى النار الا فرقة واحدة وهى ما كان على ما انا عليه واصحابى (رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن) وفى نسخة حسن صحيح

(الحديث التاسع والعشرون)

(عن معاذ بن جبل) بالتحريك ضد السهل (رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله اخبرنى) وفى رواية انبئنى (بعمل) التنوين فيه للتعظيم او النوعية اى عمل عظيم او معتبر فى الشرع فلا يرد ما قيل انه اذا جعل يدخلنى جواب الامر يبقى بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لا تفيد (يدخلنى الجنة) اما ان يجعل مرفوع والجملة فى محل جر صفة لقوله بعمل او مجزوم قال الطيبى وفى مثله مذهبان احدهما مذهب الخليل وهو ان يجعل الامر بمعنى الشرط وجواب الامر جزاء والتقدير ان تخبرنى بعمل يدخلنى الجنة وفيه اقامة السبب الذى هو الاخبار مقام المسبب الذى هو العمل لان العمل هو المسبب ظاهراً لا الاخبار الثانى مذهب سيبويه ان الجواب جزاء شرط محذوف تقديره اخبرنى بعمل ان عملته يدخلنى الجنة (ويباعدنى عن النار) وفى رواية احمد انى اريد ان اسالك عن كلمة قد امرضتنى واسقمتنى واحزنتنى قال سل عما شئت قال اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة لا اسئلك غيره وفيه دليل على شدة اعتنائهم بالاعمال الصالحة وعظيم فصاحته فانه اوجز وابلغ ولهذا احمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مسئلته واستعظمها وان الاعمال سبب لدخول الجنة

ويشهد له قوله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون
وقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * ولا ينافيه حديث البخارى
لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وفى رواية لن يدخل احدا
منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق به احد الجنة ما لم
يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله والمراد به جنة خاصة
اى تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال واما الدخول
فبالرحمة وان الباء فى بما كنتم للملابسة اى اورثتموها ملابسة
لاعمالكم اى لثواب اعمالكم او للعوض والمقابلة والمعطى لعوض
قد يعطى مجانا لا للسببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب
خلافا للمعتزلة القائلين بان العمل سبب لدخولها واما الباء
فى حديث لن يدخل احدكم الجنة بعمله فهى سببية ولا كلام
(فائدة) اخرج الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال
خرج من عندى خليلى جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد
والذى بعثك بالحق ان لله تعالى عبدا من عباده عبد الله عز
وجل خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا
فى ثلاثين ذراعا والبحر المحيط به اربعة آلاف فرسخ من كل ناحية
واخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تنض بماء عذب فيستنقع
فى اسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة تتعبد يومه
فاذا امسى نزل فاصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فاكلها
ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الاجل ان يقبضه ساجدا
قال ففعل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فنجد له فى العلم
انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول له
الرب جل جلاله ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول رب بل
بعملى فيقول الله تعالى قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد

نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى يارب برحمتك ادخلنى الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدى من خلقك ولم تك شيأ فيقول انت يارب فيقول ومن قواك لعبادة خمسمائة سنة فيقول انت يارب فيقول من انزلك فى جبل فى وسط اللجة واخرج لك الماء العذب من الماء المالح واخرج لك كل ليلة رمانة وانما تطرح مرة فى السنة وسالته ان يقبضك ساجدا ففعل فيقول انت يارب قال فذلك برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة ادخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى فادخله الله الجنة قال جبريل عليه السلام انما الاشياء برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ (لقد) اللام واقعة فى جواب مقدر والتقدير والله لقد (سالت عن) عمل (عظيم) لان عظم الشئ بعظم الاسباب والنجاة من النار امر عظيم فكيف مع دخول الجنة (وانه) اى العمل الذى يدخل الجنة ويباعد عن النار (ليسير على من يسره الله) تعالى (عليه) بتوفيقه وتهيئته اسباب الطاعة وشرح صدره للسعى فيما يؤديه الى السعادة الابدية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اعملوا ما شئتم فكل ميسر لما خلق له وبالجملة فالتوفيق ان ساعد على شئ تيسر وان كان نقل الجبال (تعبد الله) عدل عن صيغة الامر تنبيها على ان المأمور كانه متسارع الى الامتثال وهو يخبر عنه اظهارا لرغبته فى وقوعه والمراد بالعبادة النطق بالشهادتين ولما عبر بالعبادة احتاج ان يوضحها بقوله (لا تشرك به شيأ) ومنه يا ايها الناس اعبدوا ربكم اى وحدوه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى يوحدون ويحتمل ان العبادة هاهنا تتناول الايمان الباطن والاسلام الظاهر

قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك
بعبادة ربه احدا والاقرب الاول كما قال الحافظ ابن حجر والعبادة
كما قال شيخ الاسلام فى شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات
عليا ووسطى ودنيا فالعليا ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لأمره
وقياما بحق عبوديته والوسطى ان يعمل لثواب الآخرة والدنيا
ان يعمل للاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها وما عرى عن الثلاث
فهو من الرياء وان تفاوتت افراده واللام فى قوله للاكرام لام
العاقبة والسلامة لا لام العلة والعمل لله فقط لكنه يؤول
عند الاطلاع عليه الى الاكرام * وذكر بعض المفسرين
عن بعض العارفين ما محصله ان العبادة لها ثلاث درجات
اولها ان تعبد الله تعالى طمعا فى الثواب وهربا من العقاب
وهذا هو المسمى بالعبادة واوسطها ان تعبد الله لتتشرف
بعبادته او لتتشرف بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه
اعلى من الاولى واعلاها ان تعبده لكونه الها وخالقا ولكونك
عبدا له وهذا يعكر على ما قاله شيخ الاسلام (وتقيم) بالرفع
(الصلاة) وهو وما بعده من عطف المغاير على المعنى الاول
فى تعبد وعليه فيكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام
والخاص على العام على المعنى الثانى (وتؤدى الزكاة) وهى القدر
المخرج من النصاب للمستحق واتى بالزكاة عقب الصلاة لان
الصلاة اعظم الطاعات البدنية والزكاة اعظم الطاعات المالية
وقد كتب سلمان الى ابى الدردا رضى الله عنهما يا اخى اياك
ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها
وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت
حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله

بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وتلك الاداية حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (وتصوم) شهر (رمضان وتحج البيت) الحرام ان استطعت اليه سبيلا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (الا ادلك) اي ارشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل ادلكم على تجارة الآية اي اعرض ذلك عليك فهل تحبه قصد به التشويق الى ما سيذكر له ليكون اوقع في نفسه وابلغ في ملازمته واحث على استفراغها لافادته (على ابواب الخير) اي طرقه واسبابه الموصلة اليه ومن ثم جعلها ابوابا له لترتيبه عليها تشبيها له بامتعة في مكان له ابواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد به الاعمال الصالحة التي يتوصل بها الى اعمال اكمل منها كما استفيد من تسميتها ابوابا فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس وآثر جمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه واقباله وان كانت بمعنى اللام كان المراد به الجزاء العظيم وبها جميع الاعمال الصالحة ويؤيد الثاني رواية ابن ماجه الا ادلك على ابواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله (الصوم) اي صوم النفل لان الفرض تقدم (جنة) بضم الجيم اي وقاية من استيلاء الشهوة والغفلة في العاجل ومن النار في الآجل قال الطيبي انما جعل الصوم جنة من النار لان في الجوع سد مجاري الشيطان كما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يدخل فيه فلم يكن سبب العصيان الذي هو سبب دخول النار وفي خبر النسائي الصوم جنة من النار كجنة احدكم من القتال (والصدقة) اي نفلها لان فرضها مر ذكره (تطفئ) بضم اوله وهمز آخره اي تمحو وفي رواية تكفر (الخطيئة) بالهمز بوزن فعيلة وربما اسقطت الهمزة وشددت الياء والمراد الصغيرة

المتعلقة بحق الله اما الكبيرة فلا يمحوها الا التوبة واما حق الآدمي فلا يمحوه الا رضى صاحبه * وورد ان امرأة جاءت الى حسان ابن سنان فسألته شيئا فجعل ينظر اليها فاذا هي امرأة جميلة فقال يا غلام اعطها اربعمائة درهم فقيل له انها تسألك درهما فاعطيتها اربعمائة درهم فقال لما نظرت الى جمالها خشيت ان تقع في معصية فاحببت ان اغنيها عسى ان يرغب فيها احد فيتزوجها ووجه رجل ابنه في تجارة فمضت اشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وارخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله ابوه هل اصابك في سفرك بلاء فقال له غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت مع جملة الناس واذا بشابين اخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك واما منع الصدقة فيصير العزيز ذليلا * وحكى ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه ونهره فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجلس يأكل في بعض الايام هو وزوجته وبين يديهما دجاجة واذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع السائل الذي انتهره زوجها فقال لها زوجها انا ذلك السائل (كما يطفئ الماء النار) اذا القي عليها وانما استعار لفظ الاطفاء لمقابلته بقوله كما يطفئ الخ اولان للخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو اثر الغضب المستعمل فيه الاطفاء وفيه استعارة تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفاء واستعار له ثم اشتق منه التطفئ او تخييلية لانه شبه الخطيئة بالنار

واثبت له ما هو من لوازمها من الاطفاء وخصت الصدقة بذلك لتعدى نفعها لان الخلق عيال الله وهى احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفىء غضبه وسبب اطفاء الماء النار ان بينهما غاية التضاد اذ هى حارة يابسة والماء بارد رطب فقد ضادها بكيفيته والضد يدفع الضد ويعدمه واما قوله الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة ولم يقل الصوم والصدقة والصلاة فى جوف الليل بدون ما ذكر للاشارة الى اختلاف انواع الخير فان قلت ما اعراب ما ذكر فالجواب ان قوله الصوم مبتدأ خبره محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر مبتدأ محذوف اى وهو جنة وكذا قوله والصدقة تطفىء الخطيئة وقد سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اى الصدقة افضل قال الماء الم تر الى اهل النار حين استغاثوا باهل الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله * وروى ان سعدا اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اى الصدقة اعجب اليك قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد وفى رواية اخرى انه قال يا رسول الله ان ام سعد كانت تحب الصدقة افينفعها ان اتصدق عنها قال نعم وعليك بالماء * وروى البخارى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج فاذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب مثل الذى بلغت فملأ خفه ثم امسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم اجرا قال فى كل كبد رطبة اجر وفى رواية فى كل كبد حرى اجر * وورد ان امرأة كانت بغية فرأت كلبا عطشانا فانتزعت بخفها ماء فسقته فغفر الله لها * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من سقى مسلما

شربة من ماء حيث يوجد الماء فكانما اعتق رقبة ومن سقى مسلماً
شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكانما احياها واخفاء الصدقة
اولى لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية * ولما رواه انس انه عليه
الصلاة والسلام قال ان صدقة السر تطفي غضب الرب وتدفع
ميتة السوء ولذا كان علي بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل
ويتبع به المساكين ويقول ان الصدقة في سواد الليل تطفي غضب
الرب ولما مات وجد في ظهره اثر سواد فقال الغاسل ما هذا
فقيل انه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويعطيه لفقراء اهل المدينة
وكان اذا اتاه سائل رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادنا الى الآخرة
(فائـــدة) اخرج الشيخان من جملة حديث طويل وانك
ان تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت عليها حتى ما تجعل في
في امرأتك * واخرج احمد باسناد جيد ما اطعمت نفسك فهو
لك صدقة اي ان كان مما لا بد منه لقصد التقوي به على الطاعة
كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما اطعمت ولدك فهو لك
صدقة وما اطعمت زوجك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك
فهو لك صدقة * واخرج الطبراني باسناد حسن من انفق على
نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن انفق على امرأته وولده
واهل بيته فهي صدقة وهذا مفسر لما قبله * واخرج الدارقطني
والحاكم وصحح اسناده كل معروف صدقة وما انفق الرجل على اهل
بيته كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة
وما انفق المؤمن من نفقة فان خلفها على الله والله ضامن الا ما كان
في بنيان او معصية وفسرت وقاية العرض بما يعطى للشاعر
وذي اللسان المتقى * واخرج الطبراني في الاوسط اول ما يوضع
في ميزان العبد نفقته على اهله * واخرج الطبراني بسند صحيح

وقال فيه افضل الصلاة صلاة اخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه * ورؤي الجنيد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت العلوم ونفدت الرسوم وما نفعنا الا ركيعات كنا نركعها عند السحر * وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال اني استحييت من الله ان اوصف بما ليس فيّ من عبادته * ولبعضهم

تغيرتم واعتنا بصحبة غيرنا * واظهرتم الهجران ما هكذا كنا
واقسمتم ان لا تحولوا عن الهوى * فحلتم عن العهد القديم وما حلنا
ليالي كنا نشتفي بوصالكم * وقلبي الى تلك الليالي قد حنا

وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في قيام الليل كعثمان بن عفان رضي الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة اوله وكان يجمع القرآن في ركعة وعبد الله ابن عمرو بن العاص وكان زوجه ابوه امرأة من قريش ثم جاء اليها فقال كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال لم يلبس لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد لم يكن لعبد الله فراش ينام عليه انما كان يلقي نفسه هكذا اذا عيي من الصلاة توسد رداءه وذراعه ثم يهجع قليلا وصفوان ابن سليم كان اعطى الله عهدا انه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت قيل له رحمك الله الا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاستند وما زال كذلك حتى خرجت نفسه قال اهل المدينة وتثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان يقرأ القرآن كل يوم نظرا في المصحف ويقوم به الليل فما تراه تركه الا ليلة قطعت رجله ثم عاوده من الليلة المقبلة وسفيان الثوري كان يقول

اذا جاء الليل هذه ليلتي التي اموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا اصبح قال كذلك ويلبس الثياب الرقاق في البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جاء الليل قال اذهب حر النوم حر النار فما ينام حتى يصبح وصهيب حكى الامام مالك عنه انه كان بمكة فقالت له امرأته افسدت نفسك نهارك صائم وليلك قائم فقال يا مولاتي اذا ذكرت النار طار نومي واذا ذكرت الجنة استقر حزني والسري السقطي كان ورده في الليل والنهار خمسمائة ركعة والامام ابي الحسن الاشعري اقام نيفا وعشرين سنة يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وعبد العزيز بن ابي رواد كان يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول والله انك لين وفراش الجنة الين منك فيدرجه ويصلي الليل كله وكان سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل بلوغه ربما ختم القرآن في ركعة واحدة وكان ابو بكر كثيرا ما ينشد ويقول

الشوق والوجد في مكاني * قد منعاني من القرار
في همها لا يفارقاني * فذا شعاري وذا دثاري

وكان سري السقطي ينشد ويقول

لا في النهار ولا في الليل لي فرح * فلا أبالي أطال الليل ام قصرا
لانني طول ليلي هائم دنف * وبالنهار اقاسي الهم والكدرا

وعن علي بن بكار قال لي منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع الفجر وعن سيدي احمد الرفاعي يقول

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب تمطر الهم والاسى * وتحتي بحار بالاسى تتدفق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوي هو مبتدأ خبره محذوف اي كذلك يطفئ الخطيئة او هي من ابواب الخير والاول اظهر

لاستشهاده صلى الله عليه وسلم بالآية وهي متضمنة للصلاة والانفاق
ونقله الطيبي ثم قال والاظهر أن يقدر الخبر شعار الصالحين
كما في جامع الاصول ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين
وهي انهما كما افادتا المباعدة عن النار فتفيد هذه الادخال في الجنة
ويتم الاستشهاد بالآية لان قرة العين كناية عن السرور والفوز
التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن
النار وادخل الجنة فقد فاز (ثم تلى) لفظ ابن ماجة ثم قرأ
يعني احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدحا لفاعل ذلك قوله تعالى
(تتجافى) أي تتنحى وترتفع وتنبو (جنوبهم) جمع جنب وهو ما تحت
إبطه الى كشحه (عن المضاجع) اى مواضع الاضطجاع للنوم
وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع للنوم
(حتى بلغ يعملون) وفي رواية الترمذي وابن ماجة حتى بلغ جزاء
بما كانوا يعملون وذلك لما فيها من الثناء عليهم بهجر النوم وارتكاب
مشقة السهر وظهور الخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق
مما رزقهم المرتب عليه ما اخفي لهم من قرة اعين وجمهور المفسرين
على ان ما في الآية كناية عن كثرة النفل بالليل فانهم اخفوا اعمالهم
فجوزوا بما اخفي لهم من قرة اعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة
في جوف الليل فما قيل انه كناية عن الصلاة بين العشائين يرده
ظاهر سياق هذا الحديث * وقد جاء ان الله تعالى يباهي بقوام
الليل في الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في
ظلم الليل حيث لا يراهم احد غيري اشهدكم اني قد ابحتهم دار
كرامتي * وجاء اذا جمع الله الاولين والآخرين نادى مناد بصوت
يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي
مناد ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فيقومون وهم قليل ثم ينادي مناد ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى
في السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس
وفي مسلم افضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل * وفي بهجة
ابن ابي الدنيا ان يحيى عليه الصلاة والسلام شبع ليلة فنام عن
حزبه حتى اصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا
من داري اوجوارا خيرا من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت
على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا
الي ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع
ولالبست الجلود مع المسوح * وحكى الحافظ ابن رجب في
لطائفه عن بعض العلماء انه نام عن تهجده ليالي فرأى في منامه
رجلين وقفا عليه فقال احدهما للآخر هذا كان من المستغفرين
فترك (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (الا اخبرك برأس الامر) اي الدين
او العبادة او الامر الذي سألت عنه (وعموده) اي الذي يعتمد
عليه كعمود الخيمة (وذروة) بتثليث الذال المعجمة والكسر افصح
(سنامه) بفتح السين اعلاه لان سنام البعير ما ارتفع في ظهره
(الجهاد) لما فيه من مقاساة الاهوال وترك الاختلاط بالاهل
والعيال وسقط منه هنا سطر ثابت في اصل الترمذي لا يتم
الكلام بدونه وكانه انتقل نظره من سنامه الى سنامه اذ
لفظ الترمذي بعد سنامه المذكور قلت بلى يا رسول الله
قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه
الجهاد فيحتمل ان السقط من الاصل الذي نقل منه المص
ويحتمل انه من بعض النساخ وفي قوله رأس الامر الاسلام
الخ استعارة بالكناية تتبعها استعارة ترشيحية لانه شبه الامر
المذكور بفحل الابل وبالبيت القائم على عمد واحضر هذا التشبيه
في النفس ثم ذكر ما يلائم المشبه به وهو الرأس والسنام والعمود

والمر

والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جاء مفسراً بهما في رواية احمد وانما كان هو الرأس لانه لا حياة لشئ من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون رأسه والصلاة العمود لانه الذي يقيم البيت ويهيئه للانتفاع به والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشئ اعلاه والجهاد اعلى انواع الطاعات من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان واعلم انه اختلف في افضل اعمال البر بعد الفرائض فقال مالك وابو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع اعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر * وقال الشافعي افضلها الصلاة فرضا ونفلا * وقال احمد افضلها الجهاد * وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف احوال السائلين لانه صلى الله عليه وسلم كان طبيبا للخلق فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة في اول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب شخص كان الغالب عليه ترك بر الوالدين او اختلاف الازمان فرب عبادة في زمن افضل من غيرها او ان من مقدرة اي من افضل الاعمال * وعن ابي امامة الباهلي انه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من غزواته فمر رجل بغار فيه شئ من ماء وحوله شئ من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار يشرب مما فيه من الماء ويصيب مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا قال لو اني اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل

قاله ... الذي

فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واتخلى عن الدنيا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت
بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة او روحة في
سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير
من صلاته ستين سنة * وروى الحاكم ان عثمان بن مظعون
جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال تحدثني نفسي بان اختصي
فقال خصاء امتي الصوم فقال تحدثني نفسي بان اترهب
في رؤس الجبال فقال ترهب امتي الجلوس في المساجد وانتظار
الصلاة فقال اريد ان اسيح في الارض فقال سياحة امتي
الغزو في سبيل الله تعالى فقال تحدثني نفسي بان اطلق امرأتي
فقال المهاجر من امتي من هجر ما حرم الله فقال تحدثني نفسي
ان لا آكل اللحم فقال انا احبه واكله وقد قال بعضهم
الجود بالمال جود فيه مكرمة * والجود بالنفس اقصى غاية الجود
قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة بالباء والاولى بعلى
لان هذه المرتبة اجمع واشمل لان المعنى بامر الدين وهو
مشتمل على ابواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا
اتى بالباء في المرتبة الثالثة الآتية واكدها بكله لكونها اجمع منها
وهذا الترقي ينبهك على جواز الزيادة في الجواب والسؤال
ضربان جدلي وتعليمي وحق الاول مطابقة الجواب من غير
زيادة ولا نقص وحق الثاني ان يتحرى المجيب الاصوب كالطبيب
الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه ام لا ولما تكلم على جهاد
الكفر اخذ يتكلم على جهاد النفس وقمعها عن الكلام فيما يؤذيها
ويؤذى بها بقوله (ثم قال) له صلى الله عليه وسلم (الا اخبرك بملاك
ذلك) الامر (كله) اى بما يملكه ويضبطه او بمقصوده وجماعه
او بما يقوم به بمعنى اذا وجدت كانت تلك الاعمال كلها على غاية

من الكمال ونهاية من صفاء الاحوال لان الجهاد وغيره من اعمال الطاعات غنيمة وكف اللسان عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة فى نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة (قلت بلى يارسول الله فاخذ بلسانه) الباء زائدة مؤكدة والضمير راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم اى امسك النبى صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده (ثم قال كف) من كفه منعه وفى رواية اكفف وفى رواية امسك (عليك) اى عنك او ضمن كف معنى احبس والمعنى احبس عليك لسانك لا يؤذيك بالكلام (هذا) اى عن الشر فان آفته عظيمة ولذا قال الغزالى اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القويم فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا به وكلما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل وهذه خاصية لا توجد فى سائر الاعضاء فان كل عضو يقتصر على منفعته فمن اطلق عذبة اللسان ملكه الشيطان ولا ينجو من شره الا ان يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل شئ يخشى غائلته واعصى الاعضاء من الانسان اللسان فانه لا تعب فى تحريكه ولا مؤنة فى اطلاقه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر عن مصائده وحبائله اهـ * وفى الحكمة لسانك اسدك اذا اطلقته فرسك وان امسكته حرسك * وكان ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما الذى اوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فاوردنى الجنة * وفى الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته * وقال بعض الحكماء لا شئ احق بالسجن

من اللسان وقد جعل خلفه الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب * وقال بعضهم في الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها الف اولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثاني زينة من غير حلي والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس اراحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة اشياء تقسي القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة * وذكر عن الاوزاعي انه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال ابو بكر بن خلف اللخمي يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين وقوله كف يحتمل عمومه وخص منه الكلام بخير لحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ويحتمل انه من باب المطلق استعمل في الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشأ الاحتمالين ان الفعل يدل على المصدر لكن هل يقدر المصدر معرفا فيعم او منكرا فلا يعم كالكف كفا وعلى ان المصدر جنس فيعم اولا فلا (قلت يا رسول الله وانا المؤاخذون بما نتكلم به) اللام للتاكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب فدل على ان معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفاء هذا عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حقه اعلمكم بالحلال والحرام معاذ اما بحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمؤاخذة المذكورة في معاملة العبد مع ربه او انه انما صار اعلمهم بذلك بعد هذا

السؤال وامثاله من طريق التعلم (فقال ثكلتك) بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة اى فقدتك (امك) زاد ابن ماجة يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المرأة ولدها وليس المراد به حقيقته من الدعاء بالموت بل هو من الالفاظ التى تجرى عليها الالسن فى المحاورات للتأديب والتنبيه من الغفلة كثرت بذلك اوان الموت لما كان يعم كل احد كان الدعاء به عليه كلا دعاء اوان المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة (وهل) حرف استفهام انكارى بمعنى النفى ومنه هل جزاء الاحسان الا الاحسان (يكب) بضم الكاف اى يلقى قال الطيبى مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه فانكب سقط على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم تقول كببت الشيء فاكب (الناس) اى اكثرهم (فى النار) اى نار جهنم (على وجوههم او قال) شك من الراوى (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف وليس فى رواية البزار الا المتاخر بلا شك (الا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد الزرع اذا قطعه (السنتهم) اى ما تكلمت به من الاثم كالكفر والقذف والشتم والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله اى محصودات الالسنة شبه ما تكسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان فى تكلمه بذلك بحد المنجل الذى يحصد به الناس الزرع ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل ويتبعها استعارة ترشيحية لان الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه والحصر فى ذلك اضافى اذ من الناس من يكبه فى النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج للمبالغة فى تعظيم جرائم اللسان كالحج عرفة

اى معظمه ذلك كما ان معظم اسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام غالبا فاخصه من ترتب الجزاء عليه عقابا وثوابا وفى المعجم الكبير للطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابى وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فاخذ بلسانه فقال يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكثر خطايا ابن آدم من لسانه وللشافعى رضى الله تعالى عنه

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه الترمذى) فى جامعه (وقال حسن صحيح) لكن فى الجامع زيادة على ما ذكره المص هنا ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فذكره

(الحديث الثلاثون)

(عن ابى ثعلبة) بفتح المثلثة (الخشنى) بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة الى خشين مصغرا بطن من قضاعة بن مالك بن حمير (جرثوم) بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرثومة وقيل جرهم وقيل غير ذلك قال ابن رسلان والاكثر على ان اسمه جرهم بضم الجيم والهاء (ابن ناشر) بالنون والشين المعجمة ثم راء مهملة وقيل ناشب بباء موحدة فى آخره وقيل لاسق بالقاف وقيل لاسر وقيل لاشر والاكثر على ان اسمه ناشم بالنون ومعجمة مكسورة وميم ويقال جرثم بن الاشتر بن النضر ونسبه بعضهم الى محارب بن قضاعة ابن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وارسله الى قومه فاسلموا

نزل الشام ومات اول امرة معاوية وقيل في امرة يزيد وقيل في امرة عبد الملك سنة خمس وتسعين والاول اكثر وكان يقول انى ارجو ان لا يخنقني الله كما اراكم تخنقون عند الموت فبينما هو يصلي قبض وهو ساجد (رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض) وافترض بمعنى (فرائض) اى اوجبها والزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويرادفه الواجب الا في الحج فان الفرض ما لا ينجبر بالدم والواجب ما ينجبر به وفرق الحنفية بينهما بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة والزكاة والواجب ما ثبت بدليل ظني كالثابت بالقياس وخبر الواحد كصدقة الفطر وعند الشافعي الفرض والواجب معا ثم الفرائض اما فرائض اعيان كالصلوات الخمس والزكاة والصوم او كفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (فلا تضيعوها) بالترك او التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم * وقد صح انه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة الاسراء قوما ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة وما ظلمهم الله شيئا (وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالآخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة حدا لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة اى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حد يقام في الارض خير من مطر اربعين صباحا وتطلق الحدود على الوقوف على الاوامر كالمواريث المقدرة

وتزوج الاربع والنواهي فلا تقربوا الفواحش والمراد الاول اذ لو حمل على الثاني لتكرر مع ما قبله وتكرر معه ما بعده ويصح ارادة الثاني ويكون ذكره مع ما قبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص وعكسه (فلا تعتدوها) اي لا تجاوزوها وقفوا عندها ومن يجاوز فقد ظلم نفسه واوردها موارد المهالك وجلد عمر رضي الله عنه في الخمر ثمانين ليس فيه زيادة محظورة وان اقتصر صلى الله عليه وسلم وابو بكر فيه على اربعين لان الناس لما اكثروا من الشرب زمنه ما لم يكثروه قبله استحقوا ان يزيد في جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لمعنى صحيح مسوغ لها ومن ثمة قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه ان كلا من الزيادة وعدمها سنة اي لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء بعمر خصوصا بقوله اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وعموما بقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين في الحديث السابق (وحرم اشياء) كالميتة والدم واكل مال اليتيم والربا (فلا تنتهكوها) اي لا تتناولوها ولا تقربوها قال الجوهري انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لان انتهاك الشيء تناوله * وحكي عن بعض السلف انه قال رايت المعاصي نذالة فتركتها مروة فصارت ديانة * وعن العوام بن حوشب انه قال نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل راسه راس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا او صوفا فقالت امراة ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك ام هذا قلت وما كانت قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا راح قالت له امه اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها انما انت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر

قالت فهو يشتق بعد العصر كل يوم يشهق ثلاث شهقات ثم يطبق
عليه القبر * وعن بعضهم قال يا رب اذنبت ولا تعاقبني فاوحى
الله الى نبي وقته قل لصاحب هذا الكلام عاقبتك ولم تشعر
أعقوبة اشد من ان خليت بينك وبين مخالفتي * وعن ابن
شبرمة انه قال العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء ولا يحتمي
من الحرام مخافة النار (وسكت عن) ذكر حكم (اشياء) فلم ينص
على وجوبها ولا حلها ولا تحريمها لانه تعالى سكت عنها حقيقة
لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة فلا ينقطع كلامه
ولا يتناهى لان الانقطاع والتناهي من صفات المحدثات والله
تعالى منزه عن ذلك (رحمة لكم) مفعول لاجله اى لاجل رحمته
ورأفته بكم وتخفيفه عنكم حال كون ذلك (غير نسيان) لاحكامها
لا يضل ربي ولا ينسى وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الفعل
بلا قصد وبعد حصول العلم (فلا تبحثوا عنها) لان السؤال
عما سكت الله عنه يفضي الى التكاليف الشاقة لان البحث عنها
ان كان في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ربما افضى الى تشديد
بايجاب وتحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين
جرما من سئل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسئلته وان كان في
غيره فهو من التعمق والتنطع والبحث عما لا ينبغي وقد قال
عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
والبحث لغة التفتيش ويفهم من سكوته رحمة لنا مع النهي عن
البحث عنها انه لا حكم قبل ورود الشرع وهو الاصح عند المحققين
لان الحكم عند اهل السنة لا يكون الا بالشرع * وقال
ابو الزناد الاعرج على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما في الارض
جميعا فكل ما لم يحرم منه فهو مباح * وقال الابهري على الحظر
وحكمت المعتزلة العقل فان لم يقض اى كاكل الفاكهة فالتهم الى الوقف

على الحظر والاباحة (حديث حسن) بل صححه ابن الصلاح وقول ابى حاتم وابى ذرعة وابن مكحول لم يسمع من ابى ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافى (رواه) الامام الحافظ (الدارقطنى) نسبة الى دارقطن محلة ببغداد *

(الحديث الحادى والثلاثون)

(عن ابى العباس) وقيل ابى يحيى (سهل) وقيل سعد وما قاله الاصح له ولابيه صحبة ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين (ابن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلب ابن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج (الساعدى) بكسر المهملة نسبة الى جده ساعدة بن كعب ابن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل احدى وتسعين بالمدينة وهو آخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل جابر كما مر واحصن سبعين امرأة وشهد قضاء النبى صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين (رضى الله عنه) ينبغى عنهما لان والده سعد ابن مالك صحابى ايضا روى له مائة حديث وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخارى باحدى عشر (قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى) بضم الدال وفتح اللام مشددة (على عمل) هو فعل من الانسان مع قصد واختيار كما مر والمراد هنا عمل صالح (اذا عملته احبنى الله) ومحبة الله للعبد رضاه عنه واحسانه اليه لان المحبة ميل طبيعى وهو فى حقه محال فالمراد غايتها (واحبنى الناس) لان محبتهم تابعة لمحبة الله فاذا احبه القى محبته فى قلوب خلقه لقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

سيجعل لهم الرحمن ودًّا ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احبّ
عبدًا دعا جبريل فقال اني احبّ فلانًا فاحبّه فيحبّه جبريل
ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحبّ فلانًا فاحبّوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض (فقال ازهد) من
الزهد بضمّ اوّله وقد يفتح وهو لغةً الاعراض عن الشيء احتقارًا
له وشرعًا اخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل فهو اخصّ
من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدرة ۞
ولذا قال الطيبي لا يتصوّر الزهد ممّن ليس له مال ولا جاه
وقيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز
اذ جاءته الدنيا راغمةً فتركها امّا انا ففيما زهدت وقيل تفريق
المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت قال ابو يزيد
ما غلبني احدٌ ما غلبني شابٌ من اهل بلخ قدم علينا حاجًّا فقال
يا ابا يزيد ما حدّ الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا
فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حدّ
الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وقد
تقدّم هذا وقيل النظر الى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في
عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقيل خلوّ القلب عن الاسباب
ونفض اليد من الاملاك وقيل قصر الامل واليأس ممّا في ايدي
الناس ومن ثم قال الضحاك انه قيل يا رسول الله من ازهد
الناس قال من لم ينس القابر والبلاء وترك فضول زينة الدنيا
وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعدّ من ايامه غدا وعدّ نفسه من
الموتى وقيل ان لا تياس على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما آتاك
منها وقيل خلوّ اليد من الملك والقلب من الشبع واحسن مدوده
كما قال ابن القيم انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا
زهد العارفين واعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله

من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه * وقال ابراهيم بن ادهم الزهد ثلاثة اصناف زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزاهد في الحرام ليس زاهدا وقيل لا يسماه الا اذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الاخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق وقال الامام احمد هو على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين * وحكى عن جماعة من الصوفية انهم كانوا في موضع على التوكل فمضت عليهم مدة ولم يفتح عليهم بشئ فاتفق ان احدهم خرج الى الوضوء فخطر ببال احدهم ان في زاوية ذلك الفقير شيأ من الدنيا فنهض ففتشها فوجد فيها نصف درهم اسود فقال لاصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شئ معلوم قد كتمه منا فاشاروا عليه بستره كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمع حوائجه لينصرف فقيل له لم تنصرف فقال لانكم افسدتم حجتي قالوا وكيف قال لاني ادخرت ذلك النصف درهم لسبب وذلك ان الله اذا احضر خلقه للحساب اتيت بذلك النصف درهم الاسود اضعه بين يديه واقول هذا ما فتحت به علي من الدنيا واكتفي الحساب فانني لم يفتح علي من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم (في الدنيا) باستصغار جملتها والاحتقار لجميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها في غير ما آية من كتابه نحو قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء

انزلناه من السماء الى صراط مستقيم وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع لئلا يركنوا اليها وبالقلة ليهون عليهم تركها والدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار واظلته السماء واقلته الارض واختلف في المزهود منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والاولى ان دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين اجناده وما اشبه ذلك دنيا بالنسبة لهم الا ان يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق ثم الحامل على الزهد اشياء منها استحضار الآخرة ووقوفه بين يدى مولاه وشاهد ذلك ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمشى في طريقه اذ لقيه حارثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندى حجرها ومدرها وسهرت ليلي وظمأت نهارى وكأنى انظر الى عرش ربي بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون والى اهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل نور قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكون الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل لبعض النساك ما بال اكثر النساك محتاجين لما في يد غيرهم فقال لان الدنيا سجن المؤمن وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق ومنها استحضار ان لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال

عن شكر نعيمها، ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة
غنوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل في تحصيلها
وطلبها* ومنها احتقارها عند الله تعالى ومن ثمة قال الفضيل
لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها لتقذرتها
كما نتقذر الجيفة* ومنها استحضار انها وما فيها ملعون
كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه وعالما او متعلما وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى
ومنها ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان
الاكبر منه تعالى في دار الكرامات* وفي الاثر اذا كان يوم القيمة
جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا
ما لنا ما هان الينا سعد به قوم وشقي به آخرون ومن ثمة
قال صلى الله عليه وسلم (يحبك) بفتح الباء المشددة والاصل يحببك
بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم في جواب الامر الذي هو
ازهد فاسكنت الباء الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها
الى الساكن قبلها وهو الحاء، فاجتمع ساكنان فحرك الاخير لالتقائهما
بالفتح تخفيفا (الله) لانه تعالى يحب من اطاعه* ومر سليمان
عليه الصلاة والسلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفا* وفي الحديث ابن آدم اذا
اصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك
فعلى الدنيا العفا وسربك بكسر فسكون نفسك او بفتح فسكون
مذهبك ومسلكك او بفتحتين بيتك والعفا الهلاك والدروس
وذهاب الاثر* وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام
تباعا حتى قبض* وخبر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي
المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم

الشعير * وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل * بالتحريك اردأ التمر
ما يملأ بطنه * وخبر انه كان يمضي الشهران ولا توقد في بيته
صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء * وخبر انه صلى الله
عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من
شعير اخذها قوتا لاهله * ودخل عمر بن الخطاب يوما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد اثر في جنبه
فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
فقال ذكرت كسرى وقيصر عدوي الله في الخز والقز والحرير
والديباج وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال
له افي شك انت يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا
ولنا الآخرة قال بلى قال فهو كذلك * وقام الحسن على قبر فقال
ان امرأ هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله وان امرأ هذا
اوله لحقيق ان يخاف آخره * وقال الحسن بن محمد الحريري
اسرع المطايا الى الجنة الزهد في الدنيا واسرع المطايا الى النار
حب الشهوات * وقال الجنيد ما اخذنا التصوف عن القيل
والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات
وقال ابو بكر الكتاني قال لي علي بن سعيد رأيت في النوم امرأة
لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت قالت حوراء فقلت زوجيني
نفسك قالت اخطبني الى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس
نفسك عن مألوفاتها * وقال يحيى بن معاذ الرازي ترك الدنيا
شديد وترك الجنة اشد منه وان مهر الجنة ترك الدنيا وقد
قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي وفي رواية تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء * وقال
سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة احرف زاي وهاء ودال

فالزاى ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا بجملتها

وانشد بعضهم

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * اذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وسئل معروف الكرخى عن الطائعين بما قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم * قال الفضيل بن عياض جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد * وقد اتفق ان ابراهيم بن ادهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال احدهما للآخر من هذا فقال الآخر له ابراهيم بن ادهم فقال له الذى حفضت درجة من درجاته فقال له لم فقال انه اشترى بالبصرة تمرا فوقعت تمرة من تمر البقال على تمرة فرجع الى البصرة واشترى تمرا من الرجل ثم انه قلب تمرة على التمر ورجع وبات فى بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان بعض الليل نزل ملكان من السماء فقال احدهما لصاحبه من ها هنا فقال له ابراهيم بن ادهم فقال له ذاك الذى رد التمر مكانه ورفعت درجته (وازهد فيما عند الناس) باعراضك عما فى ايديهم منها (يحبك) بفتح الموحدة المشددة كما سبق (الناس) لتركك لهم ما احبوه اذ قلوب اكثرهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع انسانا فى محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه واصطفاه والناس شامل للانس والجن فيستفاد منه ان الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وابغضوه * وقال اعرابى لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بما سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى

هو عن دينارهم فقال ما احسن هذا * وسأل كعب الاحبار وهو تابعي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وشرة النفس وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال ابن عطاء الله الزهد فيما في ايدي الناس سبب لمحبة الخلق والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الحق فمن احب العطاء من الخلق دل على بعده من الله فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم احسان * وذكر الغزالي ان عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نائم ملتف بعباءة فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال فنم اذن حبيبي وقال ابو الحسن الشاذلي دخل علي بالمغرب بعض الكبراء فقال ما ارى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك فقلت بخصلة واحدة تمسكت بالاعراض عنهم وعن دينارهم * وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الغنم فانها بركة انه ورد في بعض الآثار ان الخليل عليه الصلاة والسلام كان له اربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته الف مثقال فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطالبها كلب فدفعتها لطالبها انتهى * وذكر الشيخ زروق ان شعيبا كان في غنمه اثنا عشر الف كلب قال صاحب الحقائق ان ابليس لما اخذت منه الدنيا اغتم لها وقارون لما اعطيها فرح بها فالذي اغتم لها صار ملعونا والذي فرح بها صار تحت الارض مسجونا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم يأخذها ولما ردها لم يغتم لها فصار الى ما صار وانشد الشافعي

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها

فما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلماً لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

وفي كشف الاسرار

كن زاهداً فيما حوته يد الورى * تضحى الى كل الانام حبيبا
اوما ترى الخطاف حرّم زادهم * فغدى ربيباً في الحجور قريبا

غيره

تورع عن سؤال الخلق طرا * وسل رباً كريماً ذا هبات
ودع زهرات دنياك اللواتي * تراها لا محالة ذاهبات

ولابي عبيد

الرزق يأتي وان لم يسع صاحبه * حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وسئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال كنت يوماً مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الاشجار بالثمار من الوان الفاكهة فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة والعود بيدي ولا يجيبني الى ما اريد فاذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني الذي بيدي وهو يقول الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا اول زهدي وتشميري * وقد قيل من سمي باسم الزاهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة والزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم

ارى الزهاد في روح وراحة * قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوماً * ملوك الارض سيمتهم سماحة

وقال الحسن والله ما اعز الدراهم احد الا اذله الله * قيل اول ما ضربت الدراهم والدنانير رفعهما ابليس الى جبهته وقبلهما وقال من احبكما فهو عبدى حقا ومن ثمة قال بعضهم انهما ازمة المنافقين يقادون بهما الى النار (حديث حسن) بل صححه الحاكم فى المستدرك (رواه) الحافظ الكبير ابو عبد الله ابن يزيد (ابن ماجة) القزوينى صاحب السنن ولد سنة تسع ومائتين ومات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين (وغيره) كالعقيلى وابن عدى والطبرانى والحاكم والبيهقى (باسانيد حسنة) وهو احد الاحاديث الاربعة التى عليها مدار الاسلام كما مر

(الحديث الثانى والثلاثون)

(عن ابى سعيد سعد) وقيل سنان والمشهور الاول (ابن مالك ابن سنان) بن عبيد وقيل عبد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصارى وزعم بعضهم ان خدرة هى ام الابجر (الخدرى) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ووهم من اعجم الدال نسبة الى جده خدرة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة الى حى من اليمن اسلم ابو سعيد وبايع المصطفى صلى الله عليه وسلم على ان لا تأخذه فى الله لومة لائم واستصغر يوم احد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من احد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن مالك فقال نعم بابى انت وامى يا رسول الله فدنا منه وقبل ركبته فقال آجرك الله فى ابيك لانه قتل يومئذ شهيدا غزا ابو سعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر غزوة اولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من اهل الصفة روى عنه انه قال اصبحت وليس عندنا طعام

وقد ربطت حجرًا من الجوع فقالت امرأتي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله فقد أتاه فلان فأعطاه وفلان فأعطاه فقلت لا حتى لا اجد شيئا فطلبت فلم اجد شيئا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فادركت من قوله من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله قال فما سألت احدًا بعده وما زال الله يرزقنا حتى ما اعلم اهل بيت من الانصار اكثر اموالًا منا * روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف ومائة وسبعون حديثًا اتفقا منها على ستة واربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين وقيل ثلاث وستين والمشهور الاول وله اربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع (رضي الله عنه) ينبغي عنهما لان اباه كان صحابيا ايضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر) خبر لا محذوف اي في ديننا والخبر بمعنى النهي اي لا يضر احد غيره (ولا ضرار) فعال بكسر اوله اي لا يجازيه على اضراره بل يعفو ويصفح اي لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينتفع هو به والضرار ان يضره من غير ان ينتفع وقيل بالعكس وقيل الاول نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه والثاني نهي له عن فعل ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع ما ينفع الغير والثاني عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص اخاه فينتقص شيئا من حقه ومعنى الثاني لا يضار الرجل جاره بادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثاني لا يجوز له اضرار غيره وحينئذ فالجمع بينهما للتأسيس وقيل انهما بمعنى واحد جمع بينهما للتأكيد فكأنه قال لا تضر لا تضر والاول اولى لانه اذا دار الامر بين الحمل على التأسيس والتأكيد

فحمله على التأسيس اولى لاسيما في كلام الشارع عليه السلام وقوله ولاضرار وفي بعض الروايات اضرار بالهمز قال ابن الصلاح ولاصحة لها وبقية الحديث من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر ما قل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم فيحرم على الشخص فتح كوة في جداره يطلع منها على عورات جاره او احداث فرن او حماما او رحى او معصرة لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما اشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنائه على جدار جاره وان ظلم عليه ابواب غرفه ومنع الشمس ان تقع في حجرته واذا انهارت بئر جاره وكان له فضل ماء فانه يجب عليه ارسال فضل مائه الى زرع جاره بشروط ثلاثة احدها ان يكون قد زرع على اصل ماء الثاني ان يشتغل باصلاح بئره الثالث ان يخشى على زرعه الهلاك (حديث حسن) لذاته وله طرق متعددة يرتقي بمجموعها الى درجة الصحة (رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما) كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهره ان الكل رووه من حديث ابي سعيد والامر بخلافه بل ابن ماجة رواه من حديث ابن عباس وعبادة (مسندا) وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده احد (ورواه) امام الائمة وناصر السنة ابو عبد الله (مالك) بن انس بن مالك ابن ابي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثين بن عمرو ابن الحارث وهو ذو صبح وغيمان بالغين المعجمة مفتوحة والياء باثنتين من اسفله ساكنة ذكره غير واحد وخثينا بالخاء المعجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنين من اسفله ساكنة وقال ابو الحسن الدارقطني جثيل بالجيم وحكاه عن الزبير واما من قال عثمان بن حسلا وابن حنبل فقد صحف وابو عبد الله جد ابي مالك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها

كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرًا وابنه مالك جده كنيته ابو انس من كبار التابعين وهو احد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه * وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما اعلم وفي رواية افقه من عالم المدينة وفي رواية من عالم بالمدينة وفي بعضها آباط الابل مكان اكباد الابل * وقد ذكر السلف ان المراد به مالك لان طلبة العلم يضربوا اكباد الابل من مشرق الارض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك استاذي وعنه اخذنا العلم وما احد آمن علي من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم بحفظه واتقانه وصيانته وقال العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة * وحكي عن الاوزاعي انه كان اذا ذكره قال عالم العلماء وعالم اهل المدينة ومفتي الحرمين * وقال ابن معين مالك من حجج الله على خلقه امام من ايمة المسلمين مجمع على فضله واختلف في حمل امه الامام به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به امه ثلاث سنين وقاله بكار بن عبد الله الزبيري وقال نضجته والله الرحم وقال ابن منذر وهو المعروف * وروي عن الواقدي انها حملت به سنتين والاشهر انه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة اربع وتسعين في ربيع الاول في خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الشقرة حسن الصورة عظيم اللحية تامها تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان يأخذ اطراف شاربه ولا يحلقه

ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك له سبالين طويلين ويحتج بفعل عمر رضي الله تعالى عنه اذا اهمه امر * وقال بعضهم كان ربيعة والاول اشهر * وساله رجل عن مسئلة فبادره ابن القاسم فافتاه فاقبل عليه مالك كالمغضب وقال جسرت على ان تفتي يا عبد الرحمن يكررها عليه ما افتيت حتى سالت انا للفتيا موضع فلما سكن قيل له من سالت قال الزهري وربيعة الراي وذكر الدميري في شرح المنهاج ان امرأة غسلت ميتة فالتصقت يد الغاسلة بفرج الميتة فتحير الناس في امرها هل تقطع يد الغاسلة او فرج الميتة فاستفتي مالك فقال سلوها ما قالت لما وضعت يدها عليها فسالوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين تخلص يدها فجلدوها ثمانين فخلصت يدها فمن ثم نودي لا يفتي ومالك بالمدينة * وكان اذا جلس جلسة لم يتحرك عنها حتى يقوم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري وكان يقول ينبغي ان يورث العالم جلساءه قول لا ادري حتى يكون ذلك اصلا في ايديهم يفزعون اليه فاذا سئل احدهم عما لا يدري قال لا ادري * وقال احمد بن حنبل كان مالك مهابا في مجلسه لا يرد عليه اعظاما له * وكان الثوري في مجلسه فلما راى اجلال الناس له واجلاله للعلم انشد *

يأبى الجواب فلا يُراجع هيبةً * فالسائلون نواكسُ الاذقان
ادبُ الوقار وعزّ سلطان التقى * فهو المهيبُ وليس ذا سلطان

قال بشرُ الحافي من زينة الدنيا ان يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرًا ما يتمثل الامام كما سلف بهذا البيت

وخيرُ امور الدين ما كان سُنّةً * وشرّ الامور المحدثاتُ البدائع

ولما قدم المدينة المهديّ جاءه الناس مسلّمين عليه فلما اخذوا مجالسهم استأذن فقال الناسُ اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنا ورأى ازدحام الناس قال يا امير المؤمنين اين يجلس شيخك مالك فناداه عندى يا ابا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهديّ ركبته اليمنى واجلسه ثم اتى المهديّ بالطشت والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدّمه الى ابى عبد الله فقال مالك يا امير المؤمنين ليس هذا من الامر المعمول به ارفع يا غلام فاكل مالك غير متوضئ * وقال القاضى عياض قال الشافعيّ قال لى محمد بن الحسن رضى الله عنهما ايهما اعلم صاحبنا ام صاحبكم يعنى ابا حنيفة ومالكًا فقال قلت على الانصاف قال نعم قال فقلت فانشدك من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم فقال اللهمّ صاحبكم قال فقلت انشدك الله من اعلم بالسنّة صاحبنا ام صاحبكم قال اللهمّ صاحبكم قال فقلت انشدك الله من اعلم باقاويل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبنا ام صاحبكم قال اللهمّ صاحبكم قال الشافعيّ قلت فلم يبق الا القياس فعلى اىّ شئ نقيس * قال فى مختصر المدارك قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيتُ فى هذه الليلة عجبًا قلتُ وما هو قالت كأنّ قائلا يقول مات الليلة اعلم اهل الارض فحسبنا تلك الليلة فاذا هى الليلة التى مات فيها مالك * ورأى عمر بن يحيى بن سعد الانصاريّ فى الليلة التى مات فيها مالك

قائلاً يقول

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه * غداة ثوى الهادي الى ملحد القبر
امام هدى ما زال للعلم صائناً * عليه سلام الله في آخر الدهر

قال فانتبهت فكتبت البيتين على السراج واذا الصارخة على مالك رضي الله تعالى عنه * واختلف في تاريخ وفاته والصحيح انها كانت في ربيع الاول لتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل لعشر مضت منه وقيل لاربع عشرة والثلاث عشرة ولاحدى عشرة وقيل لاثنتي عشرة من رجب واذا بصارخة على مالك وغسله ابن كنانة وابن الزبير وابن يحيى وكان ابنه حبيب يصب عليه الماء ونزل في قبره جماعة واوصى ان يكفن في ثياب بيض ويصلى عليه في موضع الجنائز وبلغ كفنه خمسة دنانير * قال ابن القاسم مات مالك عن مائة عمامة فضلاً عن سواها (في) كتابه (الموطأ) وانشد بعضهم

اقول لمن يروي الحديث ويكتب * ويسلك سبيل الفقه فيه ويطلب
اذا شئت أن تدعى لدى الخلق عالماً * فلا تعد ما تحوي من العلم يثرب
أنترك داراً كان بين بيوتها * يروح ويغدو جبرئيل المقرب
ومات رسول الله فيها وبعده * بسنته اصحابه قد تأدبوا
وفرق شمل العلم في تابعيهم * فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك * ومنه صحيح في المحس وأجرب
فبادر موطأ مالك قبل فوته * فما بعده ان فات للحق مطلب
ودع للموطا كل علم تريده * فان الموطا الشمس والغير كوكب
ومن لم يكن كتب الموطا ببيته * فذاك من التوفيق بيت مخيب
جزى الله عنا في الموطا مالكاً * بافضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد فاق اهل العلم حياً وميتاً * فصارت به الامثال للناس تضرب

فلا زال يسقى قبره كل عارض * بمنذفق ظلت غوالبه تسكب

(مرسلا) وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابي (عن عمرو بن يحيى) المازني (عن ابيه) يحيى بن عمارة (عن النبي صلى الله عليه وسلم فاسقط) من السند (ابا سعيد) الخدري (وله طرق) ضعيفة لكن (يقوي بعضها بعضا) لان الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وفي المثل

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش زائد

عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد

وقال آخر

لا تخاصم بواحد اهل بيت * فضعيفان يغلبان قويا

(الحديث الثالث والثلاثون)

(عن) حبر الامة مفسر التنزيل ومبين التأويل ابي العباس عبد الله (ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو) حرف امتناع لامتناع اى امتناع الشئ لامتناع غيره اى تقتضي امتناع الجواب لامتناع الشرط كما عليه جمهور النحاة او لما كان سيقع لوقوع غيره كما عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان دعوى رجال اموال قوم كان سيقع لوقوع اعطاء الناس بدعاويهم وكذا الاشكال على الاول ايضا وان وقع دعوى بعض الناس مال بعض سواء اعطوا بدعاويهم ام لا لان المراد بدعوى الرجال اموال قوم اعطاؤهم اياها ودفعها اليهم اى لو يعطى الناس بدعواهم لاخذ رجال اموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع الاخذ لانها سببه ولا شك ان اخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطاء المدعي بمجرد دعواه وكذلك اخذه لما سيقع لو وقع اعطاء المدعي بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنى لو هنا على القولين قاله الشبرخيتي.

(يعطى الناس) المفعول الثانى محذوف اى الاموال والدماء
(بدعواهم) اى لوكان كل من ادعى شيئا عند الحاكم يعطاه بمجرد
دعواه بلا بينة (لادعى) جواب لو ورواية ابن ماجة ادعى
بحذف اللام (رجال) جمع رجل وهو الذكر البالغ من بنى آدم
وذكرهم لا لاخراج النساء بل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم
او من باب الاكتفاء باحد القبيلين كسرابيل تقيكم الحر ويؤيده
رواية لادعى ناس وآتى بصيغة الجمع للاشارة الى اقدام غير
واحد على ذلك والدعوى كما قال ابن عرفة قول هو بحيث لو سلم
اوجب لقائله حقا (اموال قوم) اسم جمع وشذ من جمعه على
اقوام قيل يخص الرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء فذكرهن دليل ظاهر
على ان القوم لم يشملهن وبه صرح زهير فى قوله
وما ادرى ولست اخال ادرى * اقوم آل حصن ام نساء
وسمى الرجال قوما لقيامهم بالمهمات وعظائم الامور وقيل
يعم الفريقين اذ هم المراد فى نحو كذبت قوم نوح ليس بارض قومه
ورد بان دخولهن هنا ليس لعمه بل لقرينة نحو التكليف فى الآية
وحكمة التعبير برجال ثم قوم على الاول تفننا ودفعا لكراهة
تكرار احدهما وعلى الثانى ان الغالب فى المدعى ان يكون رجلا
اذ المرأة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا
او امرأة (ودماءهم) قدم الاموال على الدماء هنا مع ان الدماء
اهم واعظم خطرا ولذا ورد انها اول ما يقضى فيه بين الناس
لان الخصومات فى الاموال اكثر واغلب اذ اخذها ايسر وامتداد
الايدى اليها اسهل ومن ثم ترى العصاة بالتعدى عليها اضعاف
العصاة بالقتل على ان العطف بالواو لا يفيد ترتيبا * وفى رواية
الصحيحين لادعى ناس دماء رجال واموالهم فقدم الدماء عليها

لشرفها وعظم خطرها على أن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب (لكن) هي ههنا وإن لم تأت لفظاً على قانونها من وقوعها بين نفي وإثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وهي ههنا بعد إثبات ولا نفي قبلها حتى يصح معنى الاستدراك الذي هو موردها لكنها جارية عليه تقديراً إذ المعنى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهي على المدعي (البينة) فعيلة من البينات (على المدعي) لأن جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الأصل ولو كان فاضلاً شريفاً أو حقاً حقيقاً والمدعي كما قال ابن عرفة من عريت دعواه من مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح إما معهود كدعوى شخص على آخر وديعة أو عارية فيدعي ردها فمدعي الرد هو المدعى عليه لما عهد في الشرع إذ الراد لا يحتاج لإقامة بينة وإما أصل كمدعي رق شخص فيجيب الآخر بالحرية فمدعي الحرية هو المدعى عليه لأنها الأصل في الناس وإنما عرض لهم الرق بسبب السبي بشرط الكفر ومعنى كون البينة على المدعي أنه يستحق بها لأنها واجبة عليه ثم إن الدعوى الصحيحة المسموعة هي أن يكون المدعى به معلوماً محققاً فلو قال لي عليه شيء لم تسمع دعواه وكذا لو قال أظن أن لي عليه كذا (واليمين على من) عبر بها دون الأول مع أنه كان يمكن أن يؤتى باسم الفاعل فيهما أو بمن فيهما لأن المدعي يذكر أمراً خفياً لعري دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر أمراً ظاهراً لاقتران دعواه به ولا شك أن الموصول لاشتراط كون صلته معهودة أظهر من المعرف فأعطى الخفي للخفي والظاهر للظاهر ويحتمل أن يقال إن في المدعي ضرباً من التعريف المعنوي لظهوره وإقدامه على الدعوى فأتى فيه بلام التعريف المناسب له والمنكر فيه ضرب من الإبهام والتنكير لاستخفائه وتأخيره وكونه إذا سكت لا يترك فأتى فيه بمن إذ فيها

انهام شبيه بحاله وزعم ان ذلك سؤال دورى غير صحيح (انكر)
لان جانب المنكر قوى لموافقته للاصل فى البراءة والبينة حجة
قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها
فجعل القوى فى جانب الضعيف والضعيف فى جانب القوى
وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطنى
الا فى القسامة اى لان اليمين فيها على المدعى وكذا اليمين مع
الشاهد الواحد فى جانب المدعى وكذا يمين المدعى اذا ردها
عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة الحيازة فان البينة لا تسمع من
المدعى ولا تتوجه اليمين على من انكر لحديث ابن المسيب وزيد
ابن اسلم من حاز شيئا عشر سنين فهو له وكذا بالطلاق والنكاح
والقذف فان اليمين لا تتوجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى
لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من انكر سواء كان المدعى
بينه وبين المدعى عليه اختلاط ام لا فان لم يحلف لم يقض
للطالب حتى يحلف اذا كانت الدعوى دعوى تحقيق وان كانت
دعوى اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة فى
ان البينة على من ادعى واليمين على من انكر فالجواب ان جانب
المدعى ضعيف لعروه قوله عن المرجحات وجانب المنكر قوى لموافقته
الاصل فى براءة ذمته اذ المعهود والبينة حجة قوية لبعدها عن
التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهى
البينة فى الجانب الضعيف وهو جانب المدعى والحجة الضعيفة فى
الجانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا (فائدة) قال
بعض العلماء ان فصل الخطاب فى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من انكر (نكتة)
فى الحلية فى ترجمة عكرمة قال كانت القضاة فى زمن بنى اسرائيل
ثلاثة فمات احدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله ان يقضوا

ثم بعث الله تعالى لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضي فجاآ الى القاضي الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لي قال بماذا احكم قال ارسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم له بها واتى الى القاضي الثاني فحكم له كذلك واخذ درة واما القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم لي بها فقال اني حائض فقال الملك سبحان الله ايحيض الذكر فقال له القاضي سبحان الله اتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها (حديث حسن) وصحيح ايضا كما ذكره المؤلف في موضع آخر وذكره غيره (رواه) الامام ابو بكر احمد بن الحسين (البيهقي) بفتح الباء والقاف نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت تصانيفه نحو الالف قال السبكي ولم يتفق ذلك لاحد واعتني بجمع نصوص الشافعي وتخريج احاديثه حتى قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي عليه منة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة * ولد سنة اربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة (وغيره هكذا) اي بهذا اللفظ المذكور (وبعضه في الصحيحين) اذ لفظهما كما في الجمع بينهما للحميدي عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه

(الحديث الرابع والثلاثون)

(عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى) اي علم سواء ابصر ام لا لان الرؤية بالبصر لا تشترط فهي قلبية ويصح كونها بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول اشبه وهذا الحديث قال له ابو سعيد

الخدري لما قدم مروان خطب العيد وقال له رجل الصلاة
قبلها فقال هل ترك ما هنالك فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى
ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو
ادل دليل على ان اول من فعل هذا مروان لا عثمان ولا عمر اذ
لم يصح ذلك لكن في الصحيحين عن ابي سعيد انه هو الذي
حدث به مروان حين رآه يصعد المنبر فرد عليه مروان بمثل
ما رد على الرجل فيجوز ان تكون قصة اخرى (منكم) اي معشر
المكلفين القادرين فخرج نحو صبي ومجنون وعاجز والخطاب
لجميع الامة لا الحاضر فقط (منكرا) اي شيئا قبيحا قبحه
الشرع قولا او فعلا ولو صغيرة (فليغيره) اي يزيله وجوبا
عينيا ان انفرد بعلمه وكفائيا ان شاركه غيره والوجوب بالشرع
لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول ان يكون عالما بذلك
لئلا يعكس الثاني ان لا يؤدي نهيه الى مفسدة اعظم كنهيه
عن زنا فيؤدي لقتل الثالث ان يكون مجمعا على تحريمه او يكون
مدرك القائل بحله ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع
ان يكون ظاهرا في الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور
ولا يبحث عما خفي فيكم ونحوه الخامس ان يعلم او يظن انه يفيد
وبانتفاء الشرط الاول ينتفي الجواز وبانتفاء الاخير ينتفي
الوجوب ويبقى الجواز والندب ثم انه لا يشترط في النهي عن المنكر
ان يكون المتلبس به عاصيا كقتال الباغي المتأول وضرب الصبيان
على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبي او مجنون اذا لم يمكن
دفعهما الا به وعلم مما سبق ان التجسس غير مطلوب بل هو مذموم
منهي عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا * واستثنى الماوردي من ذلك
ما اذا اخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله او امراة
ليزني بها فانه يجوز له في مثل هذه الحالة ان يتجسس ويقدم على الكشف

والبحث حذرًا من فوات ما لا يستدركه واما العدالة واذن الامام فالمشهور عدم اشتراطهما الا ان يخاف من المفسدة فلابد من اذن الامام * وروى عن عمر رضى الله عنه انه احس من رجل بالخنا فتسور عليه فرآه على منكر فصاح عليه فقال الرجل يا امير المؤمنين انا عصيت الله فى واحدة وقد عصيته انت فى ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد نهى واتيت البيوت من ظهورها وقد امر الله باتيانها من ابوابها ودخلت غير بيتك من غير ان تستأذن وتسلم وقد امر الله بذلك فقال له عمر صدقت واستغفر لنا فقال غفر الله لنا ولك يا امير المؤمنين وذكر بعضهم انه مشى عمر رضى الله عنه بالليل فرأى نارًا فى بيت فاتى اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا اعداء الله امكن الله منكم فقال الشيخ ما نحن باعظم منك ذنبًا يا امير المؤمنين ان عصينا الله فى واحدة فقد عصيته انت فى ثلاث فقال له عمر وما هن فقال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا واتيت البيوت من ظهورها وقد امر الله باتيانها من ابوابها ودخلت بيتًا غير بيتك من غير استئذان ولا تسليم وقد امر الله تعالى بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لى فقال الشيخ غفر الله لنا ولك * وقد كان الحسن البصرى يقول اياكم والتجسس فوالله لقد ادركت ناسًا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فاحدث الله لهم عيوبًا (بيده) لانها ابلغ فى تغييره كاراقة الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه فاذا احتاج الى اظهار سلاح او حرب رفع الى السلطان * وقد حكى ان شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع فى القطع جاء الشيطان واراد منعه فلم يقدر الشيطان عليه فقال له اترك

القطع واعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجدها فى فراشك فامتنع من القطع ورجع فوجد الدراهم يومين اوثلاثة ثم فقدها فى اليوم الرابع فغضب واخذ الفاس وتوجه الى الشجرة فلقيه الشيطان فى الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لان فى المرة الاولى كان قصده مخلصا لله تعالى وفى المرة الثانية انما غضب لاجل الدنيا (فان لم يستطع) الانكار بيده (فبلسانه) بان يمنعا بالقول وتلاوة ما نزل الله من الوعيد والقول كصياح واستغاثة وتوبيخ وتذكير بالله واليم عقابه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لايبلغ بالسيف والرآسة ولذا قال بعض العلماء من رأى عورة احد فى الحمام ينبغى ان يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهى ان تقول له استر سترك الله * وقد روى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب له حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها * وحكى التاج السبكى عن ابيه انه كان يجتمع ببعض الامراء وكان الامير يلازم الحرير فقال يا اميركم الذراع من هذا فقال بدينار فقال فى الصوف ما يساوى كل ذراع منه دنانير ومماليكك وخدمك يشاركونك فى لبس الحرير ولا يليق بشهامتك ان يساووك فاعدل الى الصوف فانه اعلى واغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام لم يفد * قال العارف ابن العربى لو كشف لولى ان فلانا يزنى بفلانة اويشرب الخمر لزمه النهى ولم يسقط عنه لان نور الكشف لايطفئ نور الشرع فمشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهى عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر

وان شهدنا كشفنا انه محتم الوقوع وظاهر الحديث أنه يلزمه الامر والنهي وان كان هو لم يمتثل ذلك وبه صرح في رواية الطبراني من حديث انس قلت يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط احدهما بترك الآخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ ويقول انا اخاف ان أقول ما لا افعل وايّنا يفعل بما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر احد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهي على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها سيما في هذا الزمان الذي صار التلبس فيه بالمعاصي شعار الانام ودثار الخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح انه صلى الله عليه وسلم رأى في النار قوما يدورون كما تدور الرحى فسأل جبريل عنهم فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا على انكاره ولا ينافي ما تقرر من الواجب قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا شك في سقوط الوجوب حينئذ على ان معناها عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نحو ولا تزر وازرة وزر اخرى ومما كلفنا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا لم يمتثلهما المخاطب فلا عتب حينئذ لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول (فان لم يستطع) الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة او على نفس او عضو او مال محترم (فبقلبه) اي فلينكر بقلبه اذ لا تغيير بالقلب ويشبه هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع

فعلى جنب فان لم تستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهو على حذ علفتها تبنا وماء باردا * لكن فيه انه من خصائص الواو الاترى قول ابن مالك وهى انفردت بعطف عامل مزال قد بقى معموله ومعنى الانكار بالقلب كراهة الفاعل للمنكر وظهور ذلك على جوارحه ان لم يخف على نفسه والعزم على انه لو قدر على تغييره بقول او فعل وهذا واجب عينا على كل احد بخلاف اللذين قبله فانهما قد يكونان فرض كفاية كما سلف * وذكر الشيخ الشعرانى فى المنن عن سيدى ابراهيم المتبولى ان تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان فى قلب ذلك المنكر فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم ان يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه احدهم بقلبه الى الله عز وجل فى تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه فهذا هو التغيير حقيقة واما قول الانسان اللهم ان هذا منكر لا ارضاه فليس فيه تغيير قلب اه * والحق ان المراتب الثلاث تكون على واحد من الثلاثة فاول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز عن الجهاد انكر باللفظ ليغير ذلك المنكر عند فاعله وعند من رآه وان عجز بان خاف ضررا من قتل او جرح او اخراج من وطن فليقل اللهم ان هذا منكر لا ارضاه والله اعلم (وذلك) اى الانكار بالقلب (اضعف الايمان) اى الاعمال فلا يرد ان المنكر بالقلب قد يكون اقوى الناس ايمانا والايمان قد يطلق على الاعمال كما اطلق على الصلاة فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم لبيت المقدس او المراد به الاسلام وهو على حذف مضاف اى اضعف خصال الاسلام او باق على حقيقته والمراد اقل آثار الايمان وثمراته فى النفع واطلاق الايمان

على المعنيين الاولين مجاز مرسل على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الايمان سبب للامتثال بالشرائع المأمور بها وانما كان الانكار بالقلب اضعف الايمان لان مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فانه متعد فانه كراهة وازالة وقد قيل التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهاني واعجب ما في زماننا ان الذين يظن بهم العلم والدين لمن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بمناكر شتى يجب انكارها عليهم شرعا ولقد احسن من قال

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقال آخر

هذا الزمان الذي كنا نحاذره * في قول كعب وفي قول ابن مسعود
دهر به الحق مردود باجمعه * والجور فيه اذاه غير مردود
ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

(رواه مسلم) والنسائي *

* (الحديث الخامس والثلاثون) *

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا) خطاب لكل من يأتي توجيه الخطاب اليه واصله بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وكذا فيما بعده اي لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمني زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها اليه ام لا وهو قبيح بالاجماع الا ان الثاني اقبح واشد حرمة من الاول وبعضهم خصه بان يتمنى ذلك لنفسه والحق انه اعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفاه ذما انه يفسد الطاعات ويبعث على الخطيئات وهو الداء العضال الذي ابتلي به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى اهلكهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم

ذلكم

اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب او قال الخشب * ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد كما امر بها من شر الشيطان ويكفيك في قبحه انه اول ذنب عصي الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما ان قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد * وجاء ان سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل التي تسمى لبودا * وكانت ليست كجمال اخته اقليما التي تزوجها هابيل فكان من شريعة آدم ان اختلاف بطون حوى بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهذا لا يخالف ما في الآية الشريفة لانه جاء في القصة ان آدم عليه السلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع فامرهما ان يقربا قربانا الى الله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين اخروي وهو ما في الآية ودنيوي وهو جمال اخته التي تزوجها * وجاء في عدة اخبار وآثار انه يأكل الحسنات اي يحرقها ويذهب اثرها كما تأكل النار الحطب اي اليابس * وقال عبد الله بن عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومن الحكمة ان الحسود لا يسود * وقد روي ان ابليس اتى باب فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال لفرعون اتعرف من في الارض شر منك ومني قال من هو قال الحاسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة * واما حديث لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله

مالاً فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازاً وهى أن يتمنى أن يكون له مثل ماللغير من غير أن يريد زواله عنه * وقد قيل إن موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً عند العرش فغبطه وقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله بثلاث كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لايعق والديه وكان لايمشى بالنميمة * والغبطة مباحة فى الدنيوى ومندوبة فى الاخروى *

وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
النار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لايرضى بقضاء الواحد *

وفى معناه قال منصور الفقيه

الا قل لمن ظل لى حاسداً * اتدرى على من اسأت الادب
اسأت على الله فى حكمه * اذ انت لم ترض لى ما وهب

ولابى الطيب

واظلم اهل الارض من كان حاسداً * لمن بات فى نعمائه يتقلب

ولبعضهم

دع الحسود ومايلقاه من كمده * يكفيك منه لهيب النار فى كبده
ان لمت ذا حسد فرجت كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال عمر بن عبد العزيز مارأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وفيه قال بعضهم

قل للحسود اذا تنفس طبعه * ياظالماً وكانه مظلوم

وقال بعضهم

ان الغراب كان يمشى مشية * فيما مضى من سائر الاحوال

حسد القطاة فرام يمشي مشيتها * فأصابه ضرب من العقال
وروي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الأنصار أنه من
أهل الجنة فبات عنده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لينظر عمله
فلم ير له كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد
من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه
فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق * وحكي
أن بعض الصلحاء كان يجلس بجنب ملك ينصحه ويقول له أحسن
إلى المحسن بإحسانه يكفي المسيء فعله فحسده بعض الجهلة على
قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك وقال له إنه
يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك إذا قربت منه يضع يده على
أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج ودعا
الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء وقال للملك
مثل قوله السابق أحسن إلى المحسن بإحسانه يكفي المسيء فعله فقال
كعادته فقال الملك ادن مني فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة
أن يشم منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا
إلا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة فكتب له بخطه
لبعض عماله إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش
جلده تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى
به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني
فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال له العامل في
كتابك أني أذبحك وأسلخك فقال إن الكتاب ليس هو لي
الله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة
فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل للملك
كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب

قال لعيني فلانة فاستوهبه مني فدفعته له فقال الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمني ثوماً فخشيت أن تشمه ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء إساءته كذا ذكره بعض الشراح * وذكر في المستطرف انه حكى ان رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وادناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان وكان له وزير حاسداً فغار من البدوي فحسده وقال في نفسه ان لم اقتل هذا البدوي أخذ بقلب امير المؤمنين ويبعدني عنه فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى اتى به الى منزله فطبخ طعاماً واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوي منه قال له احذر ان تقرب من امير المؤمنين يشتم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به وقال يا امير المؤمنين ان البدوي يقول للناس ان امير المؤمنين ابخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على امير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه امير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب امير المؤمنين كتاباً الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع له ما رسم به امير المؤمنين وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير اين تريد فقال اتوجه بكتاب امير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير ان هذا البدوي يحصل له مال جزيل فقال يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك الفي دينار فقال البدوي انت الكبير وانت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل فقال اعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير الفي دينار

وركب الوزير وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرأ العامل الكتاب امر بضرب رقبة الوزير فبعد ايام تفكر الخليفة فى امر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له اياما ما رؤى وان البدوى مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وامر باحضار البدوى فسأل عن حاله فأخبر بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من اولها الى آخرها فقال له الخليفة انت قلت انى ابخر فقال معاذ الله يا امير المؤمنين ان احدث بشئ ليس لى به علم وانما كان مكرا منه وحسدا واعلمه كيف دخل به فى بيته واطعمه الثوم وما جرى له منه فقال له امير المؤمنين قاتل الله الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جر اليه وتعلموا امن قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك (ولا تناجشوا) بجيم وشين معجمتين من النجش وهو لغة الاغراء والاثارة يقال نجشت الصيد اثرته لانه يثير الرغبات فى المبيع ويغرى عليها واصطلاحا الزيادة فى المبيع لاجل غرور الغير وانما ذكر بصيغة التفاعل لان التجار يتعارضون فى ذلك فيفعل هذا لصاحبه على ان يكافئه بمثله وهذا النهى لا يقتضى الفساد لانه خارج عنه غير لازم وتفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الاكثر وقيل المراد فى الحديث النهى عن اغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة حكاه القاضى وغيره وقال الاقليشى لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعد والاصل فى النجش تنفير الوحوش من مكان الى مكان فكأنه ينهى عن ان يسعى الانسان فى تغير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطمئن قلوبهم بالاستئناس الذى جعله الله سببا للتحابب بين الناس (ولا تباغضوا) اى لا يبغض

بغضكم بعضا اى لا تتعاطوا اسباب البغض لانه قهرى كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة من الشئ لمعنى مستقبح فيه ويرادفه الكراهة كقوله عليه الصلاة والسلام هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك ثم هو بين اثنين اما من جانبيهما او من جانب احدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وهو محل الحديث وله واجب ومندوب كما قال تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء * وقال صلى الله عليه وسلم من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين (ولا تدابروا) اى لا تتكلموا فى ادبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا ادباركم استثقالا بل ابسطوا وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المؤدى الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولى صاحبه دبره اى لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ونفرة منه لانه يؤدى الى تضييع ما يجب من حقوق الاعانة والنصح ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعوه للدبد من قولهم قطع الله دابره اى من يجئ بعده * وفى الحديث لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام وفى رواية لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام واخذ منه العلماء ان السلام يرفع اثم الهجر وانشد بعضهم

هجرك لى يا سيدى مظلمة * فاستفت فيه ابن ابى خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان صدود الخل عن خله * فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهر لنا هاجر * فما تخاف الله فينا فمه

واخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال فى كل اثنين وخميس

الاسلام من

فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً الا امرأ كانت بينه وبين اخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وفي رواية له تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً الا رجل كان بينه وبين اخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا * واخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي يطلع الله تعالى الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن ووجه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يبغض صاحبه عادة ويوفيه حقوقه وقد يعرض عنه لنحو تهمة او تأديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم * لا يكتم الحب الا خشية التهم * ولذا ورد ان عمر بن الخطاب قال لرجل لا احبك فقال له يا امير المؤمنين يحملك ذلك على ان تمنعني حقاً هو لي قال لا قال فلا ابالي اذن فان الحب من شأن النساء (ولا يبع) بالجزم على النهي (بعضكم) اي معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم في الاخبار للغالب خلافاً لمن اخذ بمفهومه (على بيع بعض) لما فيه من تغيير القلوب بان يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار رد هذا البيع وانا ابيعك مثلها بانقص من ثمنها او اجود منها بمثل ثمنها ومثله الشراء على الشراء بان يقول آخر للبائع في مدة الخيار افسخه وانا اشتريه منك بازيد (وكونوا عباد الله) منادى مضاف اي يا عباد الله فحذف حرف النداء (اخوانا) خبر كان زاد مسلم كما امركم الله ونسبها الى الله لان الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها كأنه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخواناً والا كنتم اعداء ومعنى كونوا اخواناً تعاطوا اسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به اخواناً من الامور المقتضية لذلك

كابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المرضى وتشييع الجنائز واجابة الدعوى والمعاونة على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح * وقد قيل لخالد بن صفوان اى الاخوان احب اليك قال الذى يغفر زللى ويسد خللى ويقبل عللى * وقال القرطبى كونوا كاخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة ولبعضهم

من لى بانسان اذا اغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * اخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله ادرى به

وروى الترمذى تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور والوحر بفتح الحاء المهملة الغش والوسواس وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل اشد البغض (المسلم اخو المسلم) لانه يجمعهما دين واحد ومن ثمه قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية وهو ان يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب اورحم او منهما والاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرتها اخروية وثمرة تلك دنيوية (لا يظلمه) اى لا ينقصه حقه ويمنعه اياه لان الظلم حرام ومذهب للبركة فقد اخرج ابن مردوية الاصبهانى فى الترغيب والبيهقى عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه باخذها فلما كان الغد غدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف وجاء مقدار خمسة عشر بقرة فدعى الملك صاحبها فقال اخبرنى عن بقرتك ارعت اليوم فى غير مرعاها بالامس وشربت من غير مشربها بالامس فقال ما رعت فى غير

مرعاها بالأمس ولا شربت من غير شربها بالأمس فقال ما بال
حلابها على النصف فقال ارى الملك هم بأخذها فنقص لبنها
فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة قال وانت من اين
يعرفك الملك قال هو كما قلت لك فعاهد الملك ربه ان لا يظلم
ولا يأخذ البقرة فغدت فرعت ثم راحت فحلبت فاذا لبنها قد
عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك وقال بينه وبين نفسه
ارى الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة لاجرم لأعدلن
فلأكونن على افضل العدل ولبعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولبعضهم

اصبر على الظلم ولا تنتصر * فالظلم مردود على الظالم
وكل الى الله ظلوما فما * ربي عن الظالم بالنائم

(ولا يخذله) اى لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل له كيف ينصره ظالما
قال يمنعه من الظلم قال العراقي بضم الدال المعجمة والخذلان
ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبي والخذلان حرام سواء
كان متعلقه دنيويا مثل ان يقدر على دفع عدو يريد ان يبطش
به فلا يدفعه او دينيا مثل ان يقدر على نصحه فيتركه (ولا يكذبه)
بفتح ياء المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون
والاول اشهر واكثر بل اقتصر عليه الحافظ العراقي في شرح الترمذي
لكن اقتصر المؤلف على الثاني اى لا يخبره بامر على خلاف ما هو
عليه لانه غش وخيانة وفي الحديث اذا كذب العبد تباعد الملك
عنه ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذي وحسنه وينبغي لمن
اضطر الى الكذب ان يعرض الى المعاريض ما امكن حتى لا يعود نفسه

الكذب * وفي الخبر ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب * وعن ابي بكر انه كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهديني السبيل فيظنون انه يعني هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير * وكان ابراهيم بن ادهم اذا طلب في البيت يقول لخادمه قولي له انظره في المسجد * وقد ورد ان اعرابيا بايع النبي صلى الله عليه وسلم على ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا او سرقة او غيرهما قال كيف اصنع ان سالني النبي صلى الله عليه وسلم فان صدقته حدني وان كذبته فقد عاهدني على ترك الكذب فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها * قال التادلي والكذب خمسة اقسام واجب لانقاذ مال مسلم او نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار ان المسلمين اخذوا في اهبة للحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطيبا لنفسها ومباح وهو الكذب للاصلاح بين الناس * وتعقب ابن ناجي القسم الرابع بان السنة جوزت الكذب فيه اهـ وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطيبا لنفسهما فقال لا خير في الكذب ولقد احسن القائل

الصدق في اقوالنا اقوى لنا * والكذب في افعالنا افعى لنا
فهم يقولون هم اشياخنا * فالحمد قد يفعلوا اشياخنا

(ولا يحقره) بياء مفتوحة وحاء مهملة وقاف مكسورة اي لا يستصغر شانه ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة والاستصغار ومن ذلك ان لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد عليه السلام اذا بدأه به وهذا انما يصدر في الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل

ولا ينتقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معائبه اذا رآه رث الحال او ذا عاهةٍ في بدنه او غير لبق في محادثته لاحتمال ان يكون افضل واقرب عند الله منه * وفي الحديث رُبَّ اشعث اغبر ذي طمرين اى ثوبين خلقين لا يعبأ به لو اقسم على الله لأبرّه وفي الحديث لا يحل لمسلم ان يشير او ينظر الى اخيه بنظر يؤذيه رواه ابن المبارك في كتاب الزهد * ومرّ بعض اولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك لو تركت الخيلاء لكان اجمل لك فقال اما تعرفني فقال والله اعرفك معرفة جيدة اوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت مع ذلك تحمل العذرة فارخى الفتى رأسه وكفّ عما كان عليه * وقال افلاطون لرجل جاهل معجب مختال في نفسه وددت انى مثلك في ظنك وان اعدائى مثلك في الحقيقة * وقال في الأم عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر * وروى ان رجلا قال لغلامه اسقنى فقال نعم قال انما يقول نعم من يقدر ان يقول لا اصفعوه فصفعوه ثم دعا بماء فتمضمض استقذارا لمخاطبته وقد حرّم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد * واما حديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد ان الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم وموصوفا به ولم يسترذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد في الحديث اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم والادب او ما هذا معناه وليس المراد بتعاظمه احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم اغتيابه وهو ذكرك إياه بما يكره وهي اى الغيبة محرمة بالاجماع الا ما استثناه العلماء وقد جمع ذلك بعضهم في بيت فقال

تظلّم واستغث واستفت حذّر * وعرّف بدعة فسق المجاهر

فذكر ستة ترخص الغيبة فيهم الاول التظلم لمن يظن ان له قدرة على ازالة ظلمه او تخفيفه الثاني الاستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على ازالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره عنه الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه او تحصيل حقي * وقد روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وبني آفا آخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر مثل ان يشتري مملوكا وعرف المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وكذلك المستشار في تزويج او ايداع ان يذكر له ما يعرفه على قصد النصح للمتزوج لا على قصد الوضيعة وان علم انه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله لا تصلح لك فهذا الواجب فان علم انه لا يتركه الا بالتصريح بالعيب فله ان يصرح به الخامس ان يكون الانسان معروفا بما فيه نقص كالاعرج والاعمش والاعور والاصم والاقرع فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف فان امكن تعريفه بعبارة اخرى فهي اولى ولذلك قيل للاعمى البصير عدولا عن النقص السادس ان يكون مبتدعا السابع ان يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس وجباية الاموال ظلما فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم لما ورد بسند ضعيف من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاسق حرمة والمراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وظاهره انه يجوز غيبته بما تظاهر به وان كان لا يرضى ذلك وقد قال بعضهم لا يكن

حظ المؤمن منك الا ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقوله ولا يحقره وفي رواية ولا يحتقره وهي بمعناها وفي رواية بياء مضمومة وخاء معجمة ساكنة وفاء مكسورة بمعنى لا يغدره ولا ينقض عهده قال انس قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له لكن قال عياض والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لان الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك دفع عدو عنه والكذب عليه واما احتقاره من حيث الكفر القائم به فجائز قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم (التقوى ههنا) اى محل سببها الذي هو الخوف الحامل عليها القلب الذي في الصدر لا حقيقتها الذي هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور واجتناب المحظور وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ومعنى نظر الله مجازاته ويصح ان يراد بالتقوى هنا الاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب اى من اخلاص القلوب وقد تقدم في حديث اتق الله حيث ما كنت انها ترد لعدة معان (ويشير) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى صدره) فعل ذلك (ثلاث مرات) من كلام الراوى (بحسب) باسكان السين ويستوى فيه الواحد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفعه على الخبرية فالاضافة لفظية بدليل الابتداء وان كان ما بعده نكرة فرفعه محل الابتداء فقط فالاضافة معنوية ولما كان هنا مظنة سؤال وهو ان بقاء حكم التحقير لماذا الحرام اولا فقال (امرئ من الشر) اى كافيه منه (ان يحقر اخاه المسلم) بالنصب صفة

لاخاه وكرّر لحرمة المسلم ففيه تحذير شديد من احتقاره قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون اى لا تحتقر غيرك عسى ان يكون عند الله خيرا منك ويحتمل ان المراد بعسى يصير اى لا تحتقر غيرك فانه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك ولذا قال بعضهم

لا تهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه

ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط * وروى عن ابن جريج ان الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قال البيهقي وبلغنى عن الليث انه قال اللمزة الذى يعيبك فى وجهك والهمزة الذى يعيبك فى الغيب ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تنادوهم بما يكرهون من الالقاب من النبز وهو الطرح ونبه تعالى بقوله انفسكم على دقيقة ينبغى التفطن لها وهى ان المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره ففى الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بئس الاسم الفسوق الخ اى من فعل واحدا من الثلاثة استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد ان كان كاملا (كل المسلم) مبتدا واضافة كل هنا الى المعرفة دليل على جوازه خلافا لمن زعم انها لا تضاف الا الى النكرة (على المسلم حرام) يقال احرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع عنه اى ان المسلم معتصم بحرمة الاسلام ممتنع به ممن اراده وقوله حرام خبر المبتدا (دمه) بدل بعض من كل (وماله) الذى خصه الله به وجعله ملكا له فلا يحل اخذه الا بحقه * وقد اخرج ابن حبان فى صحيحه عن ابن حميد الساعدى لا يحل لمسلم ان يأخذ عصا اخيه بغير طيب نفس منه (وعرضه) وقوله دمه الخ هنا هو المقصود من الحديث وما سبق كالتمهيد له * وقد ورد

انه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به مر بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس * وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها واقتصر عليها لان ماسواها فرع عنها وراجع اليها ولما كانت حرمتها هى الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد فيأ وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك (رواه مسلم) وهو حديث كثير الفوائد

* (الحديث السادس والثلاثون) *

(عن ابى هريرة) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من نفس) اى ازال وكشف وفرج من تنفيس الخناق اى ارخائه حتى يأخذ له نفسا (عن مؤمن) بنفسه او ماله او جاهه او دعائه له بظهر الغيب وآثر ذكر المؤمن لشرفه ومزيد حرمته والا فالذمى كذلك وعبر هنا بمؤمن على ما فى اكثر النسخ وفيما يأتى بمسلم اما التفنن او لان الكربة تتعلق بالباطن فناسب الايمان المتعلق به ايضا (كربة) اى شدة عظيمة لانها ما اهم النفس وغم القلب من كرب التى للمقاربة لان الكربة تقارب ان تزهق الروح فكأنها لشدة همها عطلت مجارى التنفس به وبه يعلم حكمة ايثار نفس على رديفه من ازال وكشف وفرج واخرج الطبرانى من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيمة شعبتين من نور على الصراط يستضئ بضوئهما عالم لا يحصيهم الا رب العزة * وروى ابن بشكوال عن عبد الله ابن المبارك انه قال خرجت الى الجهاد ومعى فرس فبينا انا فى

الطريق اذ صرع الفرس فمرّ بي رجل حسن الوجه طيّب الرائحة فقال تحبّ ان تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتّى انتهى الى مؤخره وقال اقسمت عليك هذه العلة بعزّ عزّة الله وبعظيم عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا اله الّا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الّا بالله الّا انصرفت قال فانتفض الفرس واخذ الرجل بركابي وقال اركب فركبت ولحقت باصحابي فلمّا كان غداة غدٍ ظهر العدوّ واذا هو بين ايدينا فقلت له الست صاحبي بالامس فقال بلى فقلت سألتك بالله من انت فوثب قائماً فاهتزت الارض تحته خضرا فاذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الّا شفي باذن الله تعا * وذكر بعضهم انه يقول لا اله الّا الله العظيم الكريم لا اله الّا الله العليّ العظيم لا اله الّا الله ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم الله ربّي لا شريك له يا من لا يغفر الذنوب الّا هو يا من لا يعرف كيف هو الّا هو يا من لا يعرف قدرته الّا هو فرّج عني كربتي وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم * واكمل ادعية الكرب لا اله الّا الله العظيم الحليم لا اله الّا الله ربّ العرش العظيم لا اله الّا الله ربّ السموات وربّ الارض وربّ العرش الكريم لا اله الّا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله ربّ العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين يا حيّ يا قيّوم برحمتك استغيث اللهمّ رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الّا انت الله ربّي لا اشرك به شيئاً لا اله الّا انت سبحانك انّي كنت من الظالمين توكلت على الحيّ الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً ويقرأ آية الكرسيّ وخواتيم البقرة * وقال بعض

الفضلاء ومن توسّل بهذه السّادة فى قضنا وحاجة اودفع كربة
استجيب له وقد جُرّب ذلك وهم سعيد بن المسيّب وابوسليمان
الدارانىّ وابوجابر وسليمان التيمىّ ومالك بن دينار وبشر الرقاشى
وحبيب العجمىّ ويحيى البكّاء وكهمس ورابعة العدوية • قال التتائىّ
فى شرح الجلاب ومن خطه نقلت ورايت فى بعض المجاميع عن ابن
عبد البرّ من كتب هذه الاسماء وجعلها فى قبر ميت حاجّت عنه الملكين
وهى اويس القرنىّ معروف الكرخىّ ابومسلم الخولانىّ عامر بن
عبد قيس مسروق بن الاجدع هرم بن حيّان الاسود بن يزيد
الربيع بن خيثم للحسن بن ابى الحسن البصرىّ * وقد نظم
بعضهم اسماء هؤلاء لقضاء الحوائج فقال

توسّل الى الرّحمن فى كلّ حاجة * تروم قضاها بالكرام ذوى الزهد
اويس ومعروف الربيع وهارم * يلى الحسن البصرىّ عامر ذى الرشد
ابومسلم الخولانى مسروق اسود * تمام الثقات الزاهدين ذوى المجد

(من كرب الدّنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة) مجازاةً
ومكافاةً له على فعله بجنسه * فان قيل قال الله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها وهذا الحديث يدلّ على الحسنة بمثلها
لانها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيمة
فالجواب من وجهين احدهما انّ هذا مفهوم عدد وهو لا يفيد
حصرًا بمعنى انه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة الثانى انّ كلّ كربة
من كرب يوم القيمة تشتمل على اهوال كثيرة واحوال صعبة ومخاوف
جمّة وتلك الاهوال امّا عشرة او تزيد عليها * وفى الحديث سرّ آخر
مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم للملزوم وذلك انّ فيه وعدًا بطريق
اخبار الصّادق انّ من نفّس الكربة على المؤمن يختم له بالخير ويموت
مسلمًا لانّ الكافر لا يرحم فى الدار الآخرة ولا ينفّس عنه من كربها
وخصّ الجزاء هنا بكرب يوم القيمة وعمّم فى السّتر الآتى لانّ الدنيا

لما كانت محل العورات والمعاصي احتيج الى الستر فيها واما الكرب فهي وان كانت الدنيا محلا لها ايضا لكن لانسبة لكربها الى كرب الآخرة حتى تذكر معها (ومن يسر) بابراء او بهبة او صدقة او نظرة الى ميسرة اونحو ذلك بان يكون واسطة في ذلك (على معسر) وهو من عليه دين وتعسر عليه اداؤه من العسر وهو الضيق والشدة (يسر الله عليه) اموره ومطالبه (في الدنيا والآخرة) مجازاة له عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعا واحب خلقه اليهم انفعهم لعياله * وفي الحديث من انظر معسرا اووضع عنه اظله الله في ظله يوم لاظل الا ظله * وفي رواية وقاه الله من فيح جهنم وفي حديث حسن من نفس عن غريمه اومحا عنه كان في ظل العرش يوم القيمة * وصح من انظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل ان يحل اجل الدين فاذا حل الدين فانظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة * وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه * وفي اخرى للنسائي فاذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا قال الله تعا قد تجاوزت عنك * اخرج ابن ابي الدنيا انه عليه الصلاة والسلام قال من اراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر * (تنبيه) * ورد في الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة اخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع

ونظمها بعضهم فقال

إمامٌ محبٌّ ناشئٌ متصدّقٌ * مُصلٍّ وباكٍ خائفٌ سطوةَ البأس
يُظلّهم الله العظيم بظلّه * اذا كان يوم الحشر لا ظلّ للناس

وجاءت اخبار بالزيادة على ذلك كمن انظر معسرا او وضع عنه ومن اوفى دين الغارم ومن اعان مكاتبا ومن قتله اهل الكتاب على الاسلام ومن اعاد صلاته في جماعة ومن مات غريقا في البحر ومن طلب علما فادركه الموت دونه ومسبغ الوضوء في وقت البرد ومن اشترى امة فادبها واحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها ومن انفرد في عصره بحفظ السنة والامام المؤذن احتسابا ومن اخفى عمله الخير واذا ظهر عليه فرح واستبشر بتوفيق الله له ومن جامع يوم الجمعة من يحل جماعها واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة ومن عاد عليه سلاحا في الجهاد فقتله ومن اعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشي ليشيع الجنازة ومن شيع جنازة لاستحيائه من اهلها والمجاهد لاعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ في المصحف ومن قرأ القرآن فاعربه اي تفهمه وتدبره والعبد المؤدي حق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من غير نقض للاول وازواج النبي صلى الله عليه وسلم والمتصدقة على زوجها قال الجلال * ومن صدق في تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن في صغره ويتلوه في كبره ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت عن علم وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوي في كتابه المسمى بالخصال الموجبة للظلال حيث نقل فيه عن شيخه الحافظ ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة واكملها هو اثنان وتسعين بتقديم التاء على السين ولا يبعد

* * * ان يدخل في قوله ومن يسر الى التيسير بالعلم مثل ان يقع في مسئلة يحسن التخلص منها شرعا فيبين له حكمها ويهديه الى الصواب (ومن ستر مسلما) اى ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يسترها به فيعطيه ما يسترها به والمعنوية باعانته على ستر دينه كان يكون محتاجا النكاح فيتوسل له في التزويج او الكسب او يتوسل له في بضاعة يتجر فيها او نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما اى ستر بدنه باللباس او عيوبه بعدم الغيبة والذب عن معايبه قال ابن فرج الاندلسي والمراد الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولى الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات او جسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت اما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فان عجز لزمه رفعها الى ولى الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة قال واما جرحة الرواة والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح في اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه (ستره الله في الدنيا والآخرة) بان لا يعاقبه على ما فرط منه * وقال عليه الصلاة والسلام من رأى عورة فسترها فكانما احيى موؤدة رواه النسائي وابو داود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد * وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه الطبراني

ولما فيسرح ... ذلك ... تخلصه منها

(والله فى عون العبد) الواو للاستئناف وما عداهذه والاخيرة للعطف وهو تذييل لما قبله لشموله لدفع المضرة وهو ما فى الاولين وجلب النفع وهو ما فى الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى الجملة الاسمية ليقوى حكمها بناء للخبر فيها على المبتدا (ما كان العبد) اى مدة دوام كونه (فى عون اخيه) بقلبه او بدنه او بهما او مال او غيرهما لجاهه كما اذا كان محتاجا الى النكاح فيزوجه او الى مال فيشترى له بضاعة يكتسبه فيها لان المجازاة من جنس العمل وتأمل قصة موسى لما خرج لحاجة اهله كلمه الله فى عين حاجته وهى النار وسببه ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الاجل الذى بينه وبين شعيب استأذنه فى الرجوع الى مصر لزيارة والدته واخيه هارون فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امرأته فى ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجأه السير الى جانب الطور الغربى الايمن فقدح زنده فلم يوره فبينما هو من ايلة اذ ابصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور فالسدى ظن انها نار من نيران الرعاة فاتاها فاذا هى شجرة خضراء النار من اعلاها الى اسفلها تتقد بيضاء كاضوء ما يكون فدنا منها فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فظن انه نار فاخذ من الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم تكن فرفع رأسه الى فروعها فاذا خضرتها ساقطة من السماء وكذلك الخضر بعثه امير الجيش الذى كان فيه يرتاد لهم ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة وعن مجاهد ان مريم مرت فى طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق

فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع من كسبهم البركة
وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها *
وقد ورد في الحديث من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له
أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان
براءة من النار وبراءة من النفاق * وبعث الحسن البصري
جماعة من أصحابه في حاجة لرجل وقال لهم مروا بثابت البناني
فخذوه معكم فأتوا ثابتا فقال أنا معتكف فرجعوا إلى الحسن
فأخبروه فقال قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة
أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا إلى ثابت فأخبروه
فترك اعتكافه وذهب معهم (ومن سلك) أي دخل (طريقا)
فعيل من الطرق لأن الأرجل ونحوها تطرقه والطريق يذكر
ويؤنث والجمع أطرق وطرق اهـ لكن جمعه على أطرق مخصوص
بحالة التأنيث كما أن جمعه على أفعلة مخصوص بحالة التذكير
وأما جمعه على فعل فهو في الحالتين والتنوين فيه للشيوع إذ
النكرة في الإثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت
(يلتمس) أي يطلب (فيه) أي في غايته أو بسببه أو فيه
حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه (علما) شرعيا بأي
سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف وقوله علما حصل
أو لم يحصل لأن الأعمال بالنيات ونكره ليتناول أنواع العلوم
الدينية ويندرج فيه القليل والكثير (سهل الله به) أي بذلك
السلوك على حد اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل (طريقا
إلى الجنة) يحتمل في الدنيا بأن يوفق للأعمال الصالحة ويحتمل في
الآخرة بأن يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة
بحيث لا يرى من مشاق الموقف الشاقة من العقبة والجواز
على الصراط ما يراه غيره وذلك بأن يسهل عليه الموقف في الحشر

والجواز على الصراط وهذا اقرب لظاهر الحديث * وقد روى
انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين
فو الذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب
الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة
ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له
(وما اجتمع قوم) هم الرجال فقط او مع النساء على ما مر فيه
من الخلاف ويذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى
وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من تنكيره
ان كل قوم اجتمعوا لما ذكر يحصل لهم الاجر من غير اشتراط وصف
خاص فيهم من علم او صلاح او زهد وكره الامام مالك
الاجتماع على القراءة والذكر الا ان يكون كل واحد يقرأ لنفسه
على انفراده او يذكر وعليه حمل الحديث وما اشبهه من الاحاديث
الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر (فى بيت من بيوت الله)
مما بنى لنيل ثوابه ورضاه من نحو مسجد ورباط ومدرسة وقوله
من بيوت الله ليس قيدا اذ غيرها كهى لكنه خرج مخرج الغالب
الطهارة لشرفها اذ العبادة فيها افضل من غيرها (يتلون كتاب الله
ويتدارسونه بينهم) يحتمل ان يكون ذلك جملة واحدة كما هو
الواقع فى غالب البلاد ويحتمل ان يقرأ كل واحد منفردا شيأ منه
وعلى هذا حمل امامنا مالك الحديث لكراهة الاجتماع على القراءة
جملة واحدة واصل الدراسة التعهد للشئ تدارسوا القرآن
اى اقرؤه وتعهدوه وقوله يتلون الخ حال من قوم لتخصيصه
(الا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون والمراد بها ههنا
الوقار والطمأنينة وكل ما يطمئن القلب به ويسكن وايضا
اسم ملك ينزل لتسكين الرعب والخوف اذ بذكره تعالى تطمئن القلو

لاضد الحركة وقيل هي الرحمة واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه المقتضي للمغايرة وأما السكينة في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية فقال ابن عطية قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انها ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروى انه قال ريح خجوج سريعة المرور والخجوج كما قال الجوهري هي التي تلتوي في صوبها وقال مجاهد السكينة شئ يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد * وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل انها رأس هرة ميتة كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ الهر ايقنوا بالنصر وقيل صورة هرة مع بني إسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم * وقال ابن عباس والسدي انها طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل انها روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شئ اخبرتهم ببيان ما يريدون * وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها * وقال النووي هي شئ من خلق الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة * وقال السيوطي انها اسم ملك وقيل هي شئ كان يلقى موسى فيه الالواح والعصا وقيل غير ذلك (وغشيتهم الرحمة) اي علتهم وسترتهم وشملتهم وغطتهم من كل جهة (وحفتهم الملائكة) اي احدقت وطافت بهم ورفرفت عليهم واحاطت بهم ملائكة الرحمة المنزلة لاستماع الذكر تعظيما له واكراما للذاكرين على غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها لهم ومنه حافة الطريق اي جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش اي مطيفين به واما قوله كان بي حفيا اي لطيفا وقيل بارا (وذكرهم الله) اي اثنى عليهم او اثابهم كما يقول الانسان لاخيه

اذكرنى فى كتابك او آثابهم كما قيل به فى تفسير قوله تعالى فاذكرونى اذكركم اى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالجزاء عليها والمتبادر الى الذهن الاول (فيمن عنده) من الانبياء والملائكة الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى فى الحديث القدسى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه فالعندية هنا عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالتها عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وقد اجتمع مالك بن دينار بالبهلول فقال اخبرنى عن الاولياء فقال له البهلول هم الذين لا يلفظون بغير ذكر الله لفظة ولا ينظرون لغيره منظرة (ومن ابطأ) من البطء نقيض السرعة اى من قصر (به عمله) يعنى من أخره عمله السيء او تفريطه فى العمل الصالح (لم يسرع به نسبه) اى لم ينفعه شرف نسبه ولم يجبر نقيصته به فلا يلحقه برتبة اصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هى بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فاخبر تعالى ان الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم ائتونى باعمالكم لا بانسابكم وانشد للحريرى

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

فان قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء يدل على ان شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه بان ذريات المؤمنين صغارا كانوا وكبارا يلحقون بآبائهم فى المراتب من غير ان ينقص من مراتبهم شيء * وفى الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اهـ ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده فى الدرجة انه يرفع فى درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وما فى الحديث هنا فالجواب ان المذكور

في الآية الشريفة يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط وفي لفظ الابطاء والاسراع اشارة اليه ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه احد يقول يا رب ابطأت بي فينادي به يا عبد عملك او ان ما في الحديث هنا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا (رواه مسلم بهذا اللفظ) وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

(الحديث السابع والثلاثون)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه) ظاهره انه من الاحاديث القدسية المنسوبة الى كلام الله عز وجل نحو انا عند ظن عبدي بي ويحتمل ان المراد فيما يحكيه عن فضل ربه او حكمه او نحو ذلك (تبارك) تفاعل فعل ماض لا ينصرف ولا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو جامع لانواع الخير ومخصوص بالباري كسبحان (وتعالى) اي تنزه عما لا يليق بعلياء كماله الاقدس (قال ان الله) تعالى (كتب) من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف (الحسنات) اي ما يتعلق به الثواب (والسيئات) اي ما يستحق فاعله العقاب والمراد امر الحفظة بكتابتهما او قدرهما في علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك المكتتب والضمير في قوله بين راجع الى الله تعالى ان قلنا انه من الاحاديث القدسية اي بين مقدارهما للكرام الكاتبين من التضعيف في الحسنات من عشرة او سبعين او سبعمائة او غير ذلك والتخفيف في السيئات اولنا في التنزيل والى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني اي فصل ذلك الذي اجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله (فمن هم بحسنة) اي قصد فعلها والفاء تفصيلية لان ما ذكر مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة

عمل

فلم

(فلم يعملها) بجوارحه وهو بفتح الميم (كتبها الله عنده) هذه عندية
شرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان وفي هذا ردّ لمقالة
من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من اعمال العباد وسمع من
اقوالهم واحتجوا بما روى عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم انها
قالت لان اذكر الله في قلبي مرة احبّ اليّ من ان اذكره بلساني
سبعين مرة وذلك لانّ ملكا لا يكتبها وبشرا لا يسمعها واطلاع
الملكين الموكلين بالعبد على الهمّ امّا بكشف عن القلب وما يحدث
فيه كما يقع لبعض الاولياء وامّا باعلام الله اياهما بذلك *
ويؤيده ما وقع في حديث ابن عمر فينادي الملك اكتب لفلان
كذا وكذا فيقول يا ربّ انه لم يعمل فيقول انه نواه وامّا بريح تظهر
لهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز بها
(حسنة) لانّ الهمّ بالحسنة سبب الى عملها وهي خير وسبب الخير
خير فالهمّ بها خير (كاملة) مفعول ثان باعتبار تضمين الكتابة
معنى التصيير او حال موطئة اي لا نقص فيها وليس المراد بكمالها
مضاعفتها لانّ التضعيف مختصّ بالعمل ولو مرّ عليه ازمنة متعددة
وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فانّ الله تعالى يكتب له حسنات
بعدد تلك الازمنة (وان همّ بها فعملها) بكسر الميم (كتبها الله
عنده عشر حسنات) لانه اخرجها من الهمّ الى ديوان العمل فكتب له
بها حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وهذا اقل ما وعد به من التضعيف وقد تضاعف
مضاعفة اخرى (الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد اي مثل وقيل
مثلين على حسب ما يكون فيها من خلوص النية وايقاعها في
مواضعها التي هي اولى بها (الى اضعاف كثيرة) بحسب الزيادة
في الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدّي النفع
كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنّة الحسنة ونحو ذلك

وذكر بعضهم ان اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال
فنوع يضاعف بعشرة امثاله كسبحان الله كما يأتي بيانه ونوع
بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام
لعبد الله بن عمرو بن العاصي صم يومين ولك ما بقي من الشهر
ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من
قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون
حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ونوع بخمسين لخبر
من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا اقول الم حرف
ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف قال الغزالي وانظر المراد
باعرابه هل المراد به عدم الخطا في الاعراب والاتيان به مجودا
او الاول فقط وعد الحافظ السيوطي فيمن يؤتى اجره مرتين
من قرأ القرآن باعرابه قال والمراد باعرابه معرفة معاني الفاظه
وليس المراد به المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة
مع فقده ليست بقراءة ولا ثواب عليها اهـ * وذكر الثعالبي
رحمه الله تعالى تفسير الاعراب في حديث من قرأ القرآن باعرابه فله
بكل حرف الخ نحو ما تقدم عن السيوطي ومن هذا النوع حديث
من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع بخمسمائة
لحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي
يجمع فيه بخمسمائة صلاة ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال في سبيل
الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم * وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة
كلها مخطومة ونوع بسبعمائة الف لما رواه ابن ماجة انه عليه

الصَّلاةُ والسَّلام قال مَن ارسَل بنفقة فى سبيل الله واقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وانفق فى وجهه فله بكل درهم سبعمائة الف درهم ، وذكر الحطاب فى حاشية الرسالة القيروانية ان الصلاة فى جماعة بمائتين وخمسين فان كانت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبمائتى الف وخمسين الفا والله يضاعف لمن يشاء ، ونوع بالف الف لقوله عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة رواه الترمذى من حديث ابن عمر ، وقد قيل لابى هريرة اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليجزى على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزى على الحسنة الواحدة الفى الف حسنة ، وقد روى عن ابن عباس ان التضعيف ينتهى لمن يشاء الله الى الفى الف قال ابن عطية وليس هذا ثابت الاسناد عنه ، وقال الشارح الهيتمى ومن الفضل ايضا ان الله تعالى اذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه باجر رفعها كلا اله الا الله وحده لا شريك له الخ اذا قيلت فى سوق مع رفع الصوت فان فيها الفى الف حسنة ومحو الفى الف سيئة مع مناصب فى الجنة لقائلها كما ورد فاذا كانت فى حسنات عبد جوزى على سائر حسناته باجرها كما قال تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وهذا بحسب مقدار معرفتنا والا ففضله تعالى لا يمكن احدا ان يحصره انتهى (وان هم بسيئة فلم يعملها) اى تركها امتثالا مع القدرة على فعلها (كتبها الله عنده حسنة كاملة) لانه انما تركها بعد ان هم بها خوفا من الله عز وجل ولذا جاء فى بعض طرق الحديث انما تركها من جراى

اى من اجلى واما لو حال بينه وبينها حائل كان يذهب الى امرأة ليزنى بها فيجد الباب مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم ينتشر اوطرقه من يخاف اذاه وحينئذ فان ترك السيئة امتثالا كتب له حسنة * والا فلا *

(وان هم بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة) قال الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة انه لا يكتب عليه الهم معها لكن مفهوم الحديث الذى رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها مالم تتكلم او تعمل به فقضية ذلك انه اذا تكلم بما هم به كالغيبة او عمله كشرب المسكر انضم الى المؤاخذة بذلك المؤاخذة بالهم واعتمده التقى بن رزين وتناقض فيه كلام السبكى ورجح ولده مايوافق كلام ابن رزين نعم ان جعل قوله فى حديث النفس مالم تتكلم او تعمل به ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت او عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب فحديث النفس اولى وافق الحديث الذى هنا الا ان فيه بعدا واستثنى بعضهم الحرم المكى فقال ان السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه * واعلم انما يقع فى النفس من قصد المعصية له خمس مراتب الاولى الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد وانما هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع ايضا * الثالثة حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل ام لا وهو مرفوع ايضا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها مالم تتكلم او تعمل به الرابعة الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع ايضا وفى هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه

بخلاف الثلاث الأول فانه لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب
الخامسة العزم وهو قوة القصد والعزم به قال بعضهم وهو
كالاقسام السابقة والمحكي عن المحققين المؤاخذة به وهو الصحيح
وممن قال بذلك القاضي ابو بكر قال القاضي عياض في الإكمال
عامة السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
على ما ذهب اليه القاضي ابو بكر اهـ ويدل للمؤاخذة به حديث
اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا
على قتل صاحبه ثم ان العزم على الكبيرة وان كان سيئة فهو
دون فعل الكبيرة المعزوم عليها وتردد في ذلك القاضي
ابو بكر (رواه البخاري ومسلم بهذه الحروف) وهو تحت عظيم
(فانظر) من النظر وهو كما قال الجوهري تامل الشيء (يا اخي)
نداء استعطاف وشفقة ليكون ادعى الى الامتثال والقبول
(وفقنا الله) دعا بالتوفيق لعزته اذ لم يذكر في القرآن الا
مرة واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله واما قوله إن
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فهو من الموافقة وقوله وفقنا
يحتمل ان يريد بالضمير نفسه فقط او هو وغيره وعلى الاول
اتى بنون العظمة لانه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ
درجة التأليف كما نص عليه شراح الرسالة القيروانية
وفي الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعالم الناشئة الناشئ
بالجماعة وتقدم المراد به عند قوله ولا يعتمد (واياك) بدأ
بنفسه لانه يندب للانسان ان يقدم نفسه في الامور الدينية
ومن هذا يعلم ان قول بعض الناس ويدابكم بعد قول من قال
تقبل الله منكم ونحوه مخالفة للسنة قال ابو الحسن الشاذلي
بعد ان ذكر انه يبدأ بنفسه في الدعاء ندبا ما نصته هذا

فى الدّعاء فى الكتاب واما ان كتب كتابا للغير واراد ان يدعو فانه يبدأ بالمكتوب اليه وقيل يبدأ بنفسه وقيل يخيّر وجاءت عن مالك رضى الله عنه انه قال ان كان المكتوب اليه اكبر من الكاتب بدأ به وان كان الكاتب اكبر بدأ بنفسه وهى فائدة حسنة اهـ وقوله هذا فى الدعاء فى الكتاب اى فى الكتاب الذى يؤلفه وكذا اذا تلفظ بالدّعاء بغير كتاب كرب اغفرلى ولوالدى كما فى الآية الشريفة فان قلت يرد على هذا القول من سمع العاطس يحمد الله فانه لم يبدأ بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول انه لما كان وسيلة الى دعاء الآخر له اغتفر ذلك الثانى ان الاول يحمل على من دعا لنفسه ولغيره والثانى على من دعا للغير وانظر ما المراد بكونه اكبر هل فى السّن او فى النسب او فى العلم والظاهر انّ المراد فى واحد منها وربّما يشعر به قوله صلى الله عليه وسلم لا توسّع المجالس الا لثلاث لذى علم او سنّ اوذى نسب والظاهر انه اذا كان مساويا له يخيّر * وذكر فى العقيدة البرهانيّة انه يقدّم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد فى الحديث انّ العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدى وبك ابدأ فاىّ فضيلة تلتمس وراء هذه وهى كونه مبدوءا به فى الاجابة وقد يجمع بانّ ذلك بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (الى عظيم لطف الله) قال اهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطاء واللطف بفتحهما لغتان فيه كما صرح به النووىّ وهو لغة الرفق وصنوف البرّ لما فى النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه اشار لمن قال هو اجتماع الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن سورت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا المعنى مرادف للتوفيق مفهوما وماصدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد آخرة بان تقع منه الطاعة دون المعصية

اى بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ماصدقا لا مفهوما وقوله آخرة على وزن درجة ومعناه انه اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة ولطف بضم الطاء بمعنى صغر ودق (رتأمل هذه الالفاظ) النبوية (وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها) وشرف فاعلها (وقوله كاملة التوكيد) اى صفة مؤكدة (وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فاكد تقليلها بواحدة) لان مفهوم الواحدة مشعر بالقلة (ولم يؤكدها بكاملة فلله) دون غيره (الحمد) على هذا الفضل العظيم (والمنة) اى النعمة المتقلبة من المن وهو الانعام مطلقا او على ما يطلب ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله قال الله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قيل المنة تهدم الصدقة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم

وان امرؤ اهوى اليه صنيعة * وذكرنيها انه لبخيل

وما احسن قول الزمخشري طعم الآلاء احلى من المن وهو امر من الآلاء عند المن واراد بالآلاء الاولى النعم وبالثانية الشجر المر وبالمن الاول ماذكر في قوله تعالى المن والسلوى وبالثاني تعديد النعم وروى عن علي كرم الله وجهه انه سئل عن الحنان المنان فقال الحنان هو الذى يقبل على من اعرض عنه والمنان هو الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال (سبحانه) وتعالى وهو مفعول مطلق اى انزهه عن النقائص وهو علم للتسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا (لا نحصى) معشر الخلق (ثناء عليه) موفيا بحق نعمة من نعمه والثناء بتقديم المثلثة والمد والمشهور

في اللغة قصر استعماله في الخير واستعماله في الشر مجاز واما بتقديم النون فلا يستعمل الا في الشر وذكر صاحب المصباح انه يستعمل فيهما وهو الصحيح (وبالله التوفيق) الى مرضاته

(الحديث الثامن والثلاثون)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال) علم بهذا انه من الاحاديث القدسية ووقع في حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل (من عادى) من المعاداة ضد الموالاة والمهادنة والعدو ضد الولي والانثى عدوة وهو من النوادر لان فعولا اذا كان بمعنى فاعل لا تلحقه التاء لاستواء المذكر والمؤنث فيه وجمعه عدا بضم اوله وكسره وعداه بالضم لا غير وفي رواية من اهان وفي رواية احمد من آذى اي واغضب بالقول والفعل (لي) متعلق بقوله (وليا) اي من اجل كونه وليا لله فانه جرى بين الصديق والفاروق خصومة وبين العباس وعلي وكثير من الصحابة ما جرى ولذا قال الكرماني قوله لي هو في الاصل صفة لقوله وليا لكنه لما تقدم صار حالا والولي ماخوذ من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو يقال متباعدنا وجد ولي ومنه كل مما يليك وهو فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان او بمعنى مفعول لان الله والاه بالحفظ ومزيد الامداد ولم يكله الى نفسه لحظة وضابط الولي انه المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك في اللذات فان قلت المعاداة لا تكون الا من جانبين ومن شان الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه واجيب بان المعادة لا تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد تقع من بغض ينشا عن التعصب كالرافضي في بغضه لابي بكر

والمبتدع فى بغضه السنى فتقع المعاداة من الجانبين اما من جانب الولى فلله وفى الله واما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولى فى الله وببغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته وايضا المفاعلة قد تأتى للواحد كسافر وعافاه الله قال على بن ابى طالب اولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوى * وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلى الآية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونتيجة ان ذلك فى الولى الكامل واما اصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين اياك ومعاداة اهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم اولياء الله وان اخطأوا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيئا فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة * (تنبيه) * ولى ورد فى القرآن لمعان الاول الولد كقوله تعالى فى سورة مريم فهب لى من لدنك وليا يرثنى ولدا الثانى الصاحب من غير قرابة كقوله تعالى فى بنى اسرائيل ولم يكن له ولى من الذل الثالث القريب كقوله تعالى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا اى لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر الرابع العصبة كما فى قوله فى سورة مريم وانى خفت الموالى من ورائى يعنى العصبة الخامس الولاية فى الدين كقوله تعالى فى المائدة لا تتخذوا اليهود والنصارى

اولياء بعضهم اولياء بعض السادس الولى الذى يوعقه كقوله تعالى فى آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين (فقد آذنته) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون اى اعلمته والايذان الاعلام ونظيره قالوا آذناك اى اعلمناك واذ تأذن ربك اى اعلم فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله (بالحرب) اى اعلمته بانى محارب له واللام فى قوله بالحرب للجنس فينصرف الى اكمله فان قلت المحاربة مفاعلة وهى لا تكون الا من الجانبين مع ان المخلوق فى اسر الخالق فالجواب ان هذا من باب المخاطبة بما يفهم فان الحرب ينشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله تعالى لا يغلبه غالب فكان المعنى فقد تعرض لاهلاكى اياه فاطلق الحرب واراد به لازمه او اعمل به معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هنا فى جانب المعاداة ثبت ضده فى جانب الموالاة فمن والى اولياء الله اكرمه الله * وفى الحديث القدسى اين المتحابون لجلالى اليوم اظلهم تحت ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقوله من عادى لى وليا اى من اجل ولايته وقربه من الله تعالى لا مطلقا فلا تدخل منازعة فى محاكمة او خصومة راجعة الى استخراج حق او كشف غامض لجريان نوع ما من الخصومة بين ابى بكر وعمر وبين على والعباس وبين كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع ان الكل اولياء الله (وما تقرب الى) بتشديد الياء (عبدى) بالاضافة للتشريف من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية قال ابو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى قرب العبد من ربه يقع اولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من عبده ما يخصه فى الدنيا من عرفانه وفى الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده

عن الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء * ووقع في حديث ابي امامة تحبب بدل تقرب (بشئ) اي عمل (احب) يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على انه صفة لشئ المجرور نابت فيه الفتحة عن الكسرة لانه لاينصرف للعلمية ووزن الفعل والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو احب (الي مما) موصولة او موصوفة والعائد محذوف وفيه حذف مضاف اي من اداء (افترضته عليه) عينا كان او كفاية كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج واداء الحقوق الى اربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرف المهمة لان الامر بها جازم فيتضمن امرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف النوافل لان الامر بها غير جازم فيثاب على فعلها ولايعاقب على تركها ولذلك كانت الفرائض اكمل واحب الى الله واشد تقربا وروي ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض كالاس والنفل كالبناء على ذلك الاس (ومايزال) بلفظ المضارع وفي رواية بلفظ الماضي (عبدي يتقرب الي) اي يداوم على التقرب الي زيادة على ما افترضته عليه (بالنوافل) الزائدة على الفرائض اي تطوعات من سائر اصناف العبادات من صلاة في الليل او في النهار ولاسيما المؤكدات وصدقة او حج تطوع او اصلاح بين الناس او جبر خاطر بينهم او اعانة مسلم او تيسير على معسر او نحو ذلك ولفظ الطبراني ولايزال عبدي يتحبب الي وفي رواية له لايزال عبدي يتنفل الي (حتى احبه) بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة ويجوز في حتى وجهان احدهما ان تكون بمعنى الى والثاني ان تكون بمعنى كي التي للتعليل (فاذا احببته) بتقربه الي باداء الفرائض وكثرة النوافل

حتى امتلأ قلبه من معرفتي واشرقت عليه انواري ولا يحي (كنت سمعه) السمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخ حتى يدرك بها صورة ما يأتي اليه بتموج الهواء (وبصره) البصر هو قوة رتبت في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان متفرقتين الى العينين يدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام المتكونة (الذي يبصر) بضم اوله (به ويده التي يبطش) بفتح اوله وكسر ثالثه او ضمه والكسر اشهر (بها ورجله التي يمشي بها) زاد عبد الواحد عن عروة عن عائشة عن احمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به فان قلت كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ فالجواب من اوجه احدها على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش بها فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشي بها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا او ندبا او اباحة وهذا هو المعتمد ثانيها قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعه مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل انت رجائي بمعنى مرجوي وفلان املي بمعنى مأمولي والمعنى لا يسمع الا ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا لما فيه رضائي ومحبتي ولا يمشي برجله الا لذلك ثالثها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده في المعاونة رابعها قال ابو عثمان الحيري احد ائمة الطريقة معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي خامسها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري

فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح سادسها
ان المعنى اجعل له مقاصده كانه ينالها بسمعه وبصره الى آخره
سابعها قد يكون عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في
الطلب وذلك ان مسائل الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح
المذكورة وحمله بعض متاخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام
الفناء والمحو وانه الغاية التي لا شئ وراءها وهو ان يكون قائما
باقامة الله تعالى له محبا لمحبته له ناظرا بنظره له من غير ان يبقى
معه بقية تناط باسم او تقف على رسم او تتعلق بامر او توصف
بوصف والتحقيق انه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب
اليه بما ذكر وتاييده واعانته وتوليته في جميع اموره حتى كانه
تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي يستعين
بها ولهذا جاء في رواية اخرى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
وبي يمشي اي انا الذي اقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه
فانا الفاعل لذلك لا انه يخلق افعال نفسه خلافا للمعتزلة
وزعم الاتحادية والحلولية ان الحديث على حقيقته وان الحق
عين العبد او حال فيه فهو ضلال مكفر اجماعا ويرد حملهم
قوله في بقية الحديث ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني
لاعيذنه (ولئن) بلام القسم (سالني) شيئا من امور الدنيا
والآخرة فحذف المفعول للتعميم وكذا فيما بعده (لاعطينه) ما
سال وقد كان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلى
وقال اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك
نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضا ولا تجعل لاحد
فيه نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء
يتدفق فشربوا وملأوا اوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض اصحابه
الى موضع النهر فلم ير شيئا وكانه لم يكن في موضعه ماء قط

وخرج قوم غزاة فى سبيل الله تعالى وكان لبعضهم حمار فمات الحمار وارتحل الناس فقام صاحبه وتوضأ وصلى وقال اللهم انى خرجت مجاهدًا فى سبيلك وابتغاء مرضاتك واشهد انك تحيى وتميت وتبعث من فى القبور فاحى لى حمارى فقام الى الحمار وضربه فقام الحمار ينفض اذنيه فركبه ولحق اصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة فان قلت جماعة من العباد والصلحا دعوا وبالغوا فلم يجابوا فالجواب ان الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يتاخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة وفى الواقع مصلحة ناجزة او اصلح منها (ولئن استعاذنى) بالنون بعد الذال المعجمة وفى رواية بالباء الموحدة والاول اشهر واستعاذ بمعنى اعتصم واستجار (لاعيذنه مما يخاف واللام موطئة للقسم * ودخل قوم على الحسن البصرى فشكوا الشيطان فقال خرج من عندى الساعة وشكى منكم وقال قل لهم يتركون لى دنياى اترك لهم دينهم * وقد ورد ان الشيطان يغوص فى باطن الانسان ويضع راسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة ويدل لذلك ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه مجاريه بالجوع * وقال عليه الصلاة والسلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض واختلف العلماء فى الجن هل لهم اطلاع على بواطن البشر ونفوذ فيها فالمشهور ان لهم ذلك وانكر اكثر المعتزلة ذلك قال شرف الدين المرسى رحمه الله اعلم ان الذى يستعيذ العبد لاجله يجرى مجرى ما لا نهاية له اولها الجهل ثانيها الفسق وثالثها المخالفات غير الآفات والمكروهات * وفى الحديث ما منكم احد الا وله شيطا

قيل ولا انتَ يا رسُولَ الله قال ولا انا الا انّ الله تعالى اعانني عليه فاسلم بفتح الميم وفي رواية بضمّها فالاول من الاسلام والثاني من السّلامة اي اسلمُ من كيده * وعن معقل بن يسار عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يُصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سُورة الحشر وكّل الله به سبعين الف ملك يُصلّون عليه حتّى يُمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدًا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة * وروت خولة بنت حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نزل منزلًا وقال اعوذ بكلمات الله التامّات لم يضرّه شيء حتّى يرتحل من ذلك المنزل * وقد ذكر القرطبيّ في تفسير قوله تعالى واما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية انه حكى عن بعض السّلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سوّل لك الخطايا قال اجاهده قال فان عادَ قال اجاهده قال هذا يطول ولكن ارأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال اكابده واردّه جهدي قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك والمستعاذ منه الشيطان واعوانه والنفس والهوى والدنيا واقتصر في الاستعاذة على الشيطان لانّ هذه الاشياء كلها من جنوده واشياعه واتباعه يصرفها في اغوائه ووسوسته ومما قيل في الاولياء

لي سادة من عزّهم * اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي * في ذكرهم عزّ وجاه

(رواه الامام البخاريّ) وهو اصلٌ في السّلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبّته وطريقته *

(الحديث التاسع والثلاثون)

(عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم

ائمہ قال ان اللہ تجاوز ای عفا وسامح وصفح وفی روایۃ عفا لامتی عن الخطأ هنا عن بمعنی فعل (لی) ای لاجلی (عن امتی) ای امۃ الاجابۃ (الخطأ) هذا یرجع الی قوله تعالی ولیس علیکم جناح فیما اخطأتم به والخطأ بفتحتین مهموز مقصور المراد به ضد العمد وهو ان یقصد شیئاً فیخالف غیر ما قصد لاضد الصواب خلافاً لزاعمه لان تعمد الاثم یسمی خطأ بالمعنی الثانی ولا یمکن ارادته وقد یمد وقرئ بهما قوله تعالی وما کان لمؤمن ان یقتل مؤمنا الا خطأ ویطلق علی الذنب ایضاً قال ابو عبیدة * خطأ من باب علم واخطأ بمعنی واحد لمن یذنب علی غیر عمد وقال غیره خطأ فی الدین واخطأ فی کل شیء عامداً او غیر عامد * وقال الاموی الخاطی من فعل ما لا ینبغی والمخطی من اراد الصواب فصار الی غیره * وفی الحدیث لا یحتکر الا خاطئ وفی روایة ان اللہ تجاوز لامتی عن الخطأ وهی اظهر ووجه الاولی * ان تجاوز ضمن معنی ترک ای ترک لی عن امتی الخطأ وقوله تجاوز لامتی الخ ای عن الاثم فقط فی الخطأ وتخطأ یمد ویقصر وقرئ بهما فی قوله تعالی ومن قتل مؤمنا خطأ لان حکمه من الضمان لا یرتفع اذ الخطأ والعمد فی اموال الناس سواء واما عن النسیان والاکراه فتارة عن الاثم فقط لان من حلف لا افعل کذا ففعله ناسیاً یحنث وکذا لو اکره علی فعله حنث کانت الصیغة صیغة حنث وتارة عن الاثم والحکم معاً کمن اکره علی الطلاق والعتق لقوله علیه الصلوة والسلام لا طلاق ولا عتاق فی اغلاق ای اکراه وکذا علی فعل المحلوف علیه حیث کانت الصیغة صیغة بر (والنسیان) بکسر النون وهو ترک التفکر بلا قصد بعد حصول العلم فان قلت اذا کان الخطأ والنسیان مجاوزعنهما لهذه الامة فما الحکمة بالدعاء فی قوله تعالی ربنا لا تؤاخذنا ان نسینا او اخطأنا

فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى
نسوا الله فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التأخير
كقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننساها اى نؤخرها واختلف
فى الخطأ والنسيان المذكورين فى قوله تعالى ان نسينا او اخطأنا
قيل النسيان بمعنى الترك اى تركنا شيئا من طاعتك وقيل
الذهول والخطأ عن المتعمد * وقال ابن زيد المعنى ان نسينا
المأمور او اخطأنا فى المنهى * وقال عطاء جهلنا وتعمدنا
والمراد هنا الاول قال فى المصباح ونسيت الشئ انساه نسيانا
مشترك بين معنيين احدهما ترك الشئ على ذهول وغفلة *
وذلك خلاف الذكر والثانى الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا
الفضل بينكم اى لا تقصدوا الترك والاهمال ويتعدى الى
ثان بالهمز والتضعيف ونسيت ركعة اهملتها ذهولا ورجل
نسيان وزان سكران والفرق بين النسيان والسهو ان النسيان
زوال عن الحافظة والمدركة لانه جهل بعد العلم والسهو زواله
عن الحافظة فقط والفرق بين السهو والخطأ ان السهو ما يتنبه
صاحبه بادنى تنبيه والخطأ ما لا يتنبه به ويقال المأتى به
ان كان على جهة ما ينبغى فهو الصواب وان كان لا على ما ينبغى
نظر فان كان مع قصد من الآتى به يسمى الغلط وان كان
من غير قصد منه فان كان يتنبه بايسر تنبيه فهو السهو
والا فهو الخطأ والنسيان حالة تعترى الانسان من غير
اختياره توجب غفلته عن الحفظ والغفلة ترك الالتفات
بسبب امر عارض وقيل الغفلة تكون عما لا يكون والسهو يكون
عما يكون تقول غفلت عن هذا الشئ حتى كان ولا تقول سهوت
عنه حتى كان وفرق آخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير
تقول كنت غافلا عما كان من فلان ولا يجوز ان يسهى عن فعل الغير

(وما استكرهوا عليه) اى من صدر منه الاكراه فلا يكفر من اكره على الردّة ولا يصحّ اعتاقه ولا اطلاقه ولا شئ من تصرّفاته وهو مذهب مالك والشافعى واحمد خلافا لابى حنيفة فى الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن بجرم فان اكره بالقتل يجب القصاص على المكره بالكسر والمكره بالفتح او بالزنا وغير ذلك وتجب العقوبة من اكرهته على كذا اذا حملته عليه قهرا والكره بالضمّ المشقّة يقال قمت على كره بالضمّ اى على مشقّة وبالفتح الاكراه يقال اقامنى فلان على كره بالفتح اذا اكرهك عليه * وقال الكسائى هما لغتان ومفهوم هذا الخبر انّ الخطأ والنسيان والاكراه كان يؤاخذ بها اوّلا اذ لا تمتنع المؤاخذة بها عقلا فانّ الذنوب كالسموم فكما انّ تناولها يؤدّى الى الهلاك وان كان خطأ فتناول الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثمّ امر الانسان بالدعاء به استدامة واعتدادا بالنعمة (حديث حسن رواه محمد بن ماجة و) ابو بكر (البيهقى وغيرهما)

(فائدة) لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله شقّ ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فجاء جماعة منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقالوا كلّفنا من العمل ما لا نطيق انّ احدنا ليحدّث نفسه بما لا يحبّ اى يثبت فى قلبه وانّ له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا فلما زلقت بها السنتهم واطمأنّت اليها نفوسهم انزل الله تعالى آمن الرسول الى قوله لا يكلّف الله نفسا الّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلّق بالكسب دون العزم كذا فى اكثر التفاسير وفى بعضها انها نسخت بهذه واكثر المحققين من اهل الاصول على انّ النسخ

يكون في الاحكام دون الاخبار وهذا خبر

(الحديث الاربعون)

(عن ابن عمر) رضي الله عنه (قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف يروى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض اعضاء المتعلم عند التعليم او الموعوظ عند الوعظ ليعي ما يقال له فيكون ابعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ محال عادة ان ينسى من فعل معه ذلك ويقال له معه وهذا لا يفعل في الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه السلام لهما (فقال كن في) مدة اقامتك في (الدنيا كانك غريب) في محل نصب خبر كن اي كن في الدنيا مشبها بالغريب الذي قاسى الذل والمسكنة في غربته وعلق قلبه بالرجوع الى وطنه اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه (او عابر سبيل) اي طريق معطوف على غريب عطف خاص على عام واو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهري وفيها معنى الترقي والمعنى كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل اي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد فيها ولا يأخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة فان الغريب منكمش متوحش لا يجد من يعرفه فينبسط اليه ويأنس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى وطنه وموضع اقامته لا يبالي ان يرى على خلاف عادته في ملبوسه ونحو ذلك ولا يحسد ولا يحقد ولا يعادي ولا ينافس احدا في مجلس

ولا غيره لقلة اقامته وكذلك عابر السبيل اى المار فى الطريق
وهو المسافر اذ ليس له ارب الا فيما يعينه على سفره وقفوله الى بلده
واجتماعه باهله فلا يتخذ فى بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا
ولا حماما ونحو ذلك لعلمه بقلة اقامته فى سفره وانه لو امكنه الطيران
لطار فهو لا يعرج على غير ما يكون سببا لرحيله ومعينا على سفره
ووصوله الى وطنه وايضا فالانسان انما وجد ليمتحن بالطاعة
والمعصية ليكون مثابا او معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا * قال ابن بطال ولما كان
الغريب قليل الانبساط الى الناس بل هو متوحش منهم اذ لا يكاد
يمر بمن يعرفه ويستأنس به فهو ذليل فى نفسه خائف وكذلك
عابر السبيل لا ينفذ فى سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال
غير متشبث بما يمنعه من سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى
بغيته من قصده شبه بهما وفى ذلك اشارة الى ايثار الزهد
فى الدنيا واخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج المسافر الى
اكثر مما يبلغه الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن فى الدنيا
الى اكثر مما يبلغه الى المحل اه وحينئذ فهو كعبد ارسله سيده
فى حاجة الى غير بلده فشأنه ان يبادر بفعل ما ارسله سيده فيه
ثم يعود الى وطنه ولا يتعلق بشئ غير ما هو فيه * ودخل رجل
على ابى ذر رضى الله تعالى عنه فقال يا اباذر اين متاعكم فقال
ان لنا بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لابد لك من متاع ما دمت
هاهنا قال نعم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه * وقال الحسن
رضى الله عنه المؤمن فى الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس
فى غيرها ولهذا اوصى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه
ان يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب * وقيل لمحمد بن واسع كيف
اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الاخرة كل يوم مرحلة *

وقال داود الطائى انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة يعنى حتى ينتهى ذلك بهم الى آخر سفرهم فان استطعت ان تقدم كل يوم زادا لما بين يديك فافعل واقض ما انت قاض من امورك فكانك بالرحيل وقد بغتك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل

وما هذه الايام الا مراحل * تمر وتطوى والمسافر قاعد

وقيل

نسير الى الآجال فى كل لحظة * وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه * اذا ما تخطته الامانى باطل

وقال الشبلى من ركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة احرقته بنورها فصار ذهبا احمر ينتفع به ومن ركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له * وروى ابن ابى الدنيا والبيهقى من حديث عائشة انه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له * وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقى معلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابو نعيم والبيهقى من حديث انس رضى الله عنه وانشد بعضهم

ايا من له فى باطن الارض حفرة * اتأنس بالدنيا وانت غريب
وما الدهر الا كر يوم وليلة * وما الموت الا نازل وقريب

وانشد آخر

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وزينتها * ولو توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا * اين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كاساً غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من جمع ستة خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها * وقال ايضاً ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل * وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً يؤتى بالدنيا يوم القيمة على صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها لا يراها احد الا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها * وروى في خبر انه يؤمر بها فتلقى في النار فتقول يا رب اين اتباعي واصحابي فيلحقون بها (وكان) عبد الله (بن عمر يقول) في بعض وصاياه (اذا امسيت) اي دخلت في وقت المساء (فلا تنتظر) بعمل من اعمال البر (الصباح) وهو اول ما يبدو من النهار (واذا اصبحت) دخلت في وقت الصباح (فلا تنتظر) بعمل من اعمال البر (المساء) لانه ربما يكون تأخيرها سبباً لفواتها وعدم استدراكها وقدم المساء على الصباح لان في المساء النوم الذي هو احد الوفاتين لقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فالتراخي فيه اكثر والمراد اذا امسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح واذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى المساء وانتظر الموت في كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المتن ما قبله لان ذلك للحث على ترك الدنيا وهذا للحث على تقصير الامل

وذارة

وذلك متوقف على هذا الامر المصلح للعمل والمنجي من اوقات التراخي والكسل وقد قيل لبعضهم ما قدر امَلك في الدنيا فقال هل لمن نفسه في يد غيره امل * وكان محمد بن واسع اذا اراد النوم قال لاهله استودعكم الله فلعلي لا اقوم من نومتي ولهذا جاء في الحديث لا يبيت احدكم الا ووصيته عند راسه فلعل ان يبيت من اهل الدنيا ويصبح في اهل الآخرة فكم من مستقبل يوما او عملا لا يستكمله * قال ابو نصر بن ودعان قصر الامل امثل كل خير كما ان تطويله امثل كل شر فان من لا يقدر في نفسه انه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم لها فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة ابناء الدنيا ويكفيه كل شيء ومن قدر انه يعيش عشر سنين مثلا فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شيء من الدنيا ولا يملأ بطنه وعينه الا التراب ولبعضهم

تبغي من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجبن بما ترى فكانه * قد زال عنك زوال امس الذاهب

ولبعضهم

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا * فانك لا تدري اتصبح ام تمسي
فليس الغنى عن كثرة المال انما * يكون الغنى والفقر من قبل النفس

والحق انه سبب الزهد في الدنيا وقول بعض الشراح انه نفس الزهد فيها اراد به ان بينهما تلازما صيرهما كالشيء الواحد فمن قصر امله زهد ومن طال امله طمع ورغب في الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة ونسي الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال فيقسو قلبه ضرورة لان رقة القلب وصفائه انما يكون بذكر ذلك قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل

فسوف يعلمون * وقال ابن الجوزي اذا رأيت قبرا فتوهمه قبرك وعد باقي الحياة رغبا * وعن ابي زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فاتي بوهب بن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من اجلك لزهدت في طويل آمالك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك فانما يلقاك ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمه قبل الحسرة والندامه * ولبعضهم

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون
اذا ظفرت يداك فلا تقصر * فان الدهر عادته يخون

(وخذ من) العمل من (صحتك) قبل ان يحال بينك وبينها (لمرضك) اى اغتنم العمل حال الصحة فانه ربما عرض لك مرض وسقم مانع منه فاذا كنت تعمل في حال الصحة يجري لك ثوابه في حال المرض لخبر ابن عساكر عن مكحول اذا مرض العبد اى الانسان المسلم يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم اى عن الضعيف ويقال لصاحب اليمين اكتب له احسن ما كان يعمل فاني اعلم به لانه لم يحصل منه تقصير (و) خذ (من) العمل زمن (حياتك لموتك) اى اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك ما دمت حيا فان من مات انقطع عمله قال الله عز وجل فاستبقوا الخيرات وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين مستنزع مما ورد انه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك

قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (رواه البخارى) وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر *

(الحديث الحادى والاربعون)

(عن) ابى محمد ويقال ابو نصر ويقال ابو عبد الرحمن (عبد الله ابن عمرو بن العاصى) باثبات الياء واكثر المحدثين يحذفونها واقلهم يثبتها قال النووى والصواب جواز الوجهين قال بعضهم واثباتها يدل على انه من العصيان ويدل له أن عمر ابن الخطاب كان يناديه بقوله ياعاصى يا ابن العاصى وحذفها يدل على انه من العوص وهو تحريك الشئ ابن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن هصيص بن كعب ابن لوئ بن غالب القرشى السهمى واسم امه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن سعد بن سهل ولم يسلم عمرو الا بعد الحديبية لانه جلس فى الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان الحجبى وقالوا الا ترى امر محمد الا فى ازدياد وامر قريش فى انتقاص ثم اتفقوا على الاسلام وقيل انه اسلم على يد النجاشى وبلغز بها فيقال صحابى اسلم على يد تابعى ولما ان احتضر عمرو قال لولده عبد الله انى قبل الاسلام كنت لا ارفع طرفى للنبى صلى الله عليه وسلم كراهية ولو مت على ذلك لدخلت النار وبعد الاسلام كنت لا ارفع طرفى اليه حياء منه صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنهما) اسلم قبل ابيه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يفضله على ابيه وكان ابوه اكبر منه باثنى عشر سنة وقيل باحد عشر سنة وقيل بثلاثة عشر سنة وهو من اجل العبادلة وكان غزير العلم مجتهدا فى العبادة وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لئن تدمع عينى دمعة من خشية الله عز وجل احب الى

من ان اتصدق بالف دينار وكان يقول لو تعلمون حق العلم
لسجدتم حتى تتقصف ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع اصواتكم
فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا وكان واسع الرواية قال
ابو هريرة رضي الله عنه ما احد اكثر حديثًا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مني الا عبد الله بن عمرو بن العاصي فانه كان يكتب ولا
اكتب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث
اتفقا على سبعة عشر حديثًا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم
بعشرين حديثًا وروايته اكثر من ذلك وانما توعرت الطرق
في الرواية عنه فكان ذلك سببًا في قلة ما نقل وصح عنه وكان
عبد الله بن عمرو هذا قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة
عنه في حالة الرضى والغضب فأذن له حتى كان يسمي صحيفته
الصادقة ويقال انه حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الف مثل
وكان قد قرأ الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب
عن غشيان النساء زوجه ابوه من قريش ثم دخل عليها ابوه
فقال لها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال او خير البعولة
من رجل لم يفتش لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا فاقبل عليه والده
يعظه وقال له زوجتك امراة من قريش فعضلتها ثم انطلق
الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه له فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه فقال له اتصوم النهار قال نعم قال وتقوم الليل قال نعم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني اصوم وافطر واصلي وانام
وامس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع ابيه الى
ان توفي ابوه بمصر ثم انتقل الى الشام الى ان توفي يزيد ثم
انتقل الى مكة ومات بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف
وقيل مات بمصر سنة خمس او سبع او تسع وستين عن اثنين
وسبعين او اثنين وتسعين سنة وكان قد عمي في آخر عمره

ولما

ولما حضرته الوفاة قال انه كان خطب منى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبيه بالوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا انى قد زوجتها له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هواه اى احبه وشرعا ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع الى ما تحبه نفسه وتميل اليه وتدعو اليه شهوتها ويجمع على اهواء واما الممدود وهو ما بين السماء والارض فجمعه اهوية وجمعها قول بعضهم

سكن الهواء مع الهوى فى اضلعى * فاستجمعا وسط الحشا نارا ان فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ومددت بالمقصور فى اكفانى

(تبعا لما) اى لجميع ما (جئت به) من الاوامر والنواهى والغالب ان الهوى لا يطلق الا على الميل الى خلاف الحق كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل الى الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها الا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت احبت ما يحبه الله وحينئذ فقوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به اى بان يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحبوباته الدنيوية التى جبلت النفس على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة او بعض كراهة ما بل تهواها كما تهوى المحبوبات والمشتهيات فان من احب شيئا اتبعه هواه ومال عن غيره اليه ووالاه ولذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يأتمر بما امرته او حتى يأتى بكل ما جئت به او حتى يتبع ما جئت به ونحو ذلك لان المأمور بالشئ الملزوم به والمتبع له قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل الانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تبعا

تبعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا كل ضامر مهزول اذ الهوى
لغلبة الشهوة الطبيعية يملك الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الخميصة وقد يتغالى
الشخص في اتباعه حتى يجعله هواه قال تعالى افرأيت من اتخذ
الهه هواه اى مهويه قال ابو الدرداء اذا اصبح الرجل اجتمع
هواه وعمله فان كان عمله تبعًا لهواه فيومه يوم سوء وان كان
هواه تبعًا لعمله فيومه يوم صالح * وفي الحديث الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله الاماني وفي رواية والفاجر بدل العاجز * وعن
سليمان بن داود ان الغالب لهواه اشد من الذي يفتح المدينة
وحده * وعن حذيفة بن قتادة قال كنت في مركب فكسرت
بنا فوقعت انا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة ايام فقالت المرأة
انا عطشانة فسألت الله تعالى ان يسقيها فنزلت علينا من السماء
سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسي انظر الى
السلسلة فرأيت رجلًا جالسًا في الهواء متربعًا فقلت ممن انت
قال من الانس قلت فما الذي بلغك هذه المنزلة قال آثرت
مراد الله على هواي فاجلسني كما تراني * وعن وهب بن منبه
قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان
مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذا هما برجل يمشي في
الهواء فقالا يا عبد الله بأي شيء ادركت هذه المنزلة قال
بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني
عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان اقسمت
على الله ابر قسمي وان سألته اعطاني * وعن عبد الواحد
ابن محمد الفارسي قال سمعت بعض اصحابنا يقول رأيت غرفة
في الهواء وفيها رجل فسألته عن حالته التي بلغته الى تلك المنزلة

فقال تركت الهوى فادخلت فى الهوا * وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اى الجهاد افضل قال جهادهواك * وقال الاصمعى مررت باعرابى به رمد شديد ودموعه تسيل فقلت الا تمسح عينيك فقال زجرنى الطبيب ولا خير فيمن اذا زجر لا ينزجر واذا أمر لا يأتمر فقلت اما تشتهى شيأ فقال اشتهى ولكن احتمى لان اهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا * وقيل ليحيى ابن معاذ من اصح الناس عزما فقال الغالب لهواه * ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من احسن الجوارى وجها واكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال اصلح الله الامير ما رأت عيناى قط احسن منها فقال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لافعل ولا اسلبها للامير وقد عرفت عجبه بها فقال خذها على عجبى بها ليعلم هواى انى غالب له فاخذ بيدها وخرج وهو يقول * لقد حبانى واعطانى وفضلنى * من غير مسئلة منى سليمان

اعطانى البدر جودا فى محاسنها * والبدر لم يعطه انس ولا جان

ولست حقا بناسى عرفه ابدا * حتى يغيبنى لحدى واكفان

ودخل الوليد بن يزيد بعض كنايس الشام فكتب فى حيطانها

ما لذة العيش غير ان تتبع النفس هواها مخطئا او مصيبا

فرأى ذلك عبد الله بن على فكتب تحته

ان كنت تعلم حين تصبح آمنا * ان المنايا ان اقمت تقيم

فالزم هواك لما رضيت فانه * لا مثل ذلك فى النعيم نعيم

ولبعضهم

رب مستور سبته صورة * فتعرى ستره فانهتكا

صاحب الشهوة عبد فاذا * غلب الشهوة صار ملكا

وكان عبد الله بن حسن يطوف بالبيت فنظر الى امراة

جميلة فمشى الى جانبها ثم قال

اهوى هوى الدين واللذات تعجبني * فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له دع احدهما تنل الآخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله

ابن حسن لقي امراة جميلة في الطواف فلما نظرت اليه والى

جماله مالت نحوه وطمعت فيه فاقبل عليها وانشد البيت المذكور

فتركته وانصرفت * وقال الجنيد اذا خالفنا النفس هواها

صار داؤها دواها * وقال بعض الحكماء يا بني اعص هوى

النساء واطع من شئت وروى واصنع ما شئت * وقال ابن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا *

ويقال ان هشام بن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحدا

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

وقال غيره

ان الهوان هو الهوى قصر اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر

نون الهوان من الهوى مسروقة * وصريع كل هوى صريع هوان

ثم اعلم ان من كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

كان مؤمنا كاملا وضده الكافر وهو من اعرض عن جميع ما جاء

به ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان ما تبعه اصل

الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق

(حديث صحيح رويناه) حالة كونه (في كتاب الحجة) في اتباع المحجة

تأليف الفقيه الزاهد ابي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني

نزل دمشق وصنف هذا الكتاب في عقيدة اهل السنة (باسناد

صحيح) وخرجه الطبراني عن عقبة بن اوس عن عبد الله بن عمرو

لكن زاد بعد ما جئت به لا يزيغ عنه قال ابن عبد البر وعقبة

ابن اوس مجهول

(الحديث الثاني والاربعون)

(عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) اصله أأدم بهمزتين على وزن افعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها الفا تخفيفا لاستثقال اجتماع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل مشتق من الأدمة بالسكون او الفتح وهو حمرة تميل الى سواد اومن اديم الارض وهو ظاهر وجهها كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وورد عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ولاينافي هذا ما ورد من براعة جماله وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله لان الجمال لاينافي السمرة اذ سمرته بين البياض والحمرة واختلف في لفظه هل هو اعجمي اولا فذهب ابو البقاء وغيره الى انه ليس باعجمي وان منع صرفه للعلمية ووزن الفعل واشتقاقه مما ذكر يرد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره وذهب الثعالبي الى انه اعجمي وان منع صرفه للعلمية والعجمة وصح انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني وفي الحديث خلق الله آدم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الأولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزه ومذاكيره وفخذيه من الارض السادسة وساقه وقدميه من السابعة ونقل ابو الحسن في شرحه لعقيدة الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال رفعت تربة آدم من ستة ارضين واكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شئ لان فيها نار جهنم اهـ وروى عنه ايضا انه قال خلقه الله تعالى

من اقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب * وقال غيره خلق الله آدم من ستين نوعًا من انواع الارض وطبائعها فجاءت اولاده مختلفين الالوان والطبائع قيل ولهذا المعنى اوجب الله فى الكفارة اطعام ستين مسكينا بعدد انواع بنى آدم ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعًا والذراع ثمانية اشبار بهذا الشبر هكذا ذكروا فجملة الاشبار اربعمائة وثمانون شبرًا وعاش ادم الف سنة (انك ما دعوتنى) ليلًا اونهارًا سرًا او علانية وما مصدرية ظرفية اى مدة دوام دعائك اياى كما تقول لأحسنن اليك ما خدمتنى اى مدة دوام خدمتك اياى وغلط من جعلها شرطية والدعاء رفع الحاجات الى رفيع الدرجات ويقال هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات هذه الامة واما الامم الماضية فكانت تفزع فى حوائجهم الى الانبياء تسال لهم الله تعالى وقد روى معمر عن قتادة انه قال اعطيت هذه الامة ثلاثًا لم يعطها الانبياء كان يقال للنبى اذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى انت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى سل تعط وقال لهذه الامة ادعونى استجب لكم * واعلم ان المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف ان الدعاء مستحب قال الله تعالى ادعونى استجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعًا وخفية والآيات فى هذا كثيرة واما الاحاديث الصحيحة فهى اشهر من ان تذكر وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى الفتاوى الموصلية

هل يعصي من يقول لاحاجة بنا الى الدّعاء لانه لا يرد ما قدر وقضى فاجاب من زعم انه لا يحتاج الى الدعاء فقد كذب وعصى ويلزمه ان يقول لاحاجة بنا الى الطاعة والايمان لان ما قضاه الله من الثواب والعقاب لابد منه وما يدرى هذا الاخرق الاحمق ان الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على الاسباب ومن ترك الاسباب وبنى على ان ما سبق به القضاء لا يغنى لزمه ان لا ياكل اذا جاع ولا يشرب اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وان يلقى الكفار بلا سلاح ويقول فى ذلك كله ما قضاه الله لا يرد وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل وقوله ما دعوتنى اى مادمت تعبدنى اوتسألنى لان الدّعاء قد فسّر فى القرآن بالعبادة والسّؤال وقيل ما دعوتنى (ورجوتنى) لاجابة دعائك لانه تعالى يقول انا عند ظن عبدى بى وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شئ لانها وسعت كل شئ والرّجاء بالمدّ لغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب فى حصوله فى المستقبل مع الاخذ فى اسباب الحصول فان لم يأخذ فى الاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى ان مثل الراجى مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا او ولدا وما زرع وما نكح وقال عبد الله بن المبارك

ما بال دينك ترضى ان تدنّسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * انّ السفينة لا تجرى على اليبس

ويطلق الرّجاء على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون عظمة الله وقال فى عمّ يتساءلون انهم كانوا لا يرجون حسابا اى لا يخافونه ويصح ارادته ايضا وقد يستعمل الطمع بمعنى الرّجاء كما فى قوله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى واما الرجا بالقصر فهو الناحية ومنه

رجا البئر اى ناحيته وهل الافضل للشخص تغليب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله عز وجل او الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله تعالى او ان كان عاصيا فالخوف افضل وان كان مطيعا فالرجاء افضل وان كان قبل الذنب فالخوف افضل وان كان بعده فالرجاء افضل او ان كان صحيحا فالخوف افضل وهو المختار عندنا ولكن الراجح عند الشافعية انه يكون رجاؤه وخوفه مستويين وان كان مريضا فالرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله *

ومن مقطعات بشعر عبد القاهر بن طاهر

يا فاتحا لى كل باب مرتجى * انى لعفو منك عنى مرتجى
فامنن على بما ينيل سعادتى * فسعادتى طوعا منى تأمرتجى

قال الدميرى وفى مروج الذهب عن فقير بن مسكين قال دخلت على الشافعى اعوده فى مرض موته فقلت له كيف اصبحت يا ابا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا ادرى الى الجنة تصير روحى فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم قال

ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

(غفرت لك) ذنوبك اى سترتها عليك بعدم العقاب عليها فى الآخرة ويرادفه العفو ومقتضى كلام ابن عطية ان بينهما فرقا وهو ان الغفران لما لم يطلع عليه احد والعفو لما اطلع عليه فانه قال فى تفسير قوله تعالى واعف عنا اى فيما واقعناه وانكشف واغفر لنا استر علينا ما علمت منا قال بعضهم وهو بالتحكم اشبه اه وقال بعضهم ان بين مفهوميهما بحسب الوضع عموما وخصوصا من وجه فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو

ولا يلزم من الستر المحو ولا عكسه بأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه او يستره ويجازيه عليه امّا بالنظر لكرم الله تعا فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق وكذا يقال في مقام الملاطفة الاكثر عفا الله عنه (ما كان منك) من المعاصي وان تكررت (ولا ابالي) اي لا اكترث بذنوبك ولو كثرت لانه تعا لا حجر عليه فيما يفعل ولا معقب لحكمه ولا مانع لعطائه ومعنى لا ابالي لا يشتغل بالي به فانّ اجرام العباد في جنب رحمته كذرة حقيرة بل اقل منها فان قلت ثبت انه جفّ القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص شيئاً وايضاً المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز طلبه والّا فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافيه فالجواب الدعاء من شعار المرسلين ودثار الصالحين ودأب الصدّيقين (يا ابن آدم) انك (لو بلغت) اي وصلت (ذنوبك) اي فرضتها اجراماً (عنان السماء) بان ملأت ما بينها وبين الارض والعنان بفتح العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهل هو اسم للسحاب مطلقاً او بتقييد كونه ممتلئاً بالماء قولان وقيل العنان اسم لما عنّ لك من السماء اي ظهر لك اذا رفعت رأسك اليها ويروى اعنان السماء اي نواحيها وما اعترض من اقطارها كانه جمع عنن واما العِنان بكسر العين فهو اسم لما تنقاد به الدابة الاسفل للاسفل والاعلى للاعلى كالملك بكسر اللام وفتحها والجنازة بكسر الجيم اسم للسرير الذي يحمل عليه الميت وبفتحها اسم للميت المحمول (تنبيه) نقل عن بعضهم ان سماء الدنيا افضل مما سواها لقوله تعا ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت قد ورد الاثر بخلافه اخرج شيخنا

ابن سعد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها اهـ * وههنا فوائد الاولى مذهب اهل السنة والاشاعرة كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من شجرة مثمرة في الجنة والمطر يجري تحت العرش خلافا للحكماء والمعتزلة في ان منشأ المطر البحر وان السحاب اجسام ذوات خراطيم تأخذ الماء من البحر الملح ويقصره الريح فيعذب الثانية قال الحكماء الارض طبق واحد ومذهب الاشاعرة ان الارض طبقات متفاصلة بالذات بين كل ارض مسيرة خمسمائة عام كما وردت به الاخبار وعليه انما جمعت السماء وافردت الارض في بعض الآيات لان السموات مختلفة الاجناس بخلاف الارضين لاتحاد جنسها وهو التراب * وذكر بعضهم ان الحكمة في افراد الارض ثقل جمعها لفظا وهو ارضون الثالثة الارض العليا افضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها وهي مهبط الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار (ثم استغفرني) من هذه الذنوب الكثيرة استغفارا يثبت معناه في القلب ويحصل معه الندم لينحل به عقد الاصرار وحينئذ فالمراد به التوبة وهي لغة الرجوع عن الشيء يقال تاب وثاب بالمثلثة بمعنى رجع وشرعا الرجوع عما لا يرضى الله تعالى الى ما يرضيه مما هو محمود شرعا ولها اركان ثلاثة اثنان عامان الاول الندم على الذنب من حيث هو ذنب وخوف عقاب بخلاف الندم عليه لنحو هتك او صرف مال او تعب بدن او لكون مقتوله ولده او ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع والاخلال بالمال او العرض فان ذلك لا يعتد به ومعنى الندم تحزن وتوجع على ان تفعل وتمنى كونه لم يفعل الثاني العزم على ان لا يعود اليه ما عاش كما لا يعود اللبن الى الضرع لا لنحو عدم انتشار ذكره بعد الزنا الثالث وهو خاص الاقلاع عن الذنب في الحال بان يتركه

إن كان متلبساً به او مصراً على المعاودة اليه فان كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة الى صاحبها او تحصيل البراءة منه ان قدر فيرد المظالم ويتحلل في الاعراض ويسلم نفسه للقصاص ان امكن * وفي الحديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقوله في الحديث الندم توبة اي معظم شروطها الندم كما في الحديث الآخر الحج عرفة ولان الندم يستلزم الشرطين الآخرين عادة * قال الحطاب في حاشيته على الرسالة الغير وانية واذا لم يرد المظالم الى اهلها مع الامكان فصحح الامام توبته مع الجمهور وقيل انها لا تصح انتهى * وفي شرح العقيدة للسنوسي التوبة من الغصب والسرقة والحرام ونحو ذلك يشترط في صحتها رد المغصوب الموجود الذي لم يتعلق بالذمة واما ما تعلق بالذمة لاستهلاكه ونحوه فرد عوضه ليس بشرط في صحة التوبة عند الجمهور وانما هو واجب آخر مستقل بنفسه يحتاج الى توبة ومعنى الندم تحزن وتوجع على ما فعل وتمني كونه لم يفعل لا مجرد قوله ندمت ويطلق الاستغفار على الصلاة كقوله تعالى في آل عمران والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين في الاسحار وكقوله في سورة والذاريات وبالاسحار هم يستغفرون يعني يصلون وكقوله في الانفال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يصلون قال العلامة ابن العماد وشروطها المذكورة مأخوذة من القرآن اما الندم فمأخوذ من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وذلك لان العبد اذا اذنب ذنباً وذكر الله ندم على فعل ما يستوجب العقوبة واما الاقلاع

وترك العود بعد المظلمة مستفاد من قوله ولم يصروا على ما فعلوا
لان من لم يقلع عن الذنب مصر عليه ومن اقلع وعزم على العود
بعد متى فهو مصر ايضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا
لكن اسناد ما نسبه ما او لم يرده فهو قد اصر على ما فعل
وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها وهو ما قبل
الغرغرة لما رواه الترمذي وحسنه عنه صلى الله عليه وسلم
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اى تبلغ روحه حلقومه
وهي حالة النزع لان الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض
فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه هذا
عند الاشاعرة واما عند الماتريدية فانما يشترط عدم الغرغرة
في الكافر دون المؤمن العاصي عملا بالاستصحاب في الموضعين
وقبل طلوع الآيات كطلوع الشمس من مغربها ولا يشترط التلفظ
بالاستغفار لما رواه الحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله
تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفر
منه خلافا البلقيني القائل بانه لا بد ان يقول استغفر الله
من ذنبي ونحو ذلك وكذا لا يشترط مفارقة مكان
المعصية خلافا للزمخشري ولا تجديد التوبة كلما ذكر
المعصية خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني واما التوبة
النصوح فانها اخص من ذلك لانها تكفر السيئات
وتبدلها بحسنات وقد اختلف فيها فقال بعضهم التوبة
النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان *
والاقلاع بالابدان * واضمار ترك العود بالجنان *
ومهاجرة سيء الخلان * وهو قريب من قول بعضهم
هي تقدم اربعة اشياء الندم بالقلب والاستغفار باللسان
واضمار ان لا يعود ومجانبة خلطاء السوء * وقال

ابو بكر الوراق هو ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا * وقال بعضهم ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح * وقال ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام * وقال فتح الموصلي علامتها ثلاثة مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع والظما * وقال عمر وابي ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع * وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن (غفرت لك) وان تكرر الذنب والتوبة منك مرارا في اليوم الواحد لان معاودة الذنب لا تبطل التوبة ومن ثم قال عليه افضل الصلاة والسلام ما اصر من استغفر اي تاب ولو عاد في اليوم سبعين مرة * واخرج الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله حفظته ذنوبه وانسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيمة وليس عليه شاهد من الله بذنب * وتصح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الآخر وخالفت المعتزلة فيهما ثم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من انواع التوبة هل قبوله قطعي او ظني خلاف بين اهل السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظني * وكان سبب توبة الفضيل بن عياض انه عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يرتقي الجدران اليها اذ سمع قارئا يقرأ الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فآواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فلانا يقطع الطريق

فقال الفضيل اراني بالليل اسعى في معصية الله وقوما من المسلمين يخافونني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام وانما حملنا الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار ويثبت معناه في الجنان لا مجرد التلفظ باللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة ولذا روي عن الحسن البصري انه قال استغفارنا يحتاج لاستغفار لكن قال الغزالي لا تظن انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه * وفي الحديث من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفيه ايضا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه * وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف (يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض) بضم القاف وكسرها والضم اشهر اي بقرب ملئها او ملئها وهذا ابلغ مما قبله (خطايا ثم لقيتني) اي حال كونك (لا تشرك بي شيأ) اي بذاتي وصفاتي وافعالي اي استمر على الايمان لاعتقادك توحيدي والتصديق برسلي وبما جاؤا به (لأتيتك بقرابها) عبر به للمشاكلة والا فمغفرة الله اعظم واوسع من ذلك (مغفرة) وفي خبر مسند ان رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت فاذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لم التفت فيقول لما بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك

وربك الغفور ذو الرحمة فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت
نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله
فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعًا فازددت طمعًا فيقول الله عز وجل
اذهب فقد غفرت لك (رواه الترمذي) في الدعوات وخرجه
الطبراني من حديث ابن عباس والترمذي بتثليث الفوقية
وكسر الميم اوضمها واعجام الذال (وقال حديث حسن صحيح)
واخرجه ابو عوانة في مسنده ايضًا من حديث ابي ذر ح ك
بعض الشراح ويظهر ان معاني هذه الاحاديث كلها وان
كثر تعدادها وجل مقدارها وعظم محلها واشتمل على كل
الشريعة المحمدية شملها ترجع الى تقوى الله تعالى في السر والعلانية
مع قصر الامل والزهد في الدنيا وترك ما لا يعني من فضولها
والشغل بذكر الله تعالى وحسن التخلق مع الخلق بما يقتضيه
الشرع الشريف والانقباض عنهم فيما لا يعني وارادة الخير لهم
بالباطن ومساعدتهم بالظاهر فيما امكن من ذلك *
وهذا آخر ما سهل الله تحصيله على حسب الامكان * والحمد لله
الكريم المنان * الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله * والصلاة والسلام على النبي محمد وآله وصحبه ومن والاه
* واني استغفر الله مما يعلمه مني من الجراءة على شرح قول من
لا ينطق عن الهوى مع قصوري في هذه المادة * وقلة سلوكي
في هذه الجادة * ونسأل الله تعالى ان يمن علينا بتوبة
تمحو عنا كل جريمة وان يختم لنا بالحسنى * ويمن علينا بالمطلوب
الاسنى * وان يشمل في ذلك جميع اهلنا ومشايخنا واحبابنا
ومن امن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله

وكل المسلمين * وقد قيل

يا من غدا ناظراً فيما جمعت وقد * أضحى يردد في أفنائه النظرا

سألتك الله إن عاينت من خطأ * فاستر على فخير الناس من سترا

وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين

م * م

م

بحمد الله المعين * تم شرح العلامة الشبرخيتي على الأحاديث الأربعين *
بالمطبعة الأزهرية * جعلها الله تعالى عامرة بالعلوم المحمدية *
على ذمة ملتزمه الأمير المكرم * الجناب العالي المفخم * حضرة
أحمد أفندي الأزهري من الله تعالى عليه بالعافيه
الدائمة * ولا برحت المسرات له ملازمه * آمين *
بتصحيح مولانا الشيخ علي المخللاتي * غفر الله له
فيما مضى والآتي * وذلك في ٢٢ شوال
سنة ١٢٨٠ من هجرة خاتم النبيين
والمرسلين * وسيد الأولين والآخرين
* صلى الله تعالى عليه
وسلم *
م